

# الإسلام

شريعة وطريقة وحقيقة  
الجزء الثالث

أنوار

## الإحسان

( أصول الوصول )

صلاح الدين القوصي

الطبعة الثانية

غرة جماد ثاني ١٤٢٩هـ - يونيو ٢٠٠٨م

وقف لله تعالى لا يباع



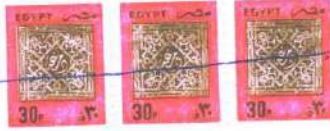
بسم الله الرحمن الرحيم

نموذج رقم ١٧

AL - AZHAR  
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY  
GENERAL DEPARTMENT  
For Research, Writing & Translation

الأزهر  
مجمع البحوث الإسلامية  
الإدارة العامة  
للبحوث والتأليف والترجمة

٥ ٤ ١٥



السيد / صلاح الدين أبو حمزة .....

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - وبعد :

نفاء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : أنوار الإلهام .....

تأليفكم .....

نفيد بأن الكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الإسلامية ولا مانع من طبعه على نفقتكم الخاصة .

مع التأكيد على ضرورة العناية التامة بكتابة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة .

والله الموفق ،،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

مدير عام  
إدارة البحوث والتأليف والترجمة

تحريرا في  
الموافق ١٤ / ١٠ / ١٤٠٥ هـ

يعتمد  
المجلس العام للبحوث الإسلامية

عبدالله





الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُسْتَعِيقِ لِجَمِيعِ الْمَخَامِدِ  
وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى إِمَامٍ كُلِّ شَاكِرٍ وَخَامِدٍ  
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَكُلِّ تَحَابِدٍ

سُبْحَانَ رَبِّي ذِي الْعِزَّةِ وَالْجَبَرُوتِ  
وَالْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْعِظَمَةِ وَالْكِبَرِيَاءِ



إهداء

لقد ألفت هذا الكتاب

إتقاء وجه الله الكريم و مرضاته

و قد أهديت حق الماد في الطب و النشر

هدية خالصة مني لله و رسوله

صلوات الله عليه و سلم

المؤلف

人



## رَبِّي

قَدْ جَعَلْتَ الْكَوْنَ رَبِّي .: لِصِفَاتِ عَلَيْكَ مَظْهَرٌ ...  
وَاخْتَفَيْتَ بِسِرِّ نُورِكَ .: فِي تَجَلٍّ مِنْكَ أَكْبَرُ ...  
حَوْلَ دَائِرَةِ لَهَا وَجْهٌ .: تَقْدَسُ فِيكَ أَطْهَرُ ...  
لَا نِهَائِي ... وَوَجْهُهُ .: صَارَ لِلْأَكْوَانِ مَنَظَرُ ...  
وَحِجَابُ الْعِزِّ وَالرَّحْمَا .: تِ وَالْقُدُّوسِ يُبْهَرُ ...  
حَيْثُ تُخْفِي السِّرَّ عَمَّنْ .: شَيْتَ .. أَوْ تُبْدِي وَتُظْهَرُ ...

\*\*\*\*\*

فَارْحَمِ اللَّهُمَّ قَلْبًا .: فِي جَلَالِكَ يَتَفَطَّرُ ...  
غَارِقًا فِي بَحْرِ نُورِكَ .: أَيُّمَا يَرْسُو وَيُبْجِرُ ...  
فَاسْقِهِ اللَّهُمَّ فَيْضًا .: يَجْعَلُ الْوُدْيَانَ أَبْحَرُ ...  
فِي حِمَى "طَه" وَمَنْ .: "كَمَحَمَّدٍ" أَرَوَى وَأَنْوَرُ ...

\*\*\*\*\*

أَلْفُ أَلْفِ صَلَاةٍ رَبِّي .: نُورُهَا يَعْلُو وَيُزْهِرُ ...  
مِنْكَ لِلْمَحْبُوبِ "أَحْمَدُ" .: مَا بَدَأَ فِي الْكَوْنِ مَظْهَرُ ...

## المؤلف



قال رسول الله ﷺ عندما سأله سيدنا جبريل عليه السلام عن الإحسان، " الإحسانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ "

متفق عليه

وقال ﷺ لحارثة أو حذيفة (على روايتين) : " كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟.. "

فقال رضى الله عنه " أَصْبَحْتُ بِاللَّهِ مُؤْمِنًا .. "

فقال ﷺ " لِكُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةٌ .. فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ ؟ "

فقال رضى الله عنه " عَزَفْتُ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا ، فَاسْتَوَى عِنْدِي حَجَرُهَا وَمَدْرُهَا ، وَلَوْ كُشِفَ الْغَطَاءُ مَا ارْذَدَّتْ يَقِينًا ، وَكَأَنِّي أَرَى عَرْشَ الرَّحْمَنِ بَارِزًا ، وَكَأَنِّي أَرَى أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ... وَكَأَنِّي أَسْمَعُ أَهْلَ النَّارِ يَتَعَاوَنُونَ فِيهَا "

فقال ﷺ : " عَرَفْتُ.. فَالزَّمْ.. عَرَفْتُ فَالزَّمْ "

رواه الطبراني في الكبير عن " الحارث بن مالك "، ورواه البزار عن "أنس"

" صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم "



# المحتويات

أولاً : تقديم هام      صفحة : ٢١

ثانياً : الباب الأول : الإحسان      صفحة : ٤٣

ثالثاً : الباب الثاني : الحجابُ والرؤيا      صفحة : ١٠٧

رابعاً : الباب الثالث : حول نبوة رسول الله ﷺ      صفحة : ١٦٥

خامساً : الباب الرابع : الحضرات الإلهية      صفحة : ٢٨٧



## مقدمة

### بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله المستحق لجميع المحامد ، والصلاة والسلام على إمام  
كُلِّ شاكِرٍ وحامدٍ ، وعلى آله وصحبه وكل عابد ...

وبعد ،

ليس من كتابٍ لا يُؤخذُ منه ويُردُّ عليه .. إلا كتابَ الله  
تعالى وحديثَ رسوله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ....

وليس من كتابٍ مبرراً من الخطأ والنقصان ... إلا كتابَ الله  
تعالى وحديثَ رسوله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ...

وليس من فرضٍ علينا أن نأخذ بكتابٍ أو قولٍ قائلٍ .... غير  
كتابِ الله تعالى وقولِ رسوله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ....

أمّا ما سواههما .. كتابَ الله .. وحديثَ رسوله ... فيؤخذ  
منه وَيُردُّ ....

وكُلُّ مُجتَهِدٍ عارفٍ بأصولِ الاجتهاد .. مُحبٌّ لله ولرسوله ، خالصاً  
لوجه الله الكريم .. يجزيه الله خيراً عن الإسلام والمسلمين ....

وكتابتنا هذا يتحدث عن أنوار الإحسان ... وهى ثمرة  
الالتزام بشريعة الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ .. والسير والسلوك  
والنهج على طريقته عليه الصلاة والسلام .... فهو الخلاصة المرجوة  
من الإسلام والإيمان.

والناس متفاوتون فى تحصيلهم ... ومتفاوتون فى  
أرزاقهم .. وما كانت أرزاقهم على قدر مساعيهم ... فالمساعى على  
قدر طاقاتهم .. والأرزاق حسب قسمة الرزاق جلّ وعلا ....

وحدثنى إليك فى هذا الكتاب ، ليس محشواً بالمنقول من  
أقوال الصالحين ومصطلحاتهم ... ولكنى خاطبك فيه بالمنطق  
المعتاد ، والعقل الفطرى السليم ، مع الاستدلال بآيات كتاب الله  
تعالى وحديث رسوله ﷺ ما وجدتُ إلى ذلك سبيلاً .. وذلك حتى  
لا تَمِيلَ بالكتاب وصاحبه إلى طائفةٍ من الطوائف ، ولا طريقةٍ من  
الطرق .... فنحن فى البداية والنهاية لا نقصد إلا وجه الله تعالى  
رضاه ، ومعرفة حقّ توحيدِهِ وعبادته قدر ما نستطيع ...

ومهما تحدّثت الخلائق كُلّها .. عن عظمة الله تعالى وصفاته ونعمِهِ  
وأنواره ... فما عرفوه حقّ معرفته ... ولا قدّسوه حقّ تقدّسه ...

فإن رأيتَ فى كتابى هذا غير ما ترى لنفس المسمّياتِ فى المصادرِ  
الأخرى ، فلا تعتبر هذا منكراً أو شاذّاً .. ولكن اجمع ما قرأت هنا وما قرأت  
هناك - والجميع لا يصبح ذرّةً فى علم الله تعالى - ثم خذْ منه ما يناسبك  
وما يستريح له قلبك ....



والحديث فيه إيجازٌ شديدٌ .. وإشاراتٌ دقيقةٌ .. فإذا أدركتها  
فهى خير ، وإن لم تدركها .. ، فخذ ما بدا لك منه ودع ما سواه ....

ويشتمل الكتابُ على أقسامٍ خمسةٍ كما يلي :-

تقديم هام : ذَكَرْتُ فيه بعض التعريفات كالإيمانِ ودرجاته والولاية العامة  
والخاصة ، والظاهر والباطن ، والسير والسلوك  
إلى الله تعالى ....

الباب الأول : اشتمل على تعريف الإحسان لغةً وشرعاً ، والمقصود من  
النور ، والرؤية ، والحُجُب وما شابهها ...

الباب الثانى : وأوجزتُ فيه وصفاً مبسطاً عن العوالم الظاهرة والخفية ،  
وهى التى تسبحُ فيها الأرواحُ والأنفُسُ ، كما تعرضنا فيه لمفهوم  
الروح والموت والبرزخ وغيرهما ....

الباب الثالث : هو فى الحقيقة يدورُ كله حول أنوار رسول الله ﷺ ،  
وحول معنى الرسالة والنبوة .. والقرآن والحديث .. وأهمية نوره  
ﷺ فى الكون كله ... وحتى تقوم الساعة .

الباب الرابع : تعرّضنا فيه لمفهوم الحضرات وأنواعها .. ، والفرق بين  
الحضرة والمُلك .. ، وإلى مفهوم الحب الإلهى ، وشعراء هذا  
الفن .. ، وبعض رموزهم وإشاراتهم ...

وما نقلنا عن غيرنا في كتابنا هذا رأياً ولا نظريةً ... ولكننا قد استعنا  
في بعض الروايات بما رواه السابقون من وقائع موثقة لا غير ...

## وبعد

ما قصدنا من كتابنا هذا إلا وجه الله تعالى ، وأن يأتس  
السائر السالك إليه سبحانه بما فيه ، فلا تختلط عليه الأمور ، ولا  
تلتبس عليه بعض الظواهر ، فيحار بين الوهم والخيال والجهل  
والغرور ....

وما أكثر المفتون في هذا المجال .. وما أشدَّ خطرَ من لا  
يكون فهمه على علم شرعيٍّ صحيح ...

ونحن لا نحصرُ الحقائق في مفاهيمنا التي عرضناها فقط ،  
فالله تعالى واسعٌ عليمٌ ، وما عرفَ الله تعالى إلا الله ، ولا يُحيطون  
بشيءٍ من علمه إلا بما شاء ، جلَّ جلالُ الله .

ولا نقولُ إلا كما قالَ ساداتنا الكرام : “ رأينا صوابٌ يحتملُ  
الخطأ ، ورأى غيرنا خطأً يحتملُ الصواب ”

وطوبى لمن أهدى إلينا أخطاءنا ، قاصداً وجه الله تعالى ،  
وأعاننا على سلوك الطريق إليه جلَّ شأنه .. ونحن نستعيز من كلِّ  
قولٍ أو عملٍ أو رأيٍ يخالف شريعة الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ،  
يقصدٍ أو بغير قصدٍ ، ونستغفره ونُتوبُ إليه ..

ونسألُ الله تعالى أن يجعلنا نَحْنُ وأعمالنا وكلَّ حياتنا  
ومماتنا في سبيله تعالى ، وأن يجعلنا في كتابِ نبيِّه ﷺ صلاةً  
وتسليماً وبركاتٍ ورحماتٍ ورضواناً ....

وأستغفرُ الله العظيمَ وأتوبُ إليه ..  
وأشهدُ ألاَّ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدهُ لا شريكَ له  
وأنَّ مُحَمَّدًا عبدهُ ونبيُّه  
ورسولهُ والحمدُ لله  
ربَّ العالمين.

صلاح الدين القوصي

القاهرة

رمضان ١٤١٨ هـ

يناير ١٩٩٨ م



# تقديم هام



ذَكَرْنَا فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّلْسَلَةِ ، وَهُوَ " أَرْكَانِ  
الْإِسْلَامِ " أَوْ " دَلِيلُ الْعِبَادَاتِ " مُوجِزاً مُبَسَّطاً لِأَهَمِّ الْأَحْكَامِ  
الَّتِي يَحْتَاجُهَا الْمُسْلِمُ لِتَحْقِيقِ شَهَادَةِ التَّوْحِيدِ بِشَقِّيْهَا ، ثُمَّ مَا يَحْتَاجُهُ  
مِنْ شُرُوطٍ ، وَأَرْكَانٍ ، وَوَجِبَاتٍ ، وَسُنَنِ الْأَرْكَانِ الْخَمْسَةِ لِلْإِسْلَامِ  
لِإِقَامَةِ الشَّعَائِرِ ، وَهَذَا يَتَّبِعُ الْكَمَّ الْأَدْنَى - لِمَعْرِفَةِ الْمُسْلِمِ - الَّذِي  
تَصَحُّ بِهِ عِبَادَتُهُ .

وَاشْتَمَلَ الْجُزْءُ الثَّانِي وَهُوَ " قَوَاعِدُ الْإِيمَانِ " أَوْ " تَرْبِيَةُ النَّفْسِ "   
عَلَى تَحْلِيلٍ عَقْلَانِيٍّ وَرُوحِيٍّ مُبَسَّطٍ ، يُنَاسِبُ الْعَصْرَ الْحَدِيثَ ، لِقَوَاعِدِ  
الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى ، وَمَعْنَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ ، وَالْمَقْصُودِ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ  
وَتَجَلِّيَّاتِهِ ، مَعَ نَظَرٍ عَامَةٍ عَلَى النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَقَوَاهُمَا الظَّاهِرَةِ وَالْخَفِيَّةِ ،  
وَتَبْسِيطٍ لِمَعْنَى تَرْبِيَةِ النَّفْسِ وَتَزْكِيَّتِهَا وَالسَّمُو بِهَا ، وَقَدْ تَعَرَّضْنَا فِيهِ لِبَعْضِ  
الْمَعَانِي الدَّقِيقَةِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَبَعْضِ أَحَادِيثِ رَسُولِ  
اللَّهِ ﷺ .

## ● السَّيْرُ وَالسَّلُوكُ :

فَالْجُزْءُ الْأَوَّلُ هُوَ دَلِيلُ السَّلُوكِ وَإِقَامَةِ شَعَائِرِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ  
صَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَحَجٍّ ، وَهَذِهِ أَحْكَامٌ أَوْجَزْنَا هَا مِنْ الْمَرَاجِعِ  
الْفَقْهِيَّةِ ، وَأَعَدْنَا تَرْتِيبَهَا وَعَرَضْنَا ، بِمَا يَنَاسِبُ الْعَصْرَ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ ،  
دُونَ تَعْلِيقٍ وَلَا اجْتِهَادٍ مِنَّا .

أما الجزء الثاني وهو دليل السير بالقلب والنفس إلى رضوان الله تعالى وأنواره ، فقد كان حديثاً طويلاً بينى وبين القارئ ، خاطبته فيه بمنطقه وعقله هو ، فكان لزاماً أن أحاور وأداور واستشهد وأقدم وأحجم معه ، حتى أعرض بضاعتي عليه ، وحتى أقنعه بما أعرضه .

وفي الحقيقة لا غنى للمسلم عما جاء في الجزئين ... الأول لتربية ظاهره ، والثاني لتربية باطنه الروحي .. ، والله تعالى هو الظاهر والباطن .. ولا بد أن تكون عبادة الله بالظاهر والباطن ، فأحكام الصلاة من طهارة وركوع وسجود لازمة للمسلم .. وهذا هو الشق الظاهر .. والخشوع في الصلاة لازم أيضاً ، وهذا هو الشق الباطن .

والامتناع عن الطعام والشراب ، وما ينقض الصيام ، لازم لأداء الصوم ... ، وهذا هو الشق الظاهر .. ، ومراقبة الله تعالى في صيامه ، وحسن الخلق ، والأدب مع الله ، هو الشق الباطن ..

فباجتماع الظاهر مع الباطن تتم عبودية العبد وعبادته ، وهذه هي التجارة مع الله تعالى ... سير .. وسلوك ..

يقول تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ

تَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

ويقول جل شأنه : ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا

جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢) .

(١) سورة الزخرف آية : ٧٢ .

(٢) سورة الأحقاف آية : ١٤ .



ويقول : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجْرَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ

عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ ١٠ .

وقول رسول الله ﷺ : ” لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ .. قَالُوا وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ “ ، يدلُّ دلالةً واضحةً على أن دخول الجنة أصلاً لا يكون إلا برحمة الله تعالى .. فبدونها لا يكون للعبد نصيب ... حتى أعماله لا تُجدي .. فإن العمل من العبد يلزمه الإخلاص ، ثم الإتمام ، والكمال .. ثم التزكية من الله تعالى .. فيطهره جلَّ شأنه ، ثم يُزكِّيه ، ثم يقبله ، ثم يُتمِّيه ، ثم يجعله شافعاً لصاحبه ، وكلُّ هذا بفضل الله تعالى ورحمته ، فيدخلُ العبدُ الجنةَ برحمة الله تعالى وفضله ، ثم تتفاوت درجاته في الجنة على قدر عمله ، وما زكاهُ الله مِنْهُ وقبله ونمَّاهُ لَهُ ، فافهم يا أخى هذا المعنى الدقيق .

ورغم أن هذا المكان ليس مكان الاستطراد والإفاضة ، إلا أننا نحب أن نشير إلى نقطتين :

الأولى :

من رحمة الله تعالى بالعبد أن يُحَبِّبَ إِلَيْهِ الإيمان ، وأن يزيِّنه في قلبه ، وأن يُوفِّقَهُ للأعمالِ الصالحة ، يقول الله تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ

---

(١) سورة الصف آية : ١٠ .

وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٥﴾ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ  
وَنِعْمَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ (١)

ويقول تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ (٢).  
فمن الواضح أَنَّ فضل الله تعالى ونعمته سابقة إلى العبد ، بشرح  
صدره للإسلام والإيمان وتوفيقه للعمل الصالح على قدر استطاعته ، حيث  
يقول تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا  
لِّأَنْفُسِكُمْ ۚ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٣) ...

ثم يأتي بعد ذلك دور العامل .. وكلُّ يعملُ على شاكلته .. على قدر  
يقينه ، وعلى قدر علمه ، وعلى قدر طاقته ، وعلى قدر إخلاصه ، وعلى قدر  
حُبِّه لله تعالى .. فعمل المؤمن غير عمل التقيِّ ، غير عمل الورع ، غير  
عمل البارِّ ، غير عمل المقرَّب ، غير عمل الصديق .. غير عمل النبي ... وقد  
يكون العمل في مظهره واحداً ، ولكنه يتفاوت في وزنه عند الله تعالى .  
يقول تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ  
لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (٤) .. والعبرة هنا بالكيفية ، ولم يقل ماذا  
تعملون ولكن " كيف " والكيفية تحوى الإتقان ، والإخلاص ، والخشية ،  
والمحبة ، وكثيراً من أعمال القلب في هذا العمل .

(١) سورة الحجرات آية : ٧ ، ٨ .

(٢) سورة الأنعام آية : ١٢٥ .

(٣) سورة التغابن آية : ١٦ .

(٤) سورة يونس آية : ١٤ .

انظر إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ عَلَّمُوا ﴾<sup>(١)</sup>

ويقول جلَّ شأنه : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾<sup>(٢)</sup> ويقول : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾<sup>(٣)</sup>

فهناك تفاوتٌ بين الخلق في خشيتهم من الله تعالى ، وفي حبهم له جلَّ شأنه ، وفي العلم به ... وهكذا .

ثم بعد كلِّ هذا وذاك يقول سبحانه : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾<sup>(٤)</sup> ، أى أن كلَّ علمهم ومعرفتهم وعملهم وخشيتهم ، إنما هي على قدر أقدارهم هم أنفسهم ، وعلى قدر طاقاتهم الإيمانية بالله تعالى .. ولكن الإطلاق هو أنهم جميعاً ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قدره ، ولا عبدوه حَقَّ عبادته ، ولا ذكروه حَقَّ ذكره ...

انظر إلى قوله ﷺ " سُبْحَانَكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ " .. فما عرف الله تعالى إلا الله ، وما قدَّسَ الله حقَّ تقدِّسه سواه هو تعالى ..

وبعد أن يَتِمَّ عمل العامل على قدره .. يتفضَّلُ الله تعالى على من أراد من عباده ، فَيُنْقِىَ هذا العمل من الشوائب التى فيه ، يقول تعالى:

﴿ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ﴾<sup>(٥)</sup>

(٢) سورة البقرة آية : ١٦٥ .

(٤) سورة الأنعام آية : ٩١ .

(١) سورة فاطر آية : ٢٨ .

(٣) سورة المائدة آية : ٥٤ .

(٥) سورة النساء آية : ٤٩ .

ويقولُ جَلَّ شَأْنُهُ : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ <sup>(١)</sup> ،

ثم يقبله تعالى عنده ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ <sup>(٢)</sup> ،  
ثم ينميه له، يقول تعالى : ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ﴾ <sup>(٣)</sup> ،  
فمرة يُؤْتَى الأجرُ لصاحبه مضاعفاً ، ومرة بعشر أمثاله ، ومرة بسبعمئة ضعفٍ ،  
ومرة يضاعفه الله تعالى لصاحبه كما يشاء سبحانه ، كما ذكر جَلَّ شَأْنُهُ في كتابه العزيز ....

ألا ترى إلى الرجل الذي سقى الكلبَ ماءً فشكر الله تعالى له وَغَفَرَ لَهُ وأدخله الجنةَ ، وماذا يساوى هذا الفعل القليل من العبد بالنسبة لحياته وأعماله الأخرى ، وبالنسبة لذنوبه وتقصيره مع الله تعالى!! .... فلولا أنه تعالى قد قَبِلَ منه هذا الفعل الصغير القليل ، ثم زَكَّاهُ وَطَهَّرَهُ وَنَمَّاهُ وَرَبَّاهُ عنده حتى ازداد وزنه عن كل الذنوب ، فَاسْتَحَقَّ بِهِ الجنةَ في ميزان الله تعالى ، لَمَا دخلَ الجنةَ بهذا العمل .

وهذا كله بفضل الله تعالى ورحمته .

فلا تناقض مطلقاً بين قول الله تعالى أن دخول الجنة والتمتع بدرجاتها يكون بالأعمالِ وعلى قدرِها ، وبين قولِ رسوله ﷺ أن دخول الجنة إنما هو بفضلِ الله تعالى ورحمته .



(٢) سورة المائدة آية : ٢٧ .


(١) سورة الأحقاف آية : ١٦ .

(٣) سورة البقرة آية : ٢٧٦ .

وإيجازاً لما جاء في هذه النقطة نقول أَنَّهُ إِن لَّمْ يَسْبِقْ فَضْلُ اللَّهِ  
 وَرَحْمَتِهِ إِلَى الْعَبْدِ فَلَنْ يَعْمَلَ أَصْلًا الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ .. وَحَتَّى لَوْ فَعَلَهَا فَلَا  
 تُزَكِّي وَتُطَهِّرُ وَتَقْبَلُ وَتَنْمَى بِغَيْرِ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَحْمَتِهِ ... فَالْفَضْلُ كُلُّهُ  
 لِلَّهِ تَعَالَى أَوَّلًا وَأَخِيرًا ﴿ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ  
 مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ <sup>(١)</sup>.

الثانية :

يقول تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾  إِلَّا مَن آتَى اللَّهَ  
 بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾  <sup>(٢)</sup> ،

ويقول تعالى : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ <sup>(٣)</sup> ،  
 ويقول : ﴿ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، ويقول : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى  
 الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾  <sup>(٥)</sup> ، ويقول : ﴿ فَأَمَّا  
 الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زِينٌ فَيَسْتَبِيعُونَ مَا تُشَبِّهُ مِنْهُ ﴾ <sup>(٦)</sup> ويقول : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ  
 قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ <sup>(٧)</sup>.

إذاً .. فهناك قلبٌ سليمٌ ، وقلبٌ مريضٌ ، وقلبٌ به زِينٌ ، وقلبٌ به

(١) سورة النور آية : ٢١ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٠ .

(٣) سورة الحج آية : ٤٦ .

(٤) سورة البقرة آية : ٧٤ .

(٥) سورة الشعراء آية : ٨٨ ، ٨٩ .

(٦) سورة الأحزاب آية : ٣٢ .

(٧) سورة آل عمران آية : ٧ .

قسوة ...، واللّه سبحانه وتعالى يريد منا القلب السليم النقيّ الطاهر ..  
المُطَهَّر من أمراض القسوة والنفاق والرياء وكل الأمراض الأخرى.  
وهذا أمر باطنى .. فَعَلِمُ القلوب عند رَبِّى ... ولذلك قال تعالى  
﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ (١).

وماذا يكون فى القلوب غير التوحيد ، والإخلاص ، والتقوى ،  
والورع ، والخشية ، والهيبة ، والمحبة ، والشكر ، والتوكل ، والرضا ،  
والتسليم وصدق النيات !!! ، وكلها وكذلك أضدادها ، إنما هى أمور  
باطنية فى القلوب .. وهى التربة الحقيقية التى تزرع فيها أعمال العباد، فإن  
كانت التربة صالحة زكية ترعرعت فيها هذه الأعمال ونمت وبورك فيها،  
وإن كانت غير صالحة رُدَّت على صاحبها ، ولُطِمَ بها وجهه والعياذ باللّه، ولم  
يُكْتَبْ لصاحبها أى عمل منها ، كما يقول تعالى : ﴿ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ  
تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا  
كَسَبُوا ﴾ (٢) ... فَإِنَّ أَعْمَالَهُمْ ضَاعَتْ ، وأضحت هباءً منثورًا ..

فسير القلوب إلى اللّه تعالى ، وطهارتها وسلامتها هو الأساس فى  
عبادة اللّه تعالى ، ورضا اللّه عن عبده ، وهذا ما يسمى بالسير إلى اللّه  
تعالى .. بينما تسمى الأفعال بالسلوك إلى اللّه تعالى ، وبالسلوك والسير يتم  
للعبد عبادته لله جلَّ شأنه ، فالله هو الظاهر والباطن ، فحضرات الله  
الظاهرة فيها مظهر العبودية من العبد بالأفعال والعبادات ، وحضرات الله

(١) سورة النجم آية : ٣٢ .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٦٤ .

تعالى الباطنة فيها سرُّ العبودية من العبد بأعمال القلب.

وأعمالُ القلوب هذه لا توضع في ميزان عند الله تعالى ، لأنها أكبر وأعظم من الميزان ، إنَّما الميزان للأعمال ، وما في القلوب إلاَّ عظمة الله تعالى وتوحيده وتقديسه ، وكيف توزن هذه العظمة . !! ولكن يكون أجر أعمال القلوب الهباتُ من الله تعالى والعطايا منه لعبده من واسع فضله وعظيم رحمته .

وبهذا التقديم المبسَّط تجد أن العابدين لله تعالى ينقسمون إلى صنفين :

الأول :

صنفُ وفقه الله تعالى للتجارة معه جَلَّ شأنه ، وغلب عليه السلوك والأعمال وأفعال السير الظاهرة .

الثاني :

صنفُ وفقه الله تعالى للتجارة معه جَلَّ شأنه ، وغلب عليه السير والقرب من الله بالأعمال الباطنية.

ولكن إعلم أن الصنف الأول لا بُدَّ أن يكون له نصيب من أعمال القلوب ، كما أن الصنف الثاني لا بُدَّ وأن يكون له نصيب من أعمال الجوارح الشرعية .. ولكن مقصودنا من هذا التصنيف أن قوما غلب عليهم الظاهر ، وقوما غلب عليهم الباطن ، والصنفان مجذوبان إلى الله تعالى ، ولكن لكل منهما قدراته التي تناسب روحه وجسده..

يقول تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ

وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطِلاً  
سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ <sup>(١)</sup> ، فجعل الله تعالى الإنشغال  
بالتفكير في ملكوت السماوات والأرض أعلى درجات العبادة ، وهي  
المرحلة الأعلى ، بعد أن يكون العبد قد استغرقه ذكر الله تعالى في جميع  
أحواله ، من قيام وقعود، بل ونوم ويقظة ، وإعمال الفكر يكون بالقلب  
والسكون ، وهي أعمال باطنية ..

ولكن لاحظ أن السلوك إلى الله تعالى ينقطع بموت العبد .. لأن  
الميت انقطع سعيه ، وانقطعت أعماله بموته ، فيحشر المرء على ما مات  
عليه كما قال ﷺ فيما رواه مسلم وابن ماجه عن ” جابر “ : ” يُبْعَثُ كُلُّ  
عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ “ حديث صحيح.

وكما قال عليه الصلاة والسلام ” إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا  
مِنْ ثَلَاثٍ : صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ ، أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ “ كما  
رواه البخاري ومسلم والترمذي عن ” أبي هريرة “ ، ولاحظ أن ما ذكره  
الرسول ﷺ هو كله من أعمال العبد في حياته ، ولكن يظل الميت يحصد  
ثوابها ، طالما أن لها نفع للناس في الدنيا ، فبقاء أثرها في الدنيا يفيد  
الميت ، لأن هذا الأثر نتيجة لأعماله .. أما عمله بجوارحه فقد انقطع  
بموته...

أما سير القلوب إلى الله ، والأعمال الباطنية التي ذكرناها ، فإنها

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٩١.



من أفعال القلوب والأرواح .. والأرواح لا تفنى بالموت .. بل تظل على ما هي عليه .. وأعمالها مستمرة ... ويكون ما انشغلت به في الدنيا هو نفسه ما تشغل به في الآخرة ... فإذا أَحَبَّ الْعَبْدُ رَبَّهُ بقلبه وروحه قبل الموت، فبعد الموت حُبُّهُ أَشَدَّ .. وقربه أعظم ، ... فقد انقشَحَ حِجَابُ الْمَادَّةِ ، وتخلَّصَ من قيودها .. وانطلق إلى الله تعالى ، حيث يزيده الله من فضله ، لا فارق بين موته وحياته ... بل إِنَّهُ بِمَوْتِهِ يُصْبِحُ أَكْثَرَ انْطِلَاقًا وَصَفَاءً...

ويضرب الله تعالى لذلك مثلاً بالشهداء ... فإنهم أحياء عند ربهم يرزقون .. ورزقهم في الآخرة ليس من رزق أهل الدنيا .. فهو ليس الطعام والشراب .. ولكنها درجات وأنوار وتجليات لا يعلمها إلا الله تعالى ..

وهذا الثواب العظيم لا يخطر على بالك أنه نتيجة لأفعالهم.. فقد لا يكون لهم فعل يُذَكَّرُ ، فقد يذهب للحرب ، وقبل أن يرفع سيفه يكون قد قُتِلَ ... ولم يقل جَلَّ شأنه أَنْ مَن قَتَلَ عَشْرَةَ ، أَوْ مَن قَتَلَ مائة من الكفار يكون له ثواب الشهادة .. ولكنَّهُ حَدَدَهَا بِرَجُلٍ أَحَبَّ الله تعالى ، وَأَحَبَّ نَصْرَهُ ، وَنَصَرَ حَزْبَهُ ، وَنَصَرَ كَلِمَتَهُ ، فهانت عليه الدنيا ، وتعلق بالله تعالى ، وباع نفسه له ، فذهب مع المجاهدين قاصداً وجه الله ... فَقُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وهو على هذه النِّيَّةِ ، حتى وإن لم يرفع سيفه أو يقتل كافراً ..

فالجزاء على ما في القلب من صِدْقِ النِّيَّةِ فِي حُبِّ اللَّهِ ، وتعظيمه ، والغيرة على دينه ، والحرص على نُصْرَةِ كَلِمَتِهِ ، والزهد في كل ما سوى الله .... وهذا كله من أعمال القلوب ....

فإن عاد من هذه الحرب فهو من المجاهدين ، وله أجره العظيم

عند الله تعالى بلا شك ، على قدر ما أبلى وقَدَّمَ ...

فإن قُتِل ، وسالت نفسه ، وأريق دمه ، وهو على هذه النية العظيمة ، فقد حَسُنَ خِتامُه ، وفاز بِحُسْنِ الخاتمة ، فهو من الشهداء المذكورين .. والقتلُ عملٌ سلبي وليس بإيجابي ، فهو لم يقتل نفسه .. بل قتله الكفار ، ففاز بالشهادة ، ثمنا لدمه ونفسه وحسن ختامه في سبيل الله ، فتنبه للفارق بين الحالتين .

وهذان الصنفان من العباد : أهل الظاهر ، وأهل الباطن إذا جازت لنا هذه المُسمَّيات يدورون في عبادتهم وِصَلَتِهِمُ بالله تعالى حول محورين أساسيين ...

الأول هو صدق الإيمان بالله تعالى ..

والثاني الصدق في معاملة الله تعالى ...

صدق في الإيمان ، وصدق في النية ، وصدق في العمل ظاهراً باطناً ، وصدق في معاملة الله تعالى ...

فإن صدقَ العبدُ بتوفيق الله تعالى في مجاهدة نفسه وفي الإقبال على فعل الخيرات وترك المنكرات ، ينقله الله تعالى من درجة الإيمان العام إلى درجة الإيمان الخاص ... يقول ﷺ ” إِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا “ حديثٌ صحيحٌ ، رواه البخاري ومسلم عن ” ابن مسعود “ ، وانظر إلى خِطَابِ الله تعالى حيث يقول : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ

الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾

وقوله جَلَّ شَأْنُهُ : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ (٢)

وقوله : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِءُ مُؤْمِنُونَ ﴾ (٣).

فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُوَدِّبُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَزِيدٍ مِنَ الْأَدَبِ مَعَهُ ،  
بِالْخُشُوعِ وَالتَّقْوَى وَالتَّوْبَةِ وَغَيْرِهَا ، لِيَنْقُلَهُمْ مِنَ الدَّرَجَةِ الْعَامَّةِ لِلْإِيمَانِ إِلَى  
الدَّرَجَاتِ الْخَاصَّةِ مِنْهُ ...

فَالْإِيمَانُ دَرَجَاتٌ ... وَمِنْهُ الْعَامُّ .. وَمِنْهُ الْخَاصُّ .. وَبِلِيَةِ التَّقْوَى ..  
وَبِلِيَةِ التَّقْوَى الْإِحْسَانُ ، حَيْثُ يَدْخُلُ فِي مَقَامِ الْأَبْرَارِ ، ثُمَّ يَكُونُ فِي مَقَامِ  
الْمُقَرَّبِينَ .

يقول تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِءُ مُؤْمِنُونَ ﴾ (٤).

ويقول : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾ (٥).

ويقول : ﴿ إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا

وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٦).

ويقول : ﴿ كَلَّا إِنْ كَتَبَ الْأَبْرَارُ لَفِي عِلِّيَّينَ ﴾ (٧).

(١) سورة النور آية : ٣١ .

(٢) سورة الحديد آية : ١٦ .

(٣) سورة المائدة آية : ٨٨ .

(٤) سورة المائدة آية : ٨٨ .

(٥) سورة الأنفال آية : ٢٩ .

(٦) سورة المائدة آية : ٩٣ .

(٧) سورة المطففين آية : ١٨ .

ويقول : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (١).

ويقول ﷺ : ” لا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَدَرًا مِمَّا بِهِ بَأْسٌ “ رواه التِّرْمِذِيُّ وابن ماجه والحاكم ، وهو صحيح.

فهذه كلها درجات من درجات الإيمان والإحسان ، ولكل درجة منها أدب مع الله تعالى وسلوك وسير يناسب هذا المقام .

### • الصادقون والصدّيقون:

يقول تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ

لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١﴾ ﴾ (٢).

فأهل الجهاد مع النفس في الله تعالى يرفعهم ربهم بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ من درجة إلى درجة ، ويزيدهم من فضله جَلَّ شَأْنُهُ ، بل إن هناك درجة أعلى وأَعَزُّ وأَكْرَمُ عند الله تعالى .. حيث يقول تعالى : ﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿١٢﴾ ﴾ (٣).

وهناك فارق بين الصادقين والصدّيقين، فدرجة ” الصّدّيقية “ تلي النبوة مباشرة ... وهم صفوة عباد الله تعالى

(١) سورة الواقعة آية : ١٠-١١ .

(٢) سورة العنكبوت آية : ٦٩ .

(٣) سورة النساء آية : ٦٩ .

دون النبوة والرسالة مباشرة.

ويقول تعالى: ﴿اللَّهُ تَجَتَّى إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (١).

وظاهر معنى الآية يدلُّ على أن هناك نوعين من المقربين إلى الله

تعالى ...

الأول : أهل الاختيار .. وهذا اختيار من الله تعالى واصطفاء منه  
جَلَّ شأنه لعبده ، فالله تعالى يَخْلُقُ ما يشاءُ ، ويختار ما يشاءُ ، ويفعل ما  
يشاءُ بقدرته وعزَّته وعظمته ، ولا حول للعبد في هذا ولا قوة ولا فضل ، ألم  
يقُلْ جَلَّ شأنه : ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ  
أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (٢).

والثاني : أهل الإنابة .. وهم أهل المجاهدة مع النفس وأهل  
التوبة وأهل التخليط بين الأعمال الصالحة وغيرها.

فالنوع الأول : محبوبٌ عند الله ، موكولٌ إلى الله تعالى ،  
يتولاه بعنايته ورعايته ولا دخل للعبد في شيء من هذا ، بل خلقه  
الله ، واختاره وأدبَه وعَلَّمَه واصطفاه وأوصله إلى ما كتبه الله له في  
علمه القديم .

والنوع الثاني : مُحبٌّ لله تعالى يُجَاهِدُ الهوى والنفس ويعلو  
ويهبط ، ويتوب ويرجع ، ويتقدم ويتأخر ، حتى ينتقل من مقام إلى مقام ،  
وحتى يصل إلى ما كتبه الله له في علمه القديم .

(١) سورة الشورى آية : ١٣ .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٦٩ .

والفضل لله تعالى على الجميع ، ولكن فرق بين الطالب والمطلوب ، وفرق بين المحب وسعيه للمحبوب ، وبين المحبوب ورعاية المحب له .....

فالنفس والهوى والشيطان لا يتركان السبيل إلى الله ممهداً أمام العباد ، فهناك زلات وسقطات ومشاق وفتن كثيرة ، مع محن وابتلاءات ، يُختبر بها هذا السالك إلى الله تعالى .. فإن الله العزيز العظيم ذو الجلال والإكرام لا بد وأن تكون طريق معرفته ، والتقرب منه جلّ شأنه فيها الخطر العظيم والمشاق الصعاب ، حتى يفوز العبد في النهاية بأعلى مطلوب وأعلى محبوب .. فإن كان مطلوبك ومقصودك هو الله تعالى ، فالأمر جلّ وجلّ وخطر ، بل ولا بد من وجود دليل لك ، سلك قبلك هذا الطريق ليدلّك على أسرارهِ وعقباتهِ ، وكما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ الرَّحْمَنُ فَسَّالٌ بِهِ خَبِيرًا ﴾ (١) .

فمن قصد وجه الله تعالى وأحبه واشتاق إليه ، فهذا أمره غير أمر الذي يتاجر مع الله تعالى ويرجو الثواب ويخشى العقاب ... فالمحب لله تعالى حريص على إرضائه ، مكتفي بحبه ، مؤتنس بوحدايته ، غريب عن الخلق والأكوان .. لا يريد الدنيا ولا يريد الآخرة ، لأن الاثنين من طلبات النفس ورجائها في النعيم لها ، إمّا في الدنيا وإمّا في الآخرة ، فهو في الحالتين يعتمد على عمله ، لكسب نفسه سعادة بالحياة الطيبة في الدنيا أو بالسعادة

---

(١) سورة الفرقان آية : ٥٩ .

بالجنة وما فيها من نعيم .. وهذا وإن كان أمره طيباً ومطلوباً ، إلا أن الثاني القاصد وجه الله تعالى ، المُحِبُّ له ، لا يرتضى عن الله تعالى بديلاً ، لا بدنيا ولا بآخرة .. فقصده وجه الله لا غير ، وغير مشغول بنواب أو عقاب .. بل مقصوده أعزُّ من ذلك وأغلى...

يقول تعالى : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾<sup>(١)</sup>

ويقول : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾<sup>(٢)</sup>.

فهؤلاء صفوة العباد لله تعالى .. قوم يحبون الله تعالى ويحبهم الله تعالى ، هم خالصون له ، لا تشغلهم الدنيا ولا الآخرة .

روى الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس رضي الله عنهما قول رسول الله ﷺ ”الدُّنْيَا حَرَامٌ عَلَى أَهْلِ الْآخِرَةِ ، وَالْآخِرَةُ حَرَامٌ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا ، وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ حَرَامٌ عَلَى أَهْلِ اللَّهِ “ حديث حسن.

وهؤلاء الصفوة لهم سير إلى الله تعالى خاص بهم.

ذلك أن هناك عالم بالله تعالى .. وهناك عالم بأوامر الله تعالى ، فالعالم بأوامر الله هو الذي أحكم العلم بالحلال والحرام ، والأوامر والنواهي ... فهذا إذا عبد الله تعالى وأناب وجاهد نفسه ، صار

(١) سورة الكهف آية: ٢٨.

(٢) سورة الأنعام آية: ٥٢.

ولياً لأوامر الله تعالى ، فهو وليُّ حقوق الله تعالى ، وهي درجة من درجات الولاية .

أما العالمُ بالله جَلَّ وعلا فذاك عالمُ بأسمائه وصفاته وتجليّاته .. فعاش فيها ، وانشغل باطنه بها ، واشتعلت روحه بنور المحبة لله تعالى .. فإن أخلص واستقام كان ولياً لله تعالى ، وهي الدرجة الأعلى من الولاية لِحَقِّ الله جَلَّ شأنه ....

وأصل الولاية .. هو ولاية الله تعالى لكلِّ المؤمنين : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾<sup>(١)</sup>.

ويقول : ﴿ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> . وهذه هي الولاية العامة من الله لكل المؤمنين .

ويقول تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿ ١٢٣ ﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾<sup>(٣)</sup> .

فالله تعالى هو الوليُّ ، يتولى العبد بالرعاية والحفظ والهداية ، والعبد كذلك يُطَلَقُ عَلَيْهِ الوليُّ إذا وَلِيَ الله تعالى بِالْعِبَادَةِ والطاعة والمحبة بصدق الإلتجاء إليه ، فهي صفةٌ من صفات الله تعالى مضافة للعبد.. وفيها العموم وكذلك فيها الخصوص .

(٢) سورة الأعراف آية : ١٥٥ .

(١) سورة البقرة آية : ٢٥٧ .

(٣) سورة يونس آية : ٦٢-٦٤ .



فإذا وَلِيَ اللّهُ سبحانه عبداً بالهداية والرشاد ، وَوَلِيَ العبدُ ربّه بطاعته والمحبة وصدق العبوديّة ، ألا تَرَى أَنَّهُ فى هذه الحالة لا بد وأن تنشأ علاقة خاصة بين العبد وربّه ، أو بين الحبيب وحبيبه ، لها آدابُ خاصة ، ولها مذاقُ خاص ، ولها مظاهر خاصة ، تناسب هذا المقام السامى !!.

وهل تكفيك أيّها القارئ الكريم هذه المقدمة الطويلة لتقف على أعتاب معنى حديث رسول الله ﷺ عندما سأله سيدنا جبريل عن الإحسان فقال ﷺ : " أَنْ تَعْبُدَ اللّٰهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ " .

وهل وقفت على أبواب معنى قول الصحابى الجليل " حارثة " أو " حذيفة " (على روايتين) عندما سأله رسول الله ﷺ : " كَيْفَ أَصْبَحْتَ ؟ .. " فقال الصحابى " أَصْبَحْتُ بِاللّٰهِ مُؤْمِئًا .. " فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ " كُلَّ حَقٍّ حَقِيقَةٌ .. فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ .. " فقال رضى الله عنه : " عَزَفْتُ نَفْسِي عَنْ الدُّنْيَا ، فَاسْتَوَى عِنْدِي حَجْرُهَا وَمَدْرُهَا (أى ثَرَابُهَا وَذَهَبُهَا) ، وَلَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ مَا ازْدَدْتُ يَقِينًا ، وَكَأَنَّنِي أَرَى عَرْشَ الرَّحْمَنِ بَارِزًا ، وَكَأَنَّنِي أَرَى أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ ، وَكَأَنَّنِي أَسْمَعُ أَهْلَ النَّارِ يَتَعَاوَنَ فِيهَا " ... !!

أرأيت كيف كُشِفَ حِجَابُ المادّة عن الصحابى الجليل وعاش مع ربّه ، وأنوار ربّه ، وتجليّات ربّه ، وهو يحدثُ رسول الله ﷺ بما يشعر به

ويعيش فيه ... !! وهل فهمتَ قول رسول الله ﷺ عندما سَمِعَ مقالته فقال له ” عرفت فالزم .. عرفت فالزم “..... !!

والصادقون بمراحليهم ودرجاتهم .. والصدّيقون بمرتبتهم العلية والمقربون بمغازيتهم العظيمة .... كل هؤلاء هم أهلُ الإحسان .  
جعلنا الله تعالى منهم بفضله وكرمه وإحسانه ، وثبّت أقدامنا ، وأتمّ نعمته علينا ، وله الحمد في الأولى والآخرة .  
مقدمة طويلة اعتذر عنها .....

ولنا في فصول الكتاب التالية تفسير أوضح بتوفيق الله تعالى .  
وصلّ الله وسلّم وبارك على إمام أهل الإحسان ، وسيد المقرّبين وخير المحبّين المحبوبين ، وعلى آله وصحبه ونحن معهم أجمعين .

الباب الأول  
الإحسان



## الإحسان والعبودية :

الإحسان لغةً معناه الإتقان والإجادة ، وكذلك معناه الفضل والزيادة ،  
فالذى يُحسِنُ عَمَلًا يستدعى منه ذلك أن يستفرغ علمه كُلَّهُ ومهارَتَهُ كُلَّهَا  
لِحُسْنِ أَدَاءِ العمل حتى يكون فى درجة الكمال أو قريباً منها ...

فالعلم بالصنعة وأسرارها وحده لا يكفى .. بل لا بد من بذل الجهد  
اللازم لحسن الأداء وتطبيق العلم والمعرفة ...

والخلقُ يتفاوتون فى العلم والمعرفة ، كما أنهم يتفاوتون فى  
القدرات ، ولذلك كان إتقانهم أو إحسانهم للأعمال متفاوت الدرجات ،  
والكلُّ يَظُنُّ نفسه قد أحسن ...

لذلك يأتى التعريف الدينى الشرعى للإِحْسَانِ ليقيسَ كل مسلم  
عمله عليه ... فيقول ﷺ : ” الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ  
تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ “ ، وبذلك وضع ﷺ حدود مرتبة الإحسان مع الله  
تعالى .. وجعله بين مراقبة الله تعالى ، ومشاهدته بالمعنى الشرعى  
الصحيح ، كما سيأتى تفصيلاً بإذن الله تعالى ...

فإذا لم يصل العبد إلى مرتبة مراقبة الله تعالى فى كل أفعاله  
الظاهرة والباطنة ، وإنْ لَمْ يشاهد الله تعالى فى كل أفعاله  
بالمعنى الشرعى الصحيح ، كما يقول جَلَّ شَأْنُهُ : ﴿ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ

وَجْهَ اللَّهِ ﴿<sup>(١)</sup>﴾ .. فما دخل بعدُ في مقام الإحسان !!

والإحسان معناه كذلك الفضلُ والزيادة عن حد الاعتدال ... فمن أخذ الحقَّ بالحقِّ فهو من أهل العدل ... ومن عَفَا وأصلح فهو من أهل الإحسان ...

يقول تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ <sup>(٢)</sup>.

ويقولُ جَلَّ شأنه : ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ <sup>(٣)</sup>

ويقول ﷺ : ”إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ“  
رواه البيهقي عن ”عائشة“ رضى الله عنها ...

ويقول عليه أفضل الصلاة والسلام ”إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ كَتَبَ  
الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا  
الذَّبْحَةَ ، وَلِجِدِّ أَحَدِكُمْ شَفْرَتَهُ ، وَلِيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ“ حديثٌ صحيح ، رواه  
أحمد ومسلم والترمذي عن ”ابن ماجة“ .

فالأمر إلينا من الله ورسوله بالإحسان فرضٌ وليس نافلة كما يتصور  
البعض ، فإن الله تعالى كما قال ﷺ : ”طَيِّبُ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا“ ،  
والعملُ الطَيِّبُ يلزمه الإِتقان نيةً وأداءً .

وبين لنا جَلَّ شأنه في كتابه العزيز ، الطريق للوصول إلى الإحسان

(٢) سورة النحل آية : ٩٠ .

(١) سورة البقرة آية : ١١٥ .

(٣) سورة البقرة آية : ١٩٥ .

حيث يقول : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ <sup>(١)</sup> .  
ويقول : ﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ  
بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ <sup>(٢)</sup> .

ويقول : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا  
وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ تَحِبُّهُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

• فالإسلام هو إسلام الوجه إلى الله تعالى وتسليم كل أمورك  
إليه ، وتوجيه كل النية الصادقة إلى الله تعالى في عبادتك  
وعاداتك ..

• والإيمان هو صدق اليقين بصفات الله تعالى وأسمائه  
الحسنى ، وإدراك هذه المعانى ذوقاً وشهوداً بالقلب والنفس  
والروح .

• ثم يأتى دور التقوى لتزيد من درجة الإيمان ..  
وأول ما يتقى العبد هو أن يتقى ما حرم الله تعالى .. ثم يتقى ما  
اشتبه عليه بين الحرام والحلال .. ثم يتقى فضول الحلال فيترك ما لا بأس  
فيه ، خوفاً من الوقوع فيما فيه بأس ... ثم يتقى الحلال ، فلا يأخذ منه إلا  
على قدر ضرورته ، لا على قدر نهمته وشهوته ... ثم يتدرج حتى يتقى كل

(٢) سورة لقمان آية : ٢٢ .

(١) سورة النساء آية : ١٢٥ .

(٣) سورة المائدة آية : ٩٣ .

ما سوى الله تعالى .. ولا يشغل بالدنيا إلا على قدر الضرورة التي تبيح له الحياة .. ويجعل كل سعيه وجهده في سبيل الله تعالى وابتغاء مرضاته .

• ثم تأتي بعد ذلك مرتبة الإحسان بما فيها من مراتب ذوق الشهود والرؤيا كما قال عليه السلام ...

• يُحكى عن سيدنا الإمام جعفر الصادق ، رضى الله عنه أنه كان يتوضأ من إبريق ماء يحمله عبده .. فسقط الإبريق من يد الغلام على أنف الإمام جعفر ، رضى الله عنه ، وكُسِرَ أنفه ، وسال منه الدم ... ، فأدرك العبد أنه هالكٌ لامحالة .. ، فقال لسيده ” والكاظمين الغيظ ” .. فسكن غضب الإمام ، وقال لغلامه ” كظمتُ غيظي “ .... ، فأكمل الغلام ” والعافين عن الناس “ ، فتبسّم الإمام ، وقال ” قد عفوت عنك “ .. فاستبشر الغلام بكرم سيده فأكمل ” والله يحب المحسنين “ ، فقال له الإمام ” إذهب فأنت حر “ ، ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ <sup>(١)</sup>.

فانظر إلى تقوى الإمام ، وورعه ، وإحسانه حيث جازى المسيء إليه ، المُهْمِلَ في أداء واجبه ، بأن أعتقه لوجه الله تعالى ، رحمةً بالعبدِ وابتغاء وجه الله تعالى ورضوانه ....

ولكى تعلم درجة الإحسان عند الله تعالى فانظر إلى قوله جلَّ

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٣٤ .



شأنه : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ <sup>(١)</sup>

و يقول : ﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ  
الْمُحْسِنِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup>

وما ظنك بعبد من عباد الله يُدَلِّلُهُ الله تعالى ويكرمه ويراضيه  
ويقول له : " لك ما شئت كما تريد " ...!! بل انظر إلى وصف الله تعالى  
لصفوة خلقه ، وهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، حيث  
يقول : ﴿ سَلَّمَ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup> إِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ  
﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ <sup>(٤)</sup>

ويقول : ﴿ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ <sup>(٥)</sup> كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ  
﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ <sup>(٦)</sup>

ويقول : ﴿ سَلَّمَ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ <sup>(٧)</sup> إِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِي  
الْمُحْسِنِينَ ﴿ إِنِّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ <sup>(٨)</sup>  
ويقول : ﴿ سَلَّمَ عَلَىٰ إِيَّاسِينَ ﴾ <sup>(٩)</sup> إِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِي

(١) سورة آل عمران آية : ١٣٤ ، ١٤٨ ، سورة المائدة آية : ٩٣ .

(٢) سورة الزمر آية : ٣٤ . (٣) سورة الصافات آية : ٧٩-٨١ .

(٤) سورة الصافات آية : ١٠٩-١١١ . (٥) سورة الصافات آية : ١٢٠-١٢٢ .

الْمُحْسِنِينَ ﴿٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٢﴾<sup>(١)</sup>.

فَاللَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ يَمْتَدِّحُ أَنْبِيََاءَهُ الْكَرَامَ - بعد كمال إيمانهم ...!! - أَنَّهُمْ هُمْ أَهْلُ الْإِحْسَانِ .

ويحق لنا هنا أن نتوقف وقفةً قصيرة ...

يقول جَلَّ شَأْنُهُ : ﴿ ذُرِّيَّةً مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا

شَكُورًا ﴾ ﴿٣٢﴾<sup>(٢)</sup> ، ويقول جَلَّ شَأْنُهُ : ﴿ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ

إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ﴿٣٣﴾<sup>(٣)</sup> ، ويقول : ﴿ وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ﴾ ﴿٣٤﴾<sup>(٤)</sup> ،

ويقول : ﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ ﴿٣٥﴾<sup>(٥)</sup> ، ويقول : ﴿ وَادْكُرْ

عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ ﴿٣٦﴾<sup>(٦)</sup>.

ف نجد أن الله تعالى قد مدح أنبياءه الكرام بإطلاق صفة العبودية

عليهم ، وفي الآيات الأخرى بإطلاق صفة الإحسان كذلك ...

والربط بين الصفتين واضح ... ذلك أن العبودية الحقّة تستلزم

الإتقان في أداء وظائف العبودية وتكاليفها الباطنة والظاهرة .. مع

الاسترسال مع الله تعالى بكليته في كلِّ أحواله .... فروحه .. وقلبه ..

ونفسه .. وجسده كلهم تحت طاعة العبودية المطلقة ، وتحت سلطان

الألوهية وعظمتها ... فالذي أتقن وأحسن في مقامه في العبودية لله

(١) سورة الصافات آية : ١٣٠-١٣٢ (٢) سورة الإسراء آية : ٣ .

(٣) سورة ص آية : ١٧ . (٤) سورة ص آية : ٤١ .

(٥) سورة الإسراء آية : ١ . (٦) سورة ص آية : ٤٥ .

تعالى .. لاشك أنه قد أحسن تعظيم الله تعالى ومحفته جلَّ شأنه.

فمقام الإحسان كما هو ظاهر هو مقام العبودية الحقَّة لله تعالى .. وهى أعلى وأخصُّ صفة يطلقها الله تعالى على صفوة خلقه .. فقلوه تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ <sup>(١)</sup> ، يدلُّ على أنَّ مقام العبودية لله تعالى معناه أن العبد قد وفقه الله تعالى لأداء الرسالة التى خُلِقَ من أجلها .. ، ونال بذلك رضا الله عنه بصدق العبودية والإحسان فيها ...

فَتَنَّبَهْ - رَحِمَكَ اللهُ وَإِيَّانَا - عن أى مقام نتحدث .. وانطلق بقلبك وروحك معنا لنخلق فى هذه المذاقات السامية ، والمُذَرَّكَاتِ العَالِيَةِ العَالِيَةِ ... من كتاب الله تعالى .. وأحاديث رسوله الكريم الذى لاينطق عن الهوى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

• ولايتأتى للعبد أن يدخلَ فى مقام الإحسان هذا قبل أن يُتِمَّ وَيُكْمِلَ ويتقن إيمانه بالله تعالى ، قولاً ، وفعلاً ، وعملاً .. ، فيلتزم بتقوى الله تعالى ، ويدع ظاهر الإثم وباطنه ، ويستغرقه ذكر الله تعالى فى جميع أحواله قائماً ، قاعداً ، نائماً ، وبوجهه وجهه ووجهته وديناه وآخرته إلى الله تعالى لا يريد إلا وجهه جلَّ شأنه ، ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا

لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup>

(١) سورة الذاريات آية : ٥٦ .

(٢) سورة العنكبوت آية : ٦٩ .

## • الصادقُ والصديقُ:

والإيمان كما يقول ﷺ: ”بُضْعُ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً .. أَغْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَذْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ .. وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ “  
كما ذكره مسلم والنسائي عن ”أبي هريرة“ ، وكم بينهما من أمورٍ وأوامرٍ على العبد أن يقوم بها ، وبجاهد حتى يستقيم حاله الظاهر والباطن .. وعلى العبد الجهاد ، أَمَا الْهَدَى فَمِنْ اللَّهِ تَعَالَى فَضلاً مِنْهُ وَتَكْرُماً .

• والاهتمام كله يكون على القلب وما يشغله .. فَإِنْ قِيَمَتُهُ وَدَرَجَتُهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى إِنَّمَا هِيَ بِقَدْرِ مَا يَشْغَلُهُ وَمَا يَهْتَمُّ بِهِ ... سِوَاءِ أُمُورِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ .. أَوْ أُمُورِ الْآخِرَةِ ... أَوْ بَطْلِبِ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَحَبَّتِهِ وَرِضَاهُ ...

فرسول الله ﷺ يخبرنا أَنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً ، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ... أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ .... فَإِنَّ الْقَلْبَ بِمَا رُكِّبَ فِيهِ مِنْ نَفْسٍ وَرُوحٍ مَعًا ، هُوَ مَحَلُّ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .. فَإِنْ مَالَ إِلَى الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا .. فَقَدْ فَسَدَ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ ، وَإِنْ سَمَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَنْوَارِهِ فَقَدْ أَفْلَحَ وَفَازَ .. ، ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ دَوْرُ الْجَوَارِحِ ، وَهِيَ فِي النِّهَايَةِ الْمَطِيعَةُ لِمَا يَكُونُ فِي الْقَلْبِ مِنْ فُسَادٍ أَوْ تَقْوَى ، فَالْقَلْبُ هُوَ الْأَمْرُ الْحَاكِمُ .. وَالْجَوَارِحُ هِيَ عِبِيدَةُ الْمُتَفَضِّلِ .

يقول ﷺ ” الْقَلْبُ مَلِكٌ وَلَهُ جُنُودٌ ، فَإِذَا صَلَحَ الْمَلِكُ صَلَحَتْ جُنُودُهُ ، وَإِذَا فَسَدَ فَسَدَتْ جُنُودُهُ “ رواه البيهقي عن ”أبي هريرة“ .

• وَمِنَ الْمُعْتَادِ أَنْ يَكُونَ السُّلُوكُ وَالسَّيْرُ لِلْعَبْدِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى  
بِالْكِفِيَةِ التَّالِيَةِ - ولكن ليس هذا شرطاً ولا قانوناً ، فالله تعالى قادرٌ أن  
يفعل ما يريد كيف شاء بعبدِهِ في لحظة واحدة - ولكننا نتحدث عن عموم  
السُّلُوكِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ....

أ- الزهد بالقلب في شهوات الدنيا ، وعدم الانشغال بها ، إِلَّا عَلَى قَدَرِ  
الضَّرُورَةِ الَّتِي تَبِيحُ لَهُ الْحَيَاةَ الْكَرِيمَةَ الَّتِي تَنَاسَبُ مَسْتَوَاهُ .. وَلَا يَمْنَعُ الزُّهْدُ  
فِي الدُّنْيَا مِنْ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ مَشْغُولاً فِيهَا ، وَفِي مَظَاهِرِهَا ، وَفِي السَّعْيِ فِيهَا  
لِلْكَسْبِ الْحَلَالِ .. ، وَلَكِنَّ الْمَقْصُودَ هُوَ أَنْ تَكُونَ يَدَاكَ مَشْغُولَتَيْنِ بِالدُّنْيَا ،  
وَلَكِنْ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِاللَّهِ تَعَالَى ، فَلَا يَفْرَحُ بِمَا يَأْتِيهِ فِيهَا ، وَلَا يَحْزَنُ عَلَى مَا فَاتَهُ  
مِنْهَا .. إِنَّمَا يَكُونُ فَرَحُ الْمُؤْمِنِ بِفَضْلِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَرَحْمَتِهِ بِهِ لِأَخِيرِ .

ب- الْبُعْدُ عَنِ الْكِبَائِرِ وَالْمُنْكَرَاتِ .. ثُمَّ الصَّغَائِرِ وَالْأُمُورِ الْمَشْتَبِهَةِ ..  
وَالْمَسَارَعَةُ إِلَى التَّوْبَةِ الصَّادِقَةِ إِنْ زَلَّ وَسَقَطَ ، وَمَهْمَا تَكَرَّرَ الذَّنْبُ يَكْرُرُ  
التَّوْبَةُ الصَّادِقَةُ ... وَيَكْثُرُ مِنْ ذِكْرِ التَّوْحِيدِ وَالِاسْتِغْفَارِ ....

ج- الْقِيَامُ لِلَّهِ تَعَالَى بِالْعِبَادَاتِ الْمَفْرُوضَةِ وَلَا يَتَهَاوَنُ فِيهَا  
وَلَا يُسَوِّفُ فِي أَدَائِهَا.. وَيَلِي ذَلِكَ الْقِيَامُ بِأَدَاءِ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ  
قَدْرَ اسْتَطَاعَتِهِ .. ، وَحَتَّى تَصِيرَ الْعِبَادَةُ لَهُ عَادَةً لَا يَسْتَطِيعُ الْإِنْقِطَاعَ عَنْهَا ..  
وَكُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي إِزْدِيَادٍ ، وَيَكُونُ مَعَ اللَّهِ دَائِمًا ، بَيْنَ الْخَوْفِ مِنْ عِقَابِهِ ،  
وَالرَّجَاءِ فِي ثَوَابِهِ .

د- الرُّقْيَى بِالْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى فِي عِبَادَاتِهِ ، وَعَادَاتِهِ ، وَاقْتِرَابِهِ مِنْ  
سُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِحَاوُلِ أَنْ يَكُونَ ظَاهِرُهُ كِبَاطِنُهُ نَقَاءً وَصَفَاءً وَطَاعَةً

لِلَّهِ تَعَالَى ، وَبِتَلَمَسُ سُنَنَ الرَّسُولِ ﷺ فِي أَحْوَالِهِ ، مِنْ تَسْلِيمٍ ، وَتَصَدِيقٍ ، وَتَفْوِيزٍ ، وَتَقْوَى ، وَوَرَعٍ ، وَشُكْرِ وَغَيْرِهِمْ ، وَبِزِدَادٍ لِلَّهِ تَعَالَى ذِكْرًا بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ ، وَيُكْثِرُ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ .

هـ- يَرْتَقِي فِي مُعَامَلَتِهِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَنْتِظَارِ الثَّوَابِ عَلَى عِبَادَتِهِ وَأَعْمَالِهِ ، إِلَى يَقِينِهِ بِأَنَّ الْفَضْلَ كُلَّهُ لِلَّهِ تَعَالَى فِي تَوْفِيقِهِ فِي أَدَائِهَا ، فَتَصْبِحَ عِبَادَتُهُ مَعَ رَبِّهِ عِبَادَةَ الشَّاكِرِينَ ، الْمُؤَدِّينَ حَقَّ الشُّكْرِ لِلَّهِ تَعَالَى ، وَهَذِهِ دَرَجَةٌ أَعْلَى مِنْ دَرَجَةِ عِبَادَةِ الطَّامِعِينَ فِي الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ .. ، كَمَا تُصْبِحُ عِبَادَتُهُ لَيْسَتْ عَادَةً تَعُودُ عَلَيْهَا .. بَلْ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى .

و- إِذَا اسْتَقَامَ فِي عِبَادَتِهِ لِلَّهِ تَعَالَى بِبَدَنِهِ وَقَلْبِهِ وَرُوحِهِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ السَّابِقَةِ فَلَا بَدَّ وَأَنْ يَتَحَرَّكَ قَلْبُهُ لِمَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْإِحْسَاسِ بِعَظَمَتِهِ وَكِبَرِيَّائِهِ ، فَتُدَاخِلُهُ الْهَيْبَةُ مِنَ اللَّهِ جَلَّ شَأْنُهُ ، فَيَجِدَ لِعِبَادَتِهِ طَعْمًا وَذَوْقًا آخَرَ فِي مُعَامَلَتِهِ مَعَ خَالِقِهِ جَلَّ شَأْنُهُ ، وَيُذِيقُهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَلْبِهِ بَعْضَ أَنْوَارِ صِفَاتِهِ جَلَّ شَأْنُهُ ، فَيَمِيلُ بِطَبْعِهِ حِينَئِذٍ إِلَى عَوَالِمِ الْمَلَكُوتِ ... ، وَيَجِدُ لِعِبَادَتِهِ لَذَّةً وَشَوْقًا ....

ز- إِذَا ارْتَقَى إِلَى مَقَامِ الْحُبِّ لِلَّهِ تَعَالَى فَحِينَئِذٍ لَا يَشْغَلُهُ ثَوَابٌ وَلَا عِقَابٌ وَلَا يَهْتَمُّ بِأَمْرِ الدُّنْيَا وَلَا أَمْرِ الْآخِرَةِ .. وَلَكِنْ يَكُونُ هَمُّهُ كُلُّهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، طَالِبًا رِضَاهَ وَمَحَبَّتَهُ وَقُرْبَهُ ، وَتَقِلُّ رَغْبَاتُهُ الدُّنْيَوِيَّةُ -بَلْ وَتَنْزَوِي رَغْبَاتُهُ الْآخِرِيَّةُ كَذَلِكَ- قَاصِدًا وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى لَا غَيْرَ ، بَلْ قَدْ يَفْقَدُ لَذَّةَ الْعِبَادَةِ وَالذِّكْرِ الَّتِي كَانَ يَجِدُهَا فِي الْمَرَحَلَةِ السَّابِقَةِ .

ح- كُلَّمَا تَمَسَّكَ ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ بِأَوَامِرِ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ

ظاهراً وباطناً ، كلما استنار قلبه وارتقت روحه وبدأت تتلقى من الله تعالى أنوار الهداية الربانية ، وكلما تشرب قلبه بأنوار الهداية المحمدية، فدخل في باب ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾<sup>(١)</sup> . وكذلك يصدق عليه حديث رسول الله ﷺ ” اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ “ كما رواه البخارى والترمذى وغيرهم .

والقياسُ في هذه المرحلة هو أن يكون تمسُّكه بالعبادة من باب المحبة والشوق لله ورسوله ، لا من باب الأمر والطاعة فقط ..

ط- في هذه المرحلة السامية يفيض الله تعالى على عبده بأنوار هدايته وعلمه ، فيستمدُّ من باطن أسرار شريعة رسول الله ﷺ أنواراً عظيمة ... فالعبد قد اقترب من الله ورسوله بروحه وقلبه ، فلا بد أن يهدي الله قلبه ويُعلِّمه ، ولا بد أن يكون مُرشدُه وسيدُه وإمامُه رسول الله ﷺ ، وأكرم به من مؤدِّب ومعلِّم ﷺ .

وقياسه هنا هو أن يحبَّ صادقاً كل ما يحبُّ الله ورسوله ، وأن يكره كل ما يكره الله ورسوله ، أو كما يقول ﷺ أن يكون هواه تبعاً لسنة رسول الله ﷺ .

ي- قد تظهر للسالك إلى الله بهذه الكيفية بعض الأمور الكونية أو ما نسميها بالكرامات كما كانت تحدث للكثير من صحابة رسول الله ﷺ ، والمجال هنا لا يتسع لسردها .. ولكنها عموماً سببها هو تعلق العبد بعوالم الغيب والملكوت مع الزهد في الدُّنيا وزينتها وسرابها .. لذلك قد ينكشف له بعض عوالم الملكوت ويتعاشق معها .. فإنه ينظر بنور الله تعالى وليس بنظره هو ... والله تعالى يؤتيه الحكمة من عنده وليس بعقله هو .. أى أن الله تعالى يتولاه بالعناية والرعاية .. والله فعَّالٌ لما يريدُ مع عبده .. فقد يكرمه بدعاء له مستجاب...

(١) سورة البقرة آية : ٢٨٢ .

أوجب الناس له وطاعتهم لأوامره ... ، أو يرزقه من حيث لا يحتسب ... ولا حرج على فضل الله ...

ك- فى هذه المرحلة الخطيرة التى يبدأ العبد فيها التعامل مع بعض عوالم الملكوت ، ينقسم أهل هذه المرحلة إلى قسمين ..

القسم الأول : يَنْبَهَرُ بما يرى من الأنوار والأسرار فى الكون ، وقد يقف عندها بدعوى أن له دعوةً مستجابةً ينفعُ بها الخلقَ ، أو قُدْرَةً على التصرفِ الغير عادى فى الملائكة أو الجنِّ ، فَيَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ بَغِيَّتُهُ وكفى ... أو يجتمع النَّاسُ حَوْلَهُ ويروون صلاحه وتقواه فيغترُّ بنفسه ، ويظنُّ أن ما وصل إليه إِنَّمَا وصل إليه بجهدهِ وعملهِ ، وليس بفضل الله وكرمه ، فيزيد من أعماله بقصد زيادة المرتبة عند النَّاسِ ، وليس بقصد زيادة العبادة محبةً لله تعالى .. وهناك تكون الطَّامَّةُ الكُبرى ، لأنَّ نِيَّتَهُ وإخلاصه كانا أولاً لعبادة الله وفى انتظار فَضْلِ الله ، وهنا تحولت النية والقصد إلى زيادة العبادة لزيادة مرتبته هو... فهو فى الحقيقة نزل مرة ثانية إلى مرتبة انتظار الجزاء ، والغرورِ بنفسه وبأفعاله والاعتماد على طاعته .

والقسم الثانى : لا يلتفت إلى كل هذا ، بل قلبه وعقله وعمله موجَّه إلى الله تعالى ، لا إلى أكوان الله تعالى ، فلا دخل له بما يراه ويسمعه لا من الناس ولا من غير الناس ، بل هو خاضعٌ لله ، عابداً ، زاهداً فيما سوى الله ، يعبد الله حُباً فى الله لا غير ، وتعظيمًا وتقديساً له جَلَّ شأنه ، مع يقينه الكامل بأن عمله مهما عَمِلَ لا يساوى عند الله جناحَ بَعُوضَةٍ ، فَالْفَضْلُ كُلُّهُ لله تعالى .. وما أعماله إلا تصديقاً منه لِعُبُودِيَّتِهِ المحضَةِ لله تعالى .



ل- من القسم الأول : وهو من يقف فَرِحًا بما ناله من مكاسب في الدنيا ، وإقبال الأكوان عليه ، وبعض خوارق العادات.. منهم من ينتكس والعياذ باللَّه غروراً بنفسه وبقواه الجديدة ، وقد يرجع إلى الدنيا بدعوى مصالح الناس وقضائها وهو في الحقيقة يريد مكسب نفسه بحب الناس وتقديرهم وقضاء مصالحهم .. وكلُّ هذا لنفسه وليس لله تعالى .. وقد تلعب به الشياطين وتدريبه إلى أسفل السَّافلين ، وتصير الكرامات التي تجرى على يديه هي من باب الاستدراج والفتنة له ولمن حوله لا غير ...

والقسم الثاني : السالكُ إلى الله لا يلتفت يُمنّة أو يُسرّة هو مقام ” الصادقين “ مع الله تعالى وهو يعلم أن الأمر كله مُفَوَّضٌ لله .. وأنَّ ما وصل إليه من مقام رُوحى ليس سببه عبادته وجهده ، ولكن بفضل الله وبرحمته ، الذي وفقه وهداه وقَّوَاهُ وأجرى الخير على يديه ، ويقينه أن الله تعالى يُعَزُّ من يشاء وبُذِلُ من يشاء في أقل من لمح البصر .....

وأهل القسم الثاني - أهلُ الصِّدْقِ والمُجَاهَدَةِ - هم أهلُ تعبٍ ومشقّةٍ ، فهو يبحث عن أمراض قلبه ليداوِيَهَا بالعبادة والذكر ، ويبحث عن مداخل الشيطان إليه وهواه ، حتى في العبادة ، حريصٌ على إخلاصه لله تعالى ، يجاهد ليتعد عن الرياء ، والنفاق ، والشرك الأصغر وغيرها ، فهو في همٍّ دائمٍ وعملٍ دائمٍ ، عسى الله تعالى أن يَمُنَّ عليه بالفضل من عنده .. والثبات بقوته .

وهذا هو حال الأبرار الكرام ... أهلُ مجاهدةٍ وخوفٍ وترقُّبٍ وابتلاءٍ بالناس والكون ، وهؤلاء الذين يقول فيهم رسول الله ﷺ : ” لَوْ

كَانَ الْمُؤْمِنُ فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَقِيَّضَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ مَنْ يُؤْذِيهِ “ كما رواه الطبراني والبيهقي عن ” أنس “ .

ويقول تعالى : ﴿ وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُوا أَحْبَارَكُمُ ﴾ <sup>(١)</sup> .

يقول تعالى: ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وسبب هذا البلاء والابتلاء أن العبد في هذه المرحلة ناظر إلى الله تعالى بعين .. وناظر إلى نفسه والخلق بالعين الأخرى .. فلا هو مع الله بكليته وهمته جمعاء ولا هو مع الخلق بكليته .. ولكنه مرة هنا ومرة هناك .. فإذا فعل فعلا لله تعالى ظلَّ يجاهد حتى يُخَلِّصَهُ مِنَ الرِّيَاءِ وَالنِّفَاقِ ونظر الناس إليه ، وخوفه من أن يكون هذا الفعل إنمّا هو حسب هواه وما تحبّه نفسه .. كذلك إن جاءه خاطرٌ جعل يجاهد حتى يعرف هل هذا خاطر رحمانى أم خاطر شيطانى وكيف يفرق بينهما ، لأنّه يعلم أن النَّفْسَ وَالْهَوَى قد يأمران بنوعٍ من أنواع البرِّ ليوقيعا في النَّهْيَةِ في عمل فاحش ، فقد يزينان له الالتزام بظاهر الشريعة وزيادة التقوى خاصة أمام الناس بدعوى أنه القدوة والأسوة الحسنة لغيره ، فلا بد أن يتقن ظاهره حتى لا يفتن الناس .. وهذا خاطر طيبٌ ولكنه خطر ... لأنه إذا ترسّخ هذا الأمر في نفسه -وظاهره طيب- صار همُّه الأول والأخير أن يُظْهِرَ العبادة وأعمال البرِّ للخلق ، واكتفى بهذا ، ونسى قوله تعالى : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾ <sup>(٣)</sup> .. وتبدّلت نيّته في العبادة ووقع في المحذور...

(٢) سورة التوبة آية : ١١٩ .

(١) سورة محمد آية : ٣١ .

(٣) سورة البقرة آية : ٢٣٥ .

والأخطار في هذا المسار كثيرة ...

ويقول ﷺ " الشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ وَالرِّيَاءُ شِرْكٌ " حديثٌ حسن ، رواه الطبراني عن " شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ " ويقول " الشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَيْبِ النَّمْلَةِ عَلَى الصَّفَا فِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ " رواه الحكم والحاكم عن " عائشة " رضى الله عنها .

وهذا الخطر سببه عدم إتقان توحيد الله تعالى في القلب .. فلو أحسن التَّوْحِيدَ حقاً ، لَعَلِمَ أَنَّهُ لَا مَوْجُودَ بِحَقِّ إِلَّا اللَّهَ تعالى .. وَكُلُّ الْأَكْوَانِ صُورٌ مَخْلُوقَةٌ تَرُوحُ وَتَجِيءُ ، وَلَا تَمْلِكُ مِنْ أَمْرِ نَفْسِهَا شَيْئاً .. فحينئذٍ لا يرى أمامه إلا الله تعالى في كل شئونه وأفعاله ، فلا يبحث ساعتها عن الإخلاص .. ، ولمن يكون الإخلاص وهو لا يرى إلا الله !! وكيف يخشى الرِّيَاءَ ، وهو لا يرى إلا الله ظاهراً باطناً !! .

فهذه درجة الأبرار المُجَاهِدِينَ الكرام البررة ، وهى درجة الصَّادِقِينَ مع الله جَلَّ شأنه ...

م- وتبقى في النهاية درجة الصَّادِقِينَ .. المقَرَّبُونَ إلى الله تعالى .. أولئك الذين فطرهم الله أصلاً على الفطرة السليمة والقلب الطاهر النقي .. وجعل قلوبهم محل أنواره وجذبه ، بداية ونهاية .. ، بعلمهم أو غير علمهم .. يَعْمَلُهُمْ أَوْ بِغَيْرِ عَمَلِهِمْ .. ولكن الله تعالى قد هيأهم من البداية لأن يكونوا من الصَّادِقِينَ ، الَّذِينَ هُمْ خَلْفَ الْأَنْبِيَاءِ مَبَاشَرَةً .. وهى درجة قُرْبٍ أعظم للعباد ، لا ينالها العبد بجهد أبداً ... بل بفضل الله وإكرامه له .. يقول تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ

الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴿١﴾.

نعم .. قد يَمُنُّ الله على عبده الصادق المخلص الأمين ، عندما يستفرغ كل همِّه وجهده وحيلته في سبيل الله تعالى ، ثم يوقن تماما أن الأمر كله ليس مُدْرَكًا بعمله ولا بإخلاصه .. وإِنَّمَا الأمر كله هو فضل من الله تعالى ورحمة منه لعبده الصادق الذي هو بلا حول له ولا قوة .. فيقف أمام الله تعالى موقف السائل الفقير المسكين العاجز عن إدراك فضل الله بعمله مهما عَمِلَ وَقَدَّمَ .. فحينئذٍ قد يَمُنُّ الله عليه فيرفعه في لمحّة عينٍ من درجة الصادقين إلى درجة الصّديقين رضى الله عنهم وأرضاهم وألحقنا بهم فضلا منه وجوداً وإحساناً ...

وتستطيع القول بعد هذا الموجز أن المؤمن .. الصادق .. البار .. التقى ، موكول إلى نفسه وأفعاله ، والله تعالى يتولاه بالهدى والرعاية .. فهو في درجة الولاية العامة من الله تعالى ...

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢).

أما الصّديق فهذا عبدٌ لم يكله الله تعالى إلى نفسه بل تولى جَلَّ شأنه رعايته ووكالته وحفظه ...

والصادقون والصّديقون هم المقربون عند الله تعالى ، ولكن فرق بين طالبٍ ومطلوبٍ ، كما قلنا أيضا بين محب ومحبوب .

ولا يجب على الله تعالى شيءٌ من كلامنا هذا ، واستغفر الله تعالى مما قلت وأقول .. فإن الله لا يجب عليه إلا ما أوجبه بذاته على نفسه ..

(١) سورة الحديد آية : ١٩ .

(٢) سورة العنكبوت آية : ٦٩ .

وهو فعالٌ لِمَا يُريدُ .. ويؤتى المُلْكُ مَنْ يشاء وينزع المُلْكُ مِمَّنْ يشاء ولا يُسألُ عما يَفْعَلُ.

فلا تظن أن هذه الدرجات التي تحدّثنا عنها لا بد وأن تسير بهذه الكيفية .. بل لله في خلقه شئون ، وهو القاهر فوق عباده جلّ شأنه ..

ولكننا أردنا فقط أن نُعرّف ما جرت عليه سنّة الله مع عباده كما علّمها لنا وأوضحها لنا على عامّة الخلق ... أما فِعْلُ الله تعالى في خلقه واصطفائه لهم فلا يُسألُ عما يَفْعَلُ ، وليس هناك قانون ملزم ولا سياسة تتبع ، وجلّ الله تعالى عما نقول علواً كبيراً ، مالك الملك وهو على كل شيء قدير ..

انظر إلى قول رسول الله ﷺ ” ولا يزالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا “ ... ، فالصادق مشغول بصدقه ويتحرى الصدق في القول والعمل والنفوس والروح والقلب .. هذا همّه وانشغاله حتى يتغمّده الله تعالى برحمته فيفيضُ عليه من إكرامه فيكتبه ” صِدِّيقًا “ ويرفعه جلّ شأنه إلى مقام الصديقين .. فضلاً من الله ونعمة ..

وظاهرٌ مما أسلفنا .. أن صفوة العباد عند الله تعالى بعد الرسل والأنبياء هم الشهداء .. والصديقون .. والصادقون .

والشهداء معلومٌ أمرهم .. والصادق والصديق هُما من المقرّبين .. ولكن لاحظ أن لكلّ منهما منهجٌ وأدبٌ مع الله تعالى ..

ونحن لانتكلم عن الأمور الشرعية الظاهرة التي لا بد وأن تكون موجودة بالضرورة في الجميع ، فالالتزام بأوامر الله تعالى ظاهراً باطناً ، والتمسك بسنّة رسوله ﷺ ظاهراً باطناً ، لا بد وأن يكونا منهجهم

وسيرهم وسلوكهم إلى الله ... هذا أمر مفروغ منه ..

ولكننا نتحدث عما في القلوب من أدب رفيع مع الله تعالى ،  
وخصائص العبودية العالية التي فيها هذان الصنفان ، حتى نصل إلى قول  
رسول الله ﷺ ”أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ“ .

فالأمر فيه عبادة لله .. والأمر فيه رؤيا .. والرؤية فيها درجتان رؤية  
منك .. (كأنك تراه) .. ورؤية عليك .. (فإنه يراك) ...

وحاشا لله تعالى أن يكون مقصود الرؤية هي رؤية العين ... فالله  
تعالى ليس كمثله شيء .. وجلَّ الله تعالى وتبارك عن رؤية العين البشرية  
المحدودة الترابية .

وبالقطع يكون المقصود هو الرؤية بالبصيرة والروح بالكيفية التي  
تليق بجلال الله وعظمته ، ولذلك أفضنا في الكلام عما يكون في نفوس  
وأرواح الصادقين والصديقين ، والفارق بينهما في الأمور الروحية  
والاستعدادات الباطنية التي يُكرمُ الله بها عباده هؤلاء ، تأهيلاً لهم لما  
أرادَه الله لهم في سابق علمه القديم ، وحظهم من هذه الرؤيا ....

فالله تعالى إذا أراد بعبدٍ أمراً فإنه يؤهلهُ لأداءِ هذا الأمر ...  
أنظر إلى قوله تعالى في سورة الإسراء : ﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى  
بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي  
بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ١٠١ ﴾ .

فالله سبحانه أسرى بعبدِه محمد ﷺ ”لِنُرِيَهُ“ ويكشف له عن

بعض الآيات العظيمة ... وهذه المشاهدة تستدعي إعداداً خاصاً لتتم الرؤيا.. لذلك قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ❶ .. أى محمد ﷺ جعلناه سميعاً بصيراً .. ليسمع ما لا يستطيع أن يسمع غيره ويرى ما لا يستطيع غيره أن يراه .. تجهيز خاص لرسول الله لينعم بفضل الله تعالى عليه .

فإن قلت أن الله تعالى هو السميع البصير .. أجبتك وكم من صفة لله تعالى يُطْلَقُهَا الله على بعض عباده فى حالات معينة تكريماً لعبده ، ولحكمة قد تظهر وقد تدق !! ألم يصف الله تعالى الرسول ﷺ بأنه رءوف رحيم .. وهما من صفات الله تعالى . !!!

• عوداً إلى حديث الرسول ﷺ وهو يقول ” أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ “ فإن أول ما يلفت النظر كلمة أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ .. والعبادة فيها عبدٌ ... ومعبودٌ ، وفيها أمرٌ .. وطاعةٌ .. ، وفيها ظاهرٌ وباطنٌ .. ، فيها كلام ومناجاة .. ، وفيها رضا ومحبةٌ ، وفيها خوف وهيبة .

روى ابن ماجة والحاكم وابن حنبل قول رسول الله ﷺ ” قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْأُمَمِ أَنْاسٌ مُحَدِّثُونَ ، فَإِنْ يَكُ فِى أُمَّتِي أَحَدٌ مِنْهُمْ فَهُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ “ حديثٌ صحيحٌ ، رواه عرابض .

فالأمر ليس مقصوراً على الرؤية .. بل هناك مُحَدِّثُونَ أيضاً ، ورسول الله ﷺ لم يقصر الأمر على عمر بن الخطاب ، بل يذكره على سبيل التزكية والمثال ...

• ذهب جماعة من الخوارج إلى الإمام على كرم الله وجهه ورَضِيَ عنه ، معترضين يُريدون أن يقيموا عليه الحجة ، وقالوا مُستنكرين: سَمِعْنَا يا على أَنَّكَ تزعم أَنَّكَ ترى الله ؟؟؟ وانتظروا أن يستنكر الإمام هذا القول عنه .. فإذا به كرم الله وجهه يقول ” وكيف أعبد من لا أراه!! “ وصدق الإمام .. كيف يعبد مجهولا غير معلوم لديه !!

ولكن كان للسائلين المُستنكرين غرض في سؤالهم .. وكان لمولانا الإمام غرض آخر ومعنى دقيق في الرد عليهم .. والإمام كرم الله وجهه أجلُّ قدرًا وأعظمُ علمًا من أن يقع في محذور شرعي .. فما يقصده هو من الرؤيا هو غير ما يقصده المستنكرون من معنى الرؤيا ..

وورد عن مولانا وسيدنا ” عمر بن الخطاب “ قوله ” إني لأجهرُ جيشي وأنا في الصلاة ... “ وكُنْتُ كثيرًا ما أتعجب كيف يشغل مولانا وسيدنا ” عمر “ عن الخشوع في الصلاة غيرها .. ثم أدركتُ أن هذا إنما كان فتحًا من الله تعالى عليه وإلهامًا من الله له .. وهذا لا يشغله عن ربّه ولا عن صلاته .. فإن الملائكة نادتُ سيدنا زكريا وهو قائم يصلي في المِحْرَابِ وبشروه ببيحيى ...

وعلى هذا فقد أصبح عندنا أهلُ الرؤيا .. وأهلُ الحديث .. ولكل جماعة منهم درجات بعضها فوق بعض .

وظاهر قول رسول الله ﷺ ” فان لم تكن تراه فإنه يراك “ يستلقت النظر ..

فكل المؤمنين يعلمون ويؤمنون أن الله يراهم ومطلعٌ عليهم ..



فماذا يخص مرتبة الإحسان إذاً مِنْ هذا المعنى .. إذا كان كل المؤمنين يشتركون فيه !!!

أقول وبالله التوفيق .....

قد اتفقنا على أن الرؤية المقصودة لا يمكن أن تكون بالعين .. بل هى بالبصيرة والقلب والروح ، والرؤية معناها الحضور مع الله تعالى ، والحضور يستلزم المناجاة منك إليه وأنت فى عبادتك له .. فإنك أنت المتحدث بالتسبيح والتقديس والتكبير .. فهذه درجة ...

أَمَّا أَنَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ يَرَاكَ ، فَهُوَ حُضُورُكَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى فِي حَضْرَتِهِ الْأَعْمِّ الْأَشْمَلِ اللَّائِقَةِ بِاسْمِهِ تَعَالَى الْوَاسِعِ الْعَلِيمِ .. فَأَنْتَ حَاضِرٌ مُسْتَلْهِمٌ .. هُوَ يَرَاكَ وَهُوَ يَنَاجِيكَ .. وَهُوَ يَحْدُثُكَ .. وَأَنْتَ فِي مَقَامِ السَّكُونِ تَحْتَ عِظْمَةِ الْهَيْبَةِ وَكِبَرِيَاءِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ..

وفى تقديرى - والله تعالى أعلم - أنَّ المَرْتَبَةَ الْأُولَى ”كَأَنَّكَ تَرَاهُ“ فيها تحديدٌ لِمَا لَا يُحَدُّ وَمَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ .. لذلك فأنت تراه على قدرِكَ أنت ، وعلى قدر روحِكَ أنت ...

أما المرتبة الثانية .. فَهِيَ الْأَعْلَى وَالْأَنْسَبُ لِعِظْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى .. فَهُوَ جَلَّ شَأْنُهُ يَرَاكَ بِإِطْلَاقِهِ وَبَلَا تَحْدِيدٍ وَلَا تَحْجِيرٍ .. وَفِيهَا الْإِنْعَامُ مِنْهُ إِلَيْكَ وَالتَّلَقُّى مِنْكَ بِهِ .

• ولاحظ أنه فى كل أحاديث رسول الله ﷺ والذى لا ينطق عن الهوى .. والذى أوتى جوامع الكلم .. أقول فى كُلِّ أحاديثه تجد دائماً معانٍ دقيقةً عالية المغزى لا يدركها إلا أهلها .. ويمرُّ عليها أغلب القارئین

دون أن يدركوها ... ولا يلتقطها إلا أهلها .. جعلنا الله تعالى وإياك منهم....  
• وطالما وصلنا إلى أمر الرؤيا والحديث لطبقة المحسنين .. فلا بد  
أن يثار هنا سؤال ..

وما الذى يمنع عامة المؤمنين من هذه الرؤيا وهذا الحديث ؟؟  
وبايجاز شديد نردُّ على هذا التساؤل بقولنا :

المانعُ من أن تكون هذه الخصوصية لكافة المؤمنين هما أمران  
أساسيان :

الأول : الحُجُبُ التى بين العبد وربّه ، ومدى قدرته على  
اختراقها .

الثانى : النُّورُ الذى يرى به العبد ، ويخترق به ما شاء الله له من  
الحُجُبِ ، ونصيبه ورزقه من هذه الأنوار .....

وسوف يكون هذا ما نفضله فى الأبواب التالية بإذن الله تعالى..  
فتح الله علينا وعليكم ، وجعلنا وإياكم فى مقام المحسنين  
المخلصين ، وعلمنا ما ينفعنا ، ونفعنا بما علمنا .

• وصلى الله تعالى وسلّم وبارك على عبده وحبيبه مولانا وسيدنا  
محمد ، وعلى آله وصحبه و التابعين ونحن معهم أجمعين .

## • الكونُ وعوالمه:

لن ندخل فى تعريفات فلسفية ... ولكننا نقولُ ببساطة شديدة : الكون هو كل ما خلق الله تعالى ... وسواء قال العلماء أنه كون واحد أو أكوان عديدة ، فالأمر لا يخصنا ... فكل ما خلق الله تعالى هو الكون ...

وهذا الكون الذى نعيش فيه يحتوى على عدة مظاهر أو عدة حقائق ... وكل مجموعة من هذه المظاهر أو الحقائق يجمعها إطار واحد ، ويحكمها قانون واحد ، يختلف عن القانون الذى يحكم مجموعة أخرى من هذه الحقائق .. ، وكل مجموعة من هذه المجموعات تُسمّيه "عَالَمًا".....

فهناك مثلاً عَالَمُ النبات .... وهى مخلوقات ثابتة تنمو فى اتجاه واحد ، وتتغذى بطريقة واحدة ..  
وعَالَمُ الحيوان وهو مخلوقات حُرّة الحركة بالإضافة إلى نُموّها ، وهو أنواع كثيرة ..  
وعَالَمُ الجِمال وهو مخلوقات ثابتة .. لا تنمو ولا تتحرك بذاتها ، وهو أنواع شتى ...

وهناك عَالَمُ الأفلاك وهذا فيه مخلوقات لها مواصفات خاصة كذلك، وتتحرك فى مساراتٍ محددة

وهكذا ... عَالَمُ البحار ، عَالَمُ الجِرائيم ، عَالَمُ الصخور ... الخ .  
وكلُّ عَالَمٍ من هذه العوالم يحكمه قانون عام خاص به ، بحيث

ينطبق على كل ما فيه من مخلوقات ، .... ولكنه لآمانع من أن ينقسم هذا العالم نفسه إلى أقسام عديدة ، ويكون لكل قسم منه قانون خاص أيضا داخل الإطار العام ..

فمثلاً عالم الحيوان له قانون خاص يشمل تكوين مخلوقاته ، والأسلوب العام لنشأتهم ، وتغذيتهم ، ونموهم ، وفنائهم فى النهاية .. ، ولكننا نجد داخله :

عالم الحيوانات المائية التى تعيش فى الماء فقط كالأسماك وغيرها... ،

وعالم الحيوانات البرية التى تعيش على الأرض فقط ...  
وعالم الحيوانات البرمائية وهى التى تعيش فى البحر والبر معاً ..  
وهكذا .....

ولكل من هذه العوالم الفرعية قوانين خاصة لمعيشتهم وحياتهم ... حسب مواصفات خلقتهم .....

وسبحان ﴿ الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ (١)

هذا فيما يختص بالعوالم المرئية أو المدركة بحواس الإنسان ..  
وهناك عوالم أخرى غير محسوسة بالحواس المعتادة للبشر ...  
فلدينا عالم الجن .. وهو حقٌ مذكور فى كتاب الله تعالى ، وكذلك  
عالم الملائكة ... ، وهو من المبادئ التى يلزمنا الإيمان بها ، وذكرهما فى  
القرآن والحديث الشريف أكثر من أن يحصى .....

---

(١) سورة طه آية : ٥٠ .

وعالمُ الجنّ ....، هو مخلوقات خُلِقَتْ بدايةً من النار ...  
كما خُلِقَ الإنسانُ بدايةً من تراب ... ونهايته إلى تراب كذلك ،  
ولكنه بين النشأة والفناء فيه لحم وعظم ودماء ، ومنه الأبيض  
والأسود والأصفر ... الخ .

فلا يتبادر إلى ذهنك أنّ الجنّ هو كتلة من النار المشتعلة .... بل لا  
شك أنه قد مرَّ بأطوار خَلْقِيَّة كَأَطوار خلقِ الإنسان .. ولكن بدايته من النار  
ونهايته كذلك إلى النار .. كما أنّ الإنسان بدايته من تراب ... ونهايته إلى  
تراب ... ، ونستطيع القول بأنّ الجنّ هو طاقةٌ مُفَكَّرَة .. ، لأنّ الله تعالى  
قد رَكَّبَ فيهم العقل وخاطبهم وكَلَّفَهُم بالعبادة ... ، ولذلك فمنهم الصالح  
ومنهم الطالح ، ومنهم المسلم ومنهم غير المسلم ...

أما الملائكة ... فهم نورانيون .. روحٌ رَكَّبَ اللهُ فيها عقلا ... وقد  
خلقهم الله تعالى للطاعة والعبادة ، فهم لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون  
ما يؤمرون ...

وكل طبقة منهم على درجة واحدة من العبادة ، فمنهم من هو  
ساجد ، ومنهم من هو راکع ، ومنهم من هو طائف ، ومنهم من فى السماء ،  
ومنهم من فى الأرض ، ومنهم ملائكة عذاب ، ومنهم ملائكة رحمة ... ،  
وباختصار هم أنواعٌ شَتَّى ... لا تُعَدُّ ولا تُحصى .

ورغم أن هذين العالمين لا تراهما بالعين المجردة ... إلّا أنّه بسببِ  
ما ، قد يرى بعض الناس الجنّ أو الملائكة ... وهذا لا يكون إلا بإمكانية  
مضافة إلى الجنّ أو الملائكة ، تجعلهم يستطيعون التجسّد حتى يراهم

الإنسان العادى فى بشريته ، وإمّا أن تضاف هذه الإمكانيّة إلى شخصٍ معيّن فيستطيع بقوةٍ خاصّةٍ عنده أن يرى الجنّ أو الملائكة ...

وفى الحالة الأولى تكون رؤيا الجنّ أو الملائكة عامّة لكلّ الحاضرين ...

انظر إلى ما رُوى من أن سيدنا جبريل -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام- كان يأتى النّبىّ كثيراً فى صورة الصحابىّ ” دحية الكلّبيّ “ ...

وكذلك عندما سأل سيدنا جبريل فى الحديث المشهور عن الإسلام والإيمان والإحسان .. فإنّ كلّ الحاضرين قد رأوا سيدنا جبريل فى صورة رجلٍ شديد بياض الثياب .. شديد سواد الشعر .. لا يرى عليه أثر السفر ... وكذلك قد تمثّل سيدنا جبريل بشراً سوياً فى المحراب للسيدة مريم عليها السلام ...

أمّا الحالة الثانية ، وهو أن يتميّز البشريّ بميزة خاصّة تجعله قادراً على رؤية هذه المخلوقات الغير مرئية أصلاً ، فهناك قول الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾<sup>(١)</sup> أى أن هذه البشرى وهذا

---

(١) سورة فصلت آية: ٣٠-٣١.

الحديث يكون في الحياة الدنيا .. ولأهل الاستقامة والتقوى والإيمان...

وقد سبق أن ذكرنا في كتابنا " قواعد الإيمان " كيف أن سيدنا " عبد الله بن عباس " رأى سيدنا جبريل يناجي سيدنا رسول الله ﷺ في مجلس فيه كثير من الصحابة ، ولم ير سيدنا جبريل في هذا المجلس إلا سيدنا " عبد الله بن عباس " رضى الله عنه ، كما رواه البيهقي عن " ابن عباس " رضى الله عنهم جميعا .

وخلاصة القول أن هناك عوالم مُدْرَكَة بالحواس المعروفة عند الإنسان .. وهناك عوالم موجودة أيضا ولكنها غير مُدْرَكَة بحواس البشر العادية ..

وإذا رجعنا إلى كتابنا " قواعد الإيمان - البابين الأول والثاني " وجدنا أن للنفس قُوى مُدْرَكَة من الظاهر .. وقُوى مُدْرَكَة من باطن .. وذكرنا أن من القُوى المُدْرَكَة من الباطن : قُوى الخيال .. والوهم .. والتذكُّر .. والتدبُّر .. وكذلك إدراك ما يُرى في المنام وهو ما يسمى بعالم " المِثَال " .

وخرجنا من كتابنا ذلك بأن كل هذه عوالم كاملة لها قوانينها الخاصة بكل منها رغم أنها جميعاً تعتبر من عوالم الغيب .. ونزيد الان شيئاً آخر ...

يقول تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۖ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن

وَرَأَيْهِمْ بَرَزَ خُ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ <sup>(١)</sup> ويقول جَلَّ شأنه وهو يذكرنا بالموت والبعث في كتابه العزيز : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ ﴿١٠١﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿١٠٢﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَاقِبٌ وَشَهِيدٌ ﴿١٠٣﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿١٠٤﴾ <sup>(٢)</sup> .

وظاهر من هذه الآيات أن الإنسان إذا مات .. وبمجرد موته ، تنكشف له عوالم أخرى لم يكن يراها في حياته .. ولكن عندما انكشف الغطاء بالموت ، أصبح بصره حديداً ، أى حاداً ، فيرى ما لم يكن يراه من هذه العوالم ، رغم أنها كانت موجودة أيضاً في حياته ومن حوله ، بل هو يعيش فيها بكيفية ما ، ولكنه لم يكن يراها من تحت غطاءه البشري ، فنحن لم ننقلك من عالم إلى آخر .. بل كشفنا الغطاء عنك فقط ... فرأيت بعض هذه العوالم .....

وكذلك واضح من هذه الآيات أن الإنسان إذا مات ، وانقضى تعامله مع هذا العالم المحسوس بالحواس الخمس المعروفة من بصر وسمع ولمس وذوق وخلافة .. حينئذ يبدأ تعامله مع عالم آخر... وهذا العالم الآخر يسمى " بَرَزَخًا " .. ويظل يتعامل معه حتى يوم النفخ في الصور والبعث والحساب يوم القيامة ... فالْبَرَزَخُ هو مقرُّ الأرواح بعد انفصالها عن الجسد - إذا جاز لنا هذا التعبير - ولكن الأدق والأصح هو أن نقول أن هذا البرزخ

(١) سورة المؤمنون آية: ٩٩-١٠٠ .

(٢) سورة ق آية : ١٩-٢٢ .



هو مجال معيشة الأرواح سواء بعد الموت أو قبل الولادة ، .. فإن الأرواح  
قديمة .. ومخلوقة قبل الأجساد بنص الحديث الشريف " إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى  
قَدْ خَلَقَ الْأَرْوَاحَ قَبْلَ الْأَجْسَادِ بِخُمْسِمِائَةِ عَامٍ " .

وَالْبَرْزَخُ بِمَعْنَاهُ اللَّغْوَى هُوَ الشَّيْءُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ .. أو الشَّيْءُ ذُو  
صَفَتَيْنِ مُتَغَايِرَتَيْنِ ... مثلاً مكان اختلاط ماء البحر المالح بماء النهر الحلو  
يسمى برزخاً .. والتقاء عالم الدنيا بعالم الآخرة يسمى برزخاً ، حيث تسرى  
عليه بعض قوانين الدنيا ، كما تسرى عليه بعض قوانين الآخرة ..

انظر إلى قوله تعالى عن آل فرعون : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ  
عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ  
الْعَذَابِ ﴾ (١) ... فالبرزخ حالياً فيه الغدوة والروحة ، والصباح والمساء ،  
كما في الدنيا .. ، وفيه العذاب كما في الآخرة ، وكذلك بالضرورة أن يكون  
فيه النعيم لأهل النعيم .. فهو إذا يجمع بين بعض صفات الدنيا وبعض  
صفات الآخرة ...

فهذا البرزخ دون الدخول في تفاصيله الآن ، هو عالم أيضاً من  
العوالم وله صفات خاصة سنذكرها في حينها بإذن الله تعالى ...  
وإذا رجعنا إلى كلامنا أن الخيال والوهم والمنامات هي عوالم أيضاً  
لها قوانينها الخاصة ، نلاحظ أن الله تعالى في هذه العوالم يخلق حقائق  
وأفعالا .....

---

(١) سورة غافر آية: ٤٦ .

يقول تعالى : ﴿ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرْنَكُهُمْ  
كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ  
بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (١).

ويقول جلَّ شأنه : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ  
لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ  
وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ  
فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (٢).

ومن الواضح أن هذه الرؤى ليست عبثاً ولا وهماً غير موجود ، .. بل  
هى رسائل من الله تعالى إلى عباده ... ، وفيها الصدق .. وفيها الرمز الذى  
يلزمه التأويل .. وكذلك فيها الحكمة من الله تعالى فى أن يُرى عبده ما  
يشاء ...

وعوالم الوهم والخيال يحدث فيها ما قد يتحقق فى الواقع الذى  
نعيشه .. وكذلك يحدث ما لا يقع أصلاً .. بل يُمحى من أساسه أو يُبدل أو  
يُعدّل ..

وهذا معناه أنه يحدث فى هذه العوالم “ محو ” و “ إثبات ” من  
الله تعالى .

ونشير هنا إلى شيء آخر ....

---

(١) سورة الأنفال آية : ٤٣ . (٢) سورة الفتح آية : ٢٧ .

يقول تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾ <sup>(١)</sup>.

ويقول ﷺ "نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ" كما رواه البخارى ومسلم عن " جابر " ، وهو صحيح ، أى أن الله تعالى قد قذف الرعب فى قلوب الكفار فخافوا وفروا من المسلمين ، وكان هذا نصرا لله ولرسوله وللمؤمنين...

وَيُفْهِمُ مَنْ هَذَا أَنَّ "الرُّعْبَ" هو جند من جنود الله تعالى ، يسخره كيف يشاء لينصر الله تعالى من ينصره .. ، فهو مخلوق لله تعالى ، وله قوته وحركته وعالمه الخاص به الذى يعمل فيه فيصل إلى القلوب ...

كذلك من جنوده "السكينة" .. وقد قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ ۖ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ <sup>(٢)</sup>.

فالذى قذف الرعب فى قلوب المشركين .. هو تعالى الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ، .... ولله تعالى جنود السموات والأرض ، .. يسخرها كيف يشاء على من يشاء .. فى عوالم ليست منظورة بالعين ، بل محسوسة بالقلب والفؤاد ، فيحدث الرعب أو تنزل السكينة ..

(١) سورة الأحزاب آية : ٢٦ .

(٢) سورة الفتح آية : ٤ .

واللّٰه سبحانه هو " المَصَوِّر " ... يُصَوِّرُ فى الأرحام .. ويصوِّرُ فى  
الأفئدة .. وفى الخيال .. وفى الأوهام .. وفى النوم ، أى المثل .. وفى  
البرزخ .. وغيرها كثير..

والعين تلتقط ما يصوِّره اللّٰه تعالى .. والقلب كذلك .. والروح  
كذلك ..

وهو سبحانه أولاً وأخيراً المُهَيِّمُ عَلَى خلقه أجمعين .. الفَعَّالُ لما  
يريد بخلقهِ ظاهراً باطناً ، فى جميع هذه العوالم الظاهرة والخفية ..

والإنسان البشرى بخلقته العاديّة يتعامل مع كل هذه العوالم المرئية  
وغير المرئية وهو حَيٌّ يُسْعَى ، .... وسوف يتعامل معها أيضاً بعد موته .. كل  
التغيير الذى يحدث له هو أنه لن يستعمل أدوات الإحساس المادى من  
بصر وسمع وخلافتها وهو ميت ، لأن هذه الأجهزة سوف تتحلل وتفتنى  
بموته .. ولكن تبقى طاقاته الأخرى النفسية والروحانية التى يتعامل بها فى  
العوالم الأخرى من طمأنينة ، ورعب ، وسكينة ، وصور يراها ، وإحساس  
بسعادة أو بشقاء ...

وهذا ضرب من أوجه عذاب القبر ونعيمه...

واللّٰه تعالى فى كتابه العزيز يذكر لنا ما يُسمى " بعالم الغيب " ..  
و"عالم الشهادة " .. و"عالم الملك " و"عالم الملكوت " ..

وسوف نأتى تفصيلاً إلى تقسيم هذه العوالم بإذن اللّٰه تعالى فيما بعد ..

ولكننى أحبُّ أن أشير إلى أمر هامٍ فى هذا الشأن .. ذلك أن لكل  
عالمٍ من هذه العوالم قوانينه الخاصة به ، ونظامه الذى يعمل فيه ..

فمثلاً العالم الأرضي الذي نعيش فيه .. وهو عالم المادة .. وكل ما فوق الأرض من مخلوقات هو من جنس الأرض ، وسوف يصير إليها .. فكل الذي فوق التراب تراب .. ولهذا العالم قوانينه الطبيعية .. جاذبية أرضية .. ليل ونهار .. وهواء وماء .. وشروق وغروب ... وأعلى وأسفل ... وصعود وهبوط .. ثم يحكم كل هذه القوانين “ المنطق البشري ” الذي تكون من إجمالي هذه القوانين ..

بمعنى آخر .. فإن المنطق البشري يفهم أن الأعلى والأسفل في الأشياء هو بمقدار أو بنسبته إلى الأرض .. فالأسفل ما كان أقرب إلى الأرض .. والأعلى هو ما كان أبعد عن الأرض .. وكذلك النزول والصعود، .. فالنزول يكون إلى أسفل ، إلى الاقتراب من الأرض ، والصعود يكون إلى الأعلى ، إلى ما بعد عن سطح الأرض ..

كذلك إذا تحدثنا عن الرؤية .. تبادر إلى الأذهان الرؤية بالعين .. وهذه الرؤيا يلزمها عين .. ونور ترى به الأشياء .. فالكفيف لا يرى لأنه بلا عيين .. والمبصر في الظلام لا يرى لأنه لا يوجد نور يضيئ له الأشياء .. وهكذا في بقية المعاني المتعارف عليها في عالمنا الأرضي ..

ولكن إذا انتقلنا إلى بعض العوالم الغيبية التي لا ترى بالعين .. فقوانينها تختلف ، وكذلك يلزمها منطق مناسب لهذه القوانين الجديدة .. وفي بعض الأحوال يلزم لهذه العوالم نوع من تأويل لرموزه .. كما يحدث في عالم المثال .. فإذا رأيت في الرؤيا رجلاً ضخماً وحوله قومه أقل منه حجماً .. أدركت أنه زعيمهم أو كبيرهم مثلاً .. وإذا رأيت رجلاً يسير مسرعاً

أو يجرى بين قوم يمشون ببطئ ، فسوف يتبادر إلى ذهنك أنه يتقدمهم في الحياة ، وليس المقصود أنه أقوى منهم جسماً ولا أقدر على الحركة.. وإذا رأيت مثلاً رجلاً صالحاً وأمامه رجلاً ينير له الطريق أو يُمهّد له السير ، قلت إن هذا عمله الصالح ينجيّه ويكفيه السوء.

لذلك قال ﷺ أن الميت إذا وضع في قبره جاءت صلاته وجاء صيامه وجاء عمله الصالح في أحسن صورةٍ يدافعون عنه ويؤنسونه.

فالأمر المعنوية من أعمال البرّ تتمثّل في عوالم الغيب بصور محسوسة لها كيان ... تُكلّم صاحبها وتؤنسه ... بينما تتمثل أعمالُ الفجور والمعاصي في صور مفرّعة ، تعذبه وتنهش لحمه ...

ومقصود كلامنا أن لكل عالم من العوالم معانٍ مختلفة لنفس ألفاظنا الدنيوية ، فالقرآن الكريم مثلاً بعد أن وصف نعيم الجنة وما فيها من حورٍ حسانٍ ، وأنهارٍ من عسل ولبن وخمر وغرف وقصور .. يقول ﷺ " فِيهَا مَا لَا عَيْنُ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ... " كما رواه البزار والطبراني في الأوسط عن "أبي سعيدٍ" وهو صحيح.

ويقول ﷺ " لَيْسَ فِي الْجَنَّةِ شَيْءٌ مِمَّا فِي الدُّنْيَا إِلَّا الْأَسْمَاءُ " وهو صحيحٌ رواه "إبن عباسٍ" كما في الضياء ، بمعنى أن نعيم الجنة لا يخطر على قلب بشر .. وأمّا ما جاء من وصف لما فيها ، فما هو إلا لتقريب المعنى إلى ذهن أهل الدنيا على قدر عقولهم ....

• وإذا وصف الله تعالى ملائكته بأنهم أولو أجنحة مثنى وثلاث ورباع كما قال في أول سورة فاطر : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَيْكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مِّثْنَىٰ وَثُلُثَ وَرُبْعٍ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦١﴾ .

• فليس بالضرورة أن يكون المقصود بالجنح هو الجناح المعروف لدينا في الطيور ... بل يمكن فهم الجناح بمعنى القوة والبطش ... لذلك تقول العرب على الضعيف أنه مكسور الجناح .. ويقول رب العزة : ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ <sup>(١)</sup> ، كما يقول جلّ شأنه ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ <sup>(٢)</sup>.

• وكذلك معنى الصعود والهبوط ، والعلو والسفل ، والخروج والدخول ، ... كل هذه الألفاظ لها مدلولات في عوالم الغيب غير مدلولاتها في عالمنا الأرضي .. ولكن ثمة ارتباط يكون بين هذه المعاني وتلك ....

• فإذا قلنا أن الميت خَرَجَتْ روحه .. أو صعدت إلى بارئها .. فلا يتبادر إلى ذهنك المعنى المادي للخروج والصعود الدنيوي ، فتظن أن الروح كانت حبيسة داخل الجسد ، ثم تركته وانفصلت عنه ، كما يخرج الانسان من غرفة كان فيها مثلاً ..، ولكن افهم من خروج الروح أنها قد تركت تدبير أمر الجسد .. ولم تعد تلتفت إليه أو تهتم به ..

• ألا تسمع الناس يقولون " خرج عن طاعة الإمام .. أو خارج عن القانون " ، وطبعاً قصدهم عدم الالتزام بالطاعة أو القانون .. أى لم يعد يلتفت إليهما ...

(١) سورة الإسراء آية : ٢٤ .

(٢) سورة الأنفال آية : ٦١ .

كذلك الصعود.. يفهم منه الارتفاع والعلو.. والسمو، فالروح اذا صعدت فقد سَمَتْ وتعالَتْ عن ارتباطها بذلك الجسم الترابي، مَحَلُّ الشهوات الأرضية ...

• وكذلك مفهوم الرؤية في عالمنا الأرضي وغيره ....

فالرؤية هي ادراك الشئ ومعرفته معرفة عينية يقينية والإلمام بمواصفاته ..

ولا يكون ذلك إلا بنورٍ ينعكس على هذا الشئ، وعين تلتقط الصورة، وعقل يميزها ....

والنور عندنا مصدره الشمس والمصادر الصناعية التي يصدر منها هذا النور، ولكن إذا خرجنا إلى العوالم الغيبية فإنها خالية من الشمس ونورها .. فلا بد أنه يلزم لهذه الرؤية نور من الله تعالى، وقلب مبصر يرى بنور الله، فيدرك الأشياء في تلك العوالم ويحيط بها إحاطة تامة ويعرفها معرفة كاملة ...

لذلك يقول تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ (١)، والنور في حد ذاته لا يرى .. ولكن به تُرى الأشياء وتُعرف وتُدرك ...

• وما قصدناه من بسط الكلام في هذه الملاحظات، هو أن تدرك وأن يتفتح تفكيرك للألفاظ التي ترد في كتاب الله تعالى، أو في حديث

---

(١) سورة النور آية: ٤٠ .



رسوله ﷺ عن العوالم الغيبية ، ... وكل ما ذكرنا على سبيل المثال لا الحصر .

نعود مرة أخرى إلى العوالم التي ذكرنا بعضاً منها ، لنقول أن العلماء يصنّفونها إلى نوعين :

الأول : عالم الملك أو عالم الشهادة ...

الثاني : عالم الملكوت أو العوالم الغيبية ...

ولكننا نميل إلى تقسيم عوالم الملكوت أيضاً إلى قسمين ..

القسم الأول : عوالم الملكوت الأدنى ، ... والمقصود الأقرب للإنسان ، ونسميه عالم الجبروت ... ثم

القسم الثاني : عوالم الملكوت الأعلى ..... وبعض العلماء يطلقون عليه عالم " اللاهوت " .

وبشيء من التفصيل ... نقول :

أولاً : عالمُ الملك :

عالمُ الشهادة .. عالمُ الأجساد .. عالمُ الأفعال والأسماء الإلهية وتعريفه ببساطة شديدة : هو كل ما تدركه بحواسك المجردة السليمة ، أو استعنت على إدراكه بآلة أو صنعة ..

فالأرض وما عليها من كائنات ، والبحار وما فيها من مخلوقات ، والفضاء وما فيه من أجرام .. وكل ماله جسم ثابت أو متحرك .. وكل ما ينطبق عليه قوانين الفناء .. كلُّ هذا يُسمّى بعالم الملك أو عالم الشهادة...

ولامانع أن يكون داخل هذا العالم عوالم أخرى فرعية ، كل منها يحكمه قانون أو ناموس خاص به ، داخل الإطار العام لقوانين عالم الشهادة نفسه ...

فالأرض وجاذبيتها .. وسيرها .. ودورانها .. وجبالها .. وبراكينها .. وزلازلها ... لها قوانين .. والبحار وما فيها من جَزُرٍ ... ومدٍّ ... ، وتبخُّرٍ وتيارات مائية .... مخلوقات لها قوانين .. والفضاء الأدنى للأرض وما فيه من هواء ... وكائنات وموجات كهربية ... وصوتية ... لها قوانين ، والفضاء الأعلى وما فيه له كذلك قوانين .. والأجرام السماوية على اختلاف أنواعها من نجوم وكواكب وشُهَبٍ وثقوب سوداء وَمَجَرَّاتٍ وخلافه ... لها أيضاً قوانينها الخاصة ...

ونلاحظ أن كل ما في عوالم الشهادة من مخلوقات .. مخاطبة من الحق سبحانه وتعالى ، لذلك فهي لها كيان ولها أَنْفُسٌ .. هذه الأنفس تتفاوت في درجاتها ... فهناك

نَفْسٌ فَلَكِيَّةٌ .. ونَفْسٌ جَمَادِيَّةٌ .. ونَفْسٌ نَبَاتِيَّةٌ .. ونَفْسٌ حَيَوَانِيَّةٌ .. ونَفْسٌ بَشَرِيَّةٌ ..

انظر ما جاء في كتاب الله تعالى ..

﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا

طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١﴾

﴿ وَقِيلَ يَتَآرَضُ اِبْلَعِي مَاءَكَ وَيَسْمَأُ اَقْلَعِي ﴾ (٢)

﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ (٣)

﴿ يَسْجِبَالُ اَوْبَى مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّارُ لَهُ اَلْحَدِيدُ ﴾ (٤)

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْاَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ اِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ اِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (٥)

﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأْتِيهَا النَّمْلُ اَدْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا تَحْطِمَنَّكُمْ

سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٦)

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي اٰدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ

الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (٧)

وظاهر من هذه الآيات المباركات ، أن جميع الكائنات فى عالم الشهادة أو الملك هى كائنات مدركة .. ، لها نفس مخاطبة من الله تعالى .. ، وتسبحه جلَّ شأنه بكيفية خاصة بها ... ، ثم هى قبل ذلك كله لها بداية ولها نهاية ، ولها حياتها ما بين ذلك ...

فهذا العالم هو فى الحقيقة عالم الأنفس ، بعقولها وإدراكها

(١) سورة فصلت آية : ١١ .

(٣) سورة الرحمن آية : ٦ .

(٥) سورة الإسراء آية : ٤٤ .

(٧) سورة الإسراء آية : ٧٠ .

(٢) سورة هود آية : ٤٤ .

(٤) سورة سبأ آية : ١٠ .

(٦) سورة النمل آية : ١٨ .

وإحساسها .. ، ثم بعد ذلك بأفعالها التي توحى بها إلى أجسامها فتظهر هذه الأفعال فى هذا العالم ...

فإن قلت أنه عالم الأنفس فهذا حق .. ، وإن قلت أنه عالم الأجساد فهو حق .. ، وإن قلت أنه عالم الأفعال فهو أيضا حق ...

ولكننا نتدارك كلامنا فنقول أن ما نراه فى هذا العالم هى الأفعال فقط التى تصدر من هذه الكائنات .. ، فأنت لا ترى الأنفس ولا تعرف ما فيها..

لذلك نُعدّلُ كلامنا لنقول : إنه عالم الأفعال والأجساد ..

وحيث أن جميع ما فى هذا العالم له بداية ونهاية وحياة خاصة بينهما .. ، فالله سبحانه الخالق لها يدبر شؤونها بما يناسبها ويربّيها وينمّيها .. ثم يفيها بقدرته ...،

فهو إذا عالم الربوبية للأجساد والأجسام والمخلوقات جميعاً ....

فإذا علمنا يقيناً أن الله سبحانه وتعالى هو المهيمن بقدرته على كل ما فى الكون .. ، وهو القاهر فوق عباده .. وهو الفعال لما يريد جلّ شأنه ..

فالمخلوقات إذا تُوجد وَ تُخلَقُ بأسرار أسمائه تعالى البارى والمصور والخالق .... وما جانسها من أسماء عليّة..

وبأسرار أسمائه تعالى المقيت ، والمهيمن ، والرزاق وما جانسها ، يرزقون وينمون ويتحركون ..

وبأسرار أسمائه تعالى الودود ، والرحيم وما جانسها ، يتوادون ويتراحمون ...

وبأسرار أسمائه تعالى القهار ، والمنتقم وما جانسها ، يتعاركون  
ويتناحرون ...

ثم بأسرار أسمائه تعالى المميت والوارث والباقي وما جانسها ،  
يموتون ويفنون ...

فسبحان من بأسمائه وأفعاله ، خَلَقَ الْكَوْنُ ودَبَّرَهُ وأقامه وأفناه ...  
وكل شيء هالك إلا وجهه الكريم .. وكلُّ من عليها فانٍ .. ويبقى وجه ربك  
ذو الجلال والإكرام ..

فكل ما تراه من أفعال العباد في الكون ، هي أفعالُ لله تعالى على  
الحقيقة في عباده ... فهو الفَعَّال لما يريد .. صحيح أن الأفعال تصدر من  
المخلوقات بقوَّتهم المُركَّبة فيهم .. ولكنها على الحقيقة من قدرة الله  
تعالى عليهم ، فهو القاهر فوق عباده جلَّ شأنه ....

وهذه الأفعال التي تراها ، ما هي إلا أثر صفات الله تعالى في عالم  
الغيب ... وكل قوم .. أو مجتمعٍ .. أو جماعة من الخلق يكونون تحت قهر  
اسم من أسماء الله تعالى وصفة من صفاته ... وتدور هذه الأسماء عليهم ..  
فتتغير أحوالهم تبعاً لنورانية الاسم الفعال عليهم .. وهكذا ، بين الصحة  
والمرض ، واللهو والضحك ، والحزن والفرح .. وهكذا ....

• انظر إلى ما رواه الإمامان أحمد ومسلم في الحديث المتفق عليه  
عن سلمان وعن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ أن الله تعالى قد قسم  
الرحمة إلى مائة جزء .. ثم أنزل إلى الأرض جزءاً واحداً ، وأخر الباقي  
إلى يوم غضبة الجبار سبحانه ، ومن هذا الجزء الواحد من مائة جزء  
والذي أنزله الله تعالى إلى الأرض ، ووزعه على عباده .. يتراحم الناس ..

بل كل ذى كبد ، حتى أن البهيمة العجماء ترفع قدمها عن وليدها ، خوفا  
ورحمة به أن يصيبه منها مكروه !!!

فمن أسرار اسمه تعالى الرحيم كانت هذه الرحمة فى قلوب  
المخلوقين .. وكانت هذه أفعالهم ... وأنت لم تر الرحمة التى نزلت فى  
قلوب العباد ، ولكنك رأيت أثرها .. رأيت ما سببته من أفعال .. فأنت لا ترى  
الصفة ولا ترى الاسم ، ولكنك ترى الفعل الذى هو أثر الصفة ونتيجتها ،  
يقول تعالى : ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ  
مَوْتِهَا ﴾ <sup>(١)</sup>.

وهذا معناه أنك ترى آثار رحمة الله .. وما ترتب عليها من أفعاله  
ومظاهر القدرة ...

والله سبحانه وتعالى هو الذى أضحك وأبكى ، وهو الذى أَمَاتَ  
وأَحْيَا ، وهو الذى خلق الزوجين الذكر والأنثى ، وهو الذى إذا مرضتُ  
فهو يشفينى ، وهو الذى يطعمنى ويسقن ، ويعزُّ من يشاء ، ويذلُّ من يشاء ،  
ويبسِّط الرزق لمن يشاء ، ويحيى ويميت .....

وجَلَّ جلالُ الله ، وتقَدَّست ذاته ، وسبحان من لا يعلم ما هو إلا  
هو ، ولا كيف هو إلا هو ، جَلَّ الله تعالى ، وعزَّ عن المِثْلِ والمِثَالِ ،  
فليس كمثله شئ ، جَلَّ جلاله وعزَّ جاهه .. ولا إله غيره ...

وكل ما أردنا قوله ، هو أن عالم الشهادة .. عالم تجليات الله  
تعالى على عبادِهِ أَجْمَعِينَ بِأَسْمَائِهِ الْعَلِيَّةِ وَأَفْعَالِهِ الْحَكِيمَةِ .. والله هو رَبُّهُمْ

---

(١) سورة الروم آية : ٥٠ .

وَمُرِّيهِمْ وَكَافِلُهُمْ وَحَافِظُهُمْ ... ومحييهم .. ثم مميتهم .....

أَمَّا النَّفْسُ فِي هَذَا الْعَالَمِ فَإِنَّ لَهَا جَزْئِيَّةَ مَدْرَكَةٍ مِنْ ظَاهِرِهَا  
بِالْحَوَاسِّ الْمَعْرُوفَةِ وَالْمَنْطِقِ الْمَادِيِّ الْمَعْتَادِ .. ، ولكنها تلتفت أحيانا بقواها  
الْمُدْرَكَةِ مِنَ الْبَاطِنِ إِلَى بَعْضِ الْعَوَالِمِ الْآخَرَى ... !!!  
هذا هو ما يطلق عليه مسمى عالم الشهادة .. أو عالم الملك . أو  
عالم الربوبية ..

### ثانيا : عالم الجبروت :

هو الجزء الأقرب للإنسان من عوالم الملكوت .. بمعنى أن  
الإنسان فِي بَشَرِيَّتِهِ قد يستطيع أن يتعامل مع بعض عوالمه سواء في نومه أو  
يقظته ...

وعوالم الملكوت كلها غيبية لا تُرى بالعين .. ولكن سبق القول أن  
بعض قوى النفس الْمُدْرَكَةِ مِنَ الْبَاطِنِ ، قد تتعامل مع العوالم القريبة منها  
من عوالم الملكوت ، وهي ما نسميها بعوالم الجبروت ... وهو يحتوى على  
عوالم كثيرة .. ولكلِّ عالمٍ قوانينه الخاصة أيضاً ، ونظامه الذى يسير به ..  
والمقصود هنا ليس القرب أو البعد المادى ... ولكن مقصودنا  
القرب المعنوي في الصفات ..  
والسرُّ فى ذلك ، أن هذا الكائن البشرى يحتوى على ثلاثة  
عوالم .. أو ثلاث مواصفات ..  
تركيبه الجسدى والترابى .. وتركيبه النفسى الظاهر والباطن ..  
وتركيبه الروحى الأعلى ... ،  
وهو يتعامل فى وجوده بهذه العوالم الخاصة به مع ما يماثلها من

العوالم الكونية الأوسع والأكبر...

فالجسد يتعامل مع عالم الشهادة أو الملك .. وهو فيه فعّالٌ مؤثر يعطى ويأخذ ...

والنفس تتعامل مع عوالم الملكوت الأدنى أى عوالم الجبروت .. وهى فيها مؤثرة أيضاً ، تفعل وتنفعل بهذه العوالم ....

ثم الروح .. وهى العليا التى تتعامل أساساً مع العوالم الملكوتية العليا .. وإن كانت بحكم علوّها المعنوى .. وسموها تستطيع أن تتحكم فى كل عوالم الإنسان الجسدية أو النفسية ..

والسبب فى هذا التدرج الخلقى .. هو أن الروح من الله تعالى سامية عالية .. والجسد ترابىّ مادىّ .. فلكى تتعامل الروح مع الجسد لابد أن يكون هناك وَسَطٌ بينهما ، تدرج فيه المعارف والعلوم والأوامر... وهذا الوسط هو النَّفْس بقواها الباطنية ..

فالنفس فى الحقيقة " برزخ " بين الروح والجسد ... الروح تؤثر فيها، وكذلك الجسد له عليها تأثير .. وهى كذلك لها أثر على الاثنين ؛ الجسد والروح .. قبولاً ورفضاً للصفات والطاقات ...

وعوالم الجبروت هى عوالم الغيب التى تتجلى فيها صفاتُ الله تعالى ....، وما تقتضيه هذه التجليات من تدبيرات إلهية ، ومُدَبَّرَات جزئية وكلّية ، حتى تظهر نتائجها وآثارها فى عالم الملك والشهادة، أو كما يقولون هى عوالم النفوس المجردة والعقول المعنوية .

وكلُّ صِفَةٍ من صفات الله تعالى لها حضرتها .. وفى هذه الحضرة تكون



تَجَلَّيَاتِ اللَّهِ تعالى التى تنبع من نور هذه الصفة القدسية .. ولكل حضرة ....  
نورها .... وأسرارها .... وحُصَّارُها... وجنودها ... وذوقها .... وآدابها .... ثم بعد  
هذا آثارها فى عالم الملك كما يريد الله، وحيثما يشاء جَلَّتْ قدرته .

ولا تظن أن هذه الحضرات متتالية أو متتابعة .. بل هى آنية .. كُلُّها..  
فإن صفات الله تعالى لا تَتَعَطَّلُ منها صفةً أبداً ...

ولاحِظْ أننا نتحدث عن عوالم الملكوت .. فالقياس بالزمان والمكان  
المادى لا يفيدنا هنا .. والتعبير باللغة عن حضرات الصفات أمر بالغ  
الصعوبة.. إن لم يكن مستحيلا ، ولذلك فإن استشعار ومعايشة هذه  
الحضرات لا يكون بالجسد .. بل بالقلب ... أو قُلْ بِالْقُوَى الْمُدْرِكَةِ من  
باطن النفس .. أو قل بالفؤاد تجاوزاً ...

يقول تعالى : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ <sup>(١)</sup> ، ويقول :

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ <sup>(٢)</sup>.

والربط بين الجسد ، والقلب ، والنفس ، والروح واضح ....

ذلك أن محل التقاء الروح والنفس هو القلب .. وللنفس وجه إلى  
القلب ولها وجه إلى الروح ... والقلب عرش الروح ..

يقول تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup> نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ

﴿ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾ <sup>(٤)</sup> بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ <sup>(٥)</sup> ﴿ <sup>(٦)</sup>

فأنوار القرآن العظيم وأسراره ، تنزَّلتْ على قلب رسول الله ﷺ ،

(١) سورة النجم آية : ١١ .

(٢) سورة الحج آية : ٤٦ .

(٣) سورة الشعراء آية : ١٩٢-١٩٥ .

ونطق بألفاظه وآياته وحروفه لِسَانُهُ الشريف ، بالعربية الْمُشَرَّفَةِ بِشَرَفِ عربية  
كتاب الله وعربية رسوله ﷺ .

فالقلب .. يسمع ويرى .. والفؤاد يسمع ويرى ... والبصيرة تسمع  
وترى .. وهم لا يرون ما تراه العين الترابية .. ولا بكيفيتها ....

وتأمل مرةً أخرى في أول سورة الإسراء .. لتدرك أن الله تعالى  
عندما أراد أن يكرم حبيبه ورسوله ويريه آياته.. أنه سبحانه جَهَّزَ رسوله  
ﷺ -رغم ما كان عليه من كمال الخَلْقَةِ الروحية والجسدية - تجهيزاً خاصاً  
فوق شرف كماله ، فجعله سميعاً بصيراً .. ليسمع وبرى ما لم يسمعه ولم يره  
مخلوق ، كائناً من كان ، ولا حتى سيدنا جبريل عليه السلام ...

والصدر هو محل التقاء وازدواج النفس بالقلب ... وللنفس وجه إلى  
القلب ، ولها وجه إلى الجسد .. والصدر ساحة المعركة بين النفس والقلب ..  
والقلب هو محلُّ ضَخِّ الدَّمِّ للجسم .. والدَّمُّ هو حامل الحياة  
للجسم... والشیطان یجرى فی ابن آدم مجرى الدم في العروق ... ومصب  
هذا كُلُّهُ في القلب .. والنفس تُرَكَّبُ الدَّمُّ في مجراها في العروق وبه  
تُعَذَّى الحواس الخمس لها في يقظتها .. وَتُعَذَّى الحِسَّ المشترك في  
نومها... فالنفس حقيقة بين القلب والجسد والروح .....

انظر إلى قوله ﷺ " الْإِنَّمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ  
عَلَيْهِ النَّاسُ " كما رواه البخاري والترمذي عن " النواس بن سمعان " ،  
وهو حديث صحيح .

فإذا انجذبت النفس إلى الروح .. أمدتها الروح ببعض نورانياتها

وطاقتها .. وصَبَّغَتْهَا معها بِصِبْغَتِهَا .. حينئذ تستطيع النفس أَنْ تُحَلِّقَ فِي بعض هذه العوالم .. على قدرها ، وتتذوق منها وتشاهدها .. وتزورها أو حتى تعيش فيها .

وفي هذه الحضرات الغيبية الصِّفَاتِيَّةِ الْجَلَالِيَّةِ ، يسيطر اللّٰه تعالى على قلوب عباده ، وهى كما قال ﷺ بين أصبعين من أصابع الرحمن ... أصابع القدرة والمشية الإلهية .... ، يَلْبُثُها حيث وكيف شاء جَلَّتْ قدرته ... فيطهرُها .. ويزكيها .. وينيرها .. ويملؤها حكمة ونوراً ... ومحبة له تعالى لمن شاء من عباده الذين كتب في قلوبهم الإيمان ...

واللّٰه تعالى كذلك يفعل فيها ما يريد ، كما تقتضى حكمته على عبده أهل الظلام والعياذ باللّٰه .

يقول تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ ۝ ﴾ ..

والمَلِكُ يكون له التعظيم ، والتبجيل ، والهيبة ، والشكر ، والهيمنة على من يملك ..

فاللّٰه تعالى مالك القلوب .. ومحركُها .. ومحبيها ومقلِّبُها .. ولا يملك العبد من أمر قلبه شيئاً ...

يقول تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(١)</sup>،  
ويقول : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمُ الْإِيمَنَ وَزَيَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ  
الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ  
وَنِعْمَةً<sup>(٣)</sup> ، ويقول : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾<sup>(٤)</sup> .

وفى عوالم الجبروت هذه تفهم كثيراً من المعانى التى لاتدركها فى  
عالم الملك .. فتفهم معنى قوله تعالى : ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ<sup>ط</sup>  
وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾<sup>(٤)</sup> ، حيث تشهد المحو والإثبات فى هذه  
العوالم الدائمة الحركة ، الدائمة التغير والتبديل ... وتفهم كذلك معنى  
صعود وهبوط الروح ... وماهية عذاب القبر ونعيمه ... وكيف يُقَلَّبُ اللَّهُ  
قلوب عباده بقدرته ، وتفهم معنى نفس الرحمن كما ورد فى الحديث.  
كذلك ترى من خلق الله أنواعاً شتى من جنوده ، يعملون فى  
هذه العوالم ..

كذلك ينكشف لك بعض معانى الغيب .. النسبى .. والمطلق ..  
المادى والمعنوى .. كذلك ينكشف لك بعض المقادير الإلهية فتفهم سر  
أفعال العباد .. وتفهم هنا أن معنى الأقدار يختلف عن معنى سرِّ  
الأقدار ، والأقدار غير أسرار الأقدار !!

(٢) سورة الحجرات آية : ٧، ٨ .

(٤) سورة الرعد آية : ٣٩ .

(١) سورة الفتح آية : ٤ .

(٣) سورة البقرة آية : ٧ .

وباختصار ... تعيش بلا كيفٍ ... فى لا مكان ... ولا زمان .. وتنزوى  
عنك قوانين البشرية والمادية كلها ، ولا يمكن لعقل بشرى كائنا ما كان أن  
يدرك هذه الأمور فى ترايبته وبشريته ، لأنهما أولا وأخيرا هما اللتان تُسيّرانه  
وتسيطران عليه ....

• والذى يصل إلى هذه الدرجة من صفاء النفس وقوة الروح ،  
تجده عادة يغلب عليه الصمت والفكر والذهول .. أو قل ما يشبه الذهول ...  
لأن قلبه .. أو قلُّ باطن نفسه يتعايش مع هذه العوالم .. ولا بد أن تكون  
لهذه المعاشة آثار على الجسد بكيفية ما ، تختلف قوة وضعفاً .. وكيفا  
وحالا..

فالذى يعيش بقلبه فى عالم الجبروت ويتعايش مع أنوار صفات الله  
تعالى ، قد لا يستطيع لسانه ان ينشغل بالذكر .. بل لا يستطيع النطق أصلا  
وهو مُعَيَّب فى حالاته هذه ...

بل ربما اكتسب جسده بعض صفات الروح النورانية .. وخفة  
حركتها .. وعدم تأثرها بالماديات .. فيصير جسده كذلك لفترة ما تطول  
وتقصر حسبما يكابده ... ومن هذا قد يتصرف الجسد ببعض قوى الروح  
النورانية ، فينظر بنور الله ، ويسمع بقدرة الله ، ويمشى بحول الله ....  
ومن هنا قد تظهر عليه بعض خوارق العادات ، سواء كان يدري أو لا يدري  
بها .. فإنه غائب فى أنوار صفات الله .. ضيفُ على فضل الله تعالى  
وأنواره .. والله أعلم ماذا يفعل بعبده فى هذه الحالة روحاً وجسداً ..

وفى هذه العوالم تستطيع الأنفس بقواها الباطنية المنيرة بنور  
الروح ، ورقائق أنوار الحضرات الإلهية ، أن تتصل بعضها ببعض ، وتؤثر

بعضها فى البعض ، ويسرى بينها مثل التيار الكهربى ، فهذه تأخذ من تلك.. وتلك ترى ما عند هذه .. بل إنها تستطيع أن تتصل بأرواح المَوْتى ، وتراهم وتخاطبهم وهم فى برزخهم كما ذكرنا من قبل... وتتعلم النفس منهم أيضا ..

وفى هذا المجال تحدث " البُيُوتَةُ أو الأُبُوتَةُ الروحية " .. وتتألف او تتناكر الأرواح أو أن شئت قل الأنفس .

• وفى هذه العوالم تدرك بعض أسرار ما يحدث من أفعال العباد فى الأرض.. وكل الأفعال مخلوقة لله تعالى .. وتصدر من الكائنات تبعاً لمشيئته وقدرته تعالى ، وما سبق فى غيبه وما جرى به قلمُ القدرة .. ، ومنبعها وأصلها كما قلنا هى أنوار صفات الله تعالى فى هذه الحضرات الصفاتية ...

ونوعِيَّاتُ الأنفس هنا لا نهاية لها ، فمن الأنفس من تكتفى بالاستغراق فى حضرة واحدة من هذه الحضرات ، فتتأثر صفات النفس بأنوارها .. وتظل تنهل منها طالما هى حاضرة فى هذه الحضرة .. ، ومن الأنفس من يكون حظُّها حضرتين بدلاً من واحدة .. فهى تتردد بينهما وتشرب من كلٍّ منهما .. ، فتارة تغلب عليها أنوار صفة أخرى ...

والأولى ثابتة مع صفة واحدة .. وعلى نمط واحد ... ، والثانية مترددة بين صفتين ..... ، وثالثة يكون لها نصيب فى عدد أكبر من الحضرات ...

وكلما اتسعت نفسُ الحاضر .. وكلما تنوعت حَضَرَاتُ الصفات التى يتصل بها ... كلما كان صاحبها متغيراً .. متقلباً .. كل ساعة له حال .. وله

مذاق .. وله خصوصية .. فهو صاحب " تلوين " .. متلونٌ حسبما يُلقَى إليه  
من الأنوار .. أو حسبما يُلقَى هو فيه من الحضرات ...

وسادتنا ، أهل هذا العلم يقولون أن صاحب التلوين غير ثابت ،  
وأن صاحب التمكين ثابت .. وهو أعلى درجة من صاحبة التلوين ...  
غير أنى أرى غير هذا .. فإن صاحب التلوين دائر في أفلاك أنوار  
صفات كثيرة .. وصاحب المشرب الواحد الثابت يأخذ من حضرة  
واحدة ...

وقد تتسع النفس ، حتى تنهل وتشرب من جميع صفات الله تعالى  
المعروفة .. ولذلك تجدها في كل لحظة في حال .. وفي كل آن لها لون ..  
بين المحبة لله .. ، والإنكسار إلى الله ، والاعتزاز بالله ، والاعتزاز لله ،  
وهكذا كما يريد الله تعالى لعبده ...

غير أنى أتخفظ على قولي هذا .. بأن صاحب التلوين المبتدئ أو  
المنتهى .. وكذلك صاحب التمكين الثابت على أنوار صفة واحدة ..  
كلاهما يجب أن يكون صاحب تمكين ظاهراً .. لا بد أن يكون ثابت  
المظهر ، غير متأثر بما يجرى في باطنه قدر ما يستطيع ، ولا يذيع سراً لما  
يراه في العالم الآخر .. ، لأن حفظ السر شرطٌ لتحمل الأمانة ، ومن أذاع  
سراً أصبح غير أهلٍ لتحمل الأمانات ..

والحقيقة .. أن هذه العوالم ليست على درجة واحدة من العلو  
الروحي .. ، فهي متفاوتة .. ، والنفس فيها لا تستطيع ان تتصل أو تتعامل إلا  
مع ما يناسبها في هذا السمو والعلو .. ، فهي بين هذه الحضرات تحضر  
وتغيب تبعاً لطاقتها ونورانياتها وسموها ....

بل أن هناك أمراً آخر ..

فليست كل الأنفس التي تتعايش مع حضرة واحدة من صفة واحدة يكون لها نفس المنظور .. ونفس النصيب من هذه الأنوار .. بل هذه أرزاق من الله تعالى .. وطاقات في الأنفس .. وكلُّ يأخذ على قدره هو ، وعلى قدر ما كتب الله له من رزق فيها أو منها ..

ومن هذا الباب يختلف بعض الصالحين أهل هذه المجالس ، فبعضهم قد يكون في حضرة واحدة .. وأنوار صفة واحدة .. ولكن كلُّ يرى على قدره وحسبما يريد الله .. فيقع صغار الأولياء في تناقض في كلامهم ، على قدر ما شاهدوه وذاقوه ... والصحيح أن كلَّهم على صواب .. وكل منهم يرى من مرآة نفسه هو ، وعلى قدر طاقاته هو .. وسبحان الفتاح العليم ..

وقولنا أن هذه الحضرات تكون حيث لا مكان ولا زمان .. أمر في غاية الخطورة ، لأنه إذا انعدم الزمان .. فانك لاتفرق حينئذ بين ماضٍ ومستقبل .. فالكل عندك حاضر .. وأنت تروح وتجيئ بينهما .. والجميع عندك حضور .. بل قد تعيش أنت نفسك في الماضي ، أو في الحاضر ، أو في المستقبل في آن واحد ..، كذلك تنزوي لك أبعاد المسافات والأمكنة .. فتكون في مكانين أو أكثر في وقت واحد ... وهذه أمور لا تُشرح بالعقل المادى والمنطق البشرى .. ولكنها من قوى الروح التي أمدت النفس بها .. ولذلك فإن بداية العبد في الدخول إلى هذه العوالم .. وبداية تعامله مع بداية انكشاف عوالم الغيب .. هو أمر بالغ الصعوبة .. وشديد على النفس كلَّ الشدة .. ولا بد وأن يلزم للعبد في هذه المرحلة مرشد ودليل ،



يكون قد سبق في قطع هذه المفازات والصَّعَاب .. وتعلَّم كيف يتأدَّب مع كل حال له ، وكذلك كيف يتفادى كُلَّ عثرة في طريقه .. وما أكثر العثرات في هذا الطريق .. وما أخطرها إلا على من حماه الله وثبَّتَهُ وحَفِظَهُ من الأغيار .

هذه نقطة من بحر لانهاية له .. لنلقى إليك بشعاعٍ بسيط على هذه العوالم التي لا يحيط بها إلا الله تعالى ..

ومهما قلت وقال غيري .. فلن يبلغ علمنا مقدار ذرة من شط بحر ملئ بالرمال .. وسبحانه من بيده ملكوت كل شيء ..

والله تعالى يهدينا وإياكم سواء السبيل ويعلمنا ما ينفعنا ، وينفعا بما يعلمنا ...

### ثالثاً : عالمُ الملكوت :

ونقصد به الجزء الأعلى من عالم الملكوت ... والأبعد عن الإنسان من عالم الجبروت ...

وهذه عوالم خاصة بالروح لاغير .. ولا يَطَّلُعُ عليها قلبٌ ولا نفس .. مهما سَمَتْ وَعَلَتْ .. بل ليست كل الأرواح تستطيع أن تتعامل مع هذه العوالم ...

• لذلك يُقَسَّمُ سادتنا ، وعلى رأسهم “الحكيم الترمذی” الحكمة.. إلى نوعين :

– الحكمة الدنيا : وهي تختص بالأغيار من دون الله تعالى ..

المخلوقات كلها والأكوان .. والعوالم .. والنفوس .. والقلوب .. إلخ.

- الحكمة العليا : وهى ما يختص بالذات العليّة وصفاتها وأنوارها وتجليّاتها ، وكذلك علوم النور اللدنيّ ، وأسرار جريان الأقدار.

ويقول رضى الله عنه أن أولياء الله تعالى ، الذين يقفون مع الحكمة الدنيا ، وتنكشف لهم العوالم الغيبية الجبروتية ، ويتعاملون مع المخلوقات فيها ، ويغوصون فى أعماق النفوس ، ويخبرون ظاهرها وباطنها ، ويعرفون قدراتها وأسرارها وخباياها .. هؤلاء الذين يكون هذا كل همهم .... هم " زبالو الأولياء " !! الكناسون !! الذين يهتمون بمزابل النفس وأمراضها وأمراض القلوب .. فهم لا يرتفعون أبداً إلى أنوار الذات الإلهية وعظمتها وأسرارها .. لأن أمراض النفس لا تنتهى ..... وكلما تغلبوا على صفة سيئة بها ..... وجدوا صفة أخرى تستحق التأديب ..... فاهتموا بها .. فالتبث الأولى أن تستيقظ ..... فيعاودون الجهاد فى تأديبها ..... فهم دائماً فى همّ دائم .. وجهادٍ شديد .. رضى الله عنهم وأرضاهم ..

أما أصحاب الحكمة العليا .. أهل الله تعالى وصفاته وأنواره .. فأولئك جلساء الله تعالى المستغرقون فى عظمتهم وهيبته وفضله وأنواره وأسراره .. ولذلك يصبُّ عليهم الأنوار صبّاً .. ويجتبيهم .... ويقربهم إليه بفضله ، فإنهم غير معتمدين على أفعالهم وأعمالهم .. ولا ناظرين إلى أنفسهم ، ولا إلى ثواب أو عقاب ، أو إلى دنيا أو إلى آخرة .. بل نظرهم كلّهم إلى الله .. وهمهم كلّهم إلى الله ..

وسبحان من أودع فى كل قلب ما يشعلهُ ....، فمن جُبلت نفسه على

معالي الأمور فإنه لا يشغل إلا بها ... ومن جبلت نفسه على سفاسف الأمور... فهذا مستواه حقاً .... فالمنشغل بالدنيا وما فيها ... فإنها لا تسوى عند الله جناح بعوضة !!! وهذا قدره أيضا ... وكلُّ يعمل على شاكلته... أمّا المنشغل بالله تعالى ذاتاً وصفاتٍ فهذا أمره إلى الله.. وأنعم به وأكرم ...

والملكوت الأعلى له حضراته الذاتية .. حيث لاتعليق لنا عليها.. ولاخوض لنا فيها ، حتى لايزلّ اللسان في تعبير غير مقصود فيساء فهمه منا ، ويساء الحكم علينا ، والعياذ بالله تعالى من كل ما يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ...

وهذه العوالم العليا .. لاتستطيع الروح أن تعيش فيها أو تعايشها بصفة مستمرة ... بل هي تزورها لمحات كلمح البصر لا غير .. فتنهّل من هذه الحضرات والأسرار في لمحة واحدة ، ما يندك بها القلب والنفس والجسد ..

وقد تجلّى ربك للجبل فجعله دكاً .. بل وخرّ موسى صعقاً عليه السلام ...

هذا بينما يقول ﷺ " إني أبيتُ يطعمني ربي ويسقيني " حديث صحيح حسن ، رواه البخاري ومسلم عن " أبي هريرة " رضى الله عنه ... والحديث عن هذه المعية الخاصة جرأة لاتتطاول اليها ...

وقوله تعالى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ

جَانِبِ ﴿٨﴾ <sup>(١)</sup> يبين لك مكانة الملاء الأعلى ، و حتى عندما تزداد لاجاة الكفار مع رسول الله ﷺ ، ويطالبون بما يخرجهم عن بشريته وعبوديته لله تعالى .. يرد عليهم القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنَّ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ ﴿٦﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿١١﴾ قُلْ هُوَ نَبَوُّ عَظِيمٌ ﴿٢٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٢٨﴾ مَا كَانَ لِي مِن عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٢٩﴾ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٣٠﴾ <sup>(٢)</sup> .

فرسول الله ﷺ على جلال قدره ، وعظيم قُربه من الله تعالى ، وهو النفسُ الأكملُ و الروح الأعظم ، محلُّ أنوار الله تعالى وأسراره ، يُنبِّهنا في هذه الآيات ، إلى أنه مُتَلَقٍ من الله تعالى ، كيفما يشاء الله له من الملاء الأعلى ....

يقول رسول الله ﷺ " إِنِّي فِيمَا لَمْ يُوحَ إِلَيَّ كَأَحَدِكُمْ " رواه الطبراني في الكبير عن " معاذ " ، وهو حسن ...  
فهذا المستوى الأعلى لتجليات الله تعالى ... لا يُتَحَدَّثُ عنه إلا بالأمر من صاحب الأمر ... حيث يكون تجلَّى الذات الأحديَّة الصمديَّة الرحمانِيَّة ، وأنوار فيوضاتها !!!  
فالإمساك عن الحديث أنسب للأدب مع الله تعالى ورسوله .....

(١) سورة الصافات آية : ٨ .

(٢) سورة ص آية : ٦٥ - ٧٠ .

وماذا تكون المخلوقات والأكوان والعوالم فى جنب الله سبحانه  
وتعالى ، وهو يقول : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ  
تُرْجَعُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> ، ويقول ﷺ " اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ  
سَخَطِكَ ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً  
عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ " حديث حسن صحيح ، رواه مسلم  
والنسائي وغيرهم عن " عائشة " رضى الله عنها ..

فانظر رحمك الله تعالى وإيانا .. كيف يستعيز رسول الله ﷺ من  
أفعال الله تعالى الجَلَالِيَّة .. بأفعاله الجَمَالِيَّة ... وكلها لله تعالى !!  
ويستعيز بصفات الرحمة والرفقة من صفات العقوبة والشدة .. وكلها  
لله تعالى ..

ثم صلى الله عليه وسلم يستعيز بذات الله تعالى من ذات الله  
تعالى جَلَّ شأنه !!!!

وهنا تقف المعارف والألسنة والقلوب والأرواح عن الفهم  
والإدراك .. ، وإذا برسول الله ﷺ يقول " لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ  
كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ " ...

تَرَقَّى .. وسمو من رسول الله ﷺ .... حيث ينتقل ﷺ من حضرات  
الأسماء .. إلى حضرات الصفات .... إلى حضرات الذات السرمدية .. كلُّ  
هذا خلال تسبيحة واحدة منه ﷺ .....

---

(١) سورة القصص آية: ٨٨ .

جَلَّ جَلالُ اللَّهِ تعالى، وتقدَّست ذاته وعَزَّ جاهُهُ .. فما قدرُوا  
اللَّهُ حق قدره ... وما عرفَ اللَّهُ تعالى غيرَ اللَّهِ ... وما عُرِفَ اللَّهُ تعالى إلا  
باللَّهِ .. جَلَّ شأنُهُ العظيم ..

وفى بضع كلماتٍ قليلةٍ من كتابِ اللَّهِ تعالى ... ينقلك جَلَّ شأنُهُ  
ويُنَبِّهك إلى حضرات الأفعال .. وحضرات الصفات .. وحضرات الذات في  
سهولة ويسر ... ، كما أشرنا إلى سورة الناس حيث ... يقول تعالى :  
﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ ﴾ ..

وهنا... نأتى إلى الدرجة العليا ... الألوهية .. السيطرة والهيمنة على  
الأرواح ... الإله الذى ليس كمثلهِ شَيْءٌ ... الواحد القهار ..

" فَرَبُّ النَّاسِ " ... مربِّى الأجساد فى عالم الملك والشهادة  
بحضرات الأفعال والأسماء.

" وَمَلِكِ النَّاسِ " ... مالِكهم ومَلِكُهُم فى القلوب فى عالم الجبروت  
بحضرات الصفات .

" وإِلَهِ النَّاسِ " ... خالقُ الأرواح ومحِييها فى عالم الملكوت  
بحضرات الذات .

وهذه الحضرات جميعاً .. الأسماء .. أو الأفعال .. والصفات ..  
والذات .... اللانهاية .. واللاآنية .. تجمعها جميعاً الحضرة " الفردانية "  
الكبرى ..... فسبحان من جعل الكثرة فى واحد .. والواحد مَظْهَراً  
للكثرة ..... وأينما تولوا فثم وجه اللَّهِ تعالى ...

ولاتظن أن هناك فواصل بين هذه الحضرات ، محددة العوالم  
والمعالم .. بل الأمر أكثر تعقيداً من ذلك .. فالحضرات متداخلة ..  
ومنغصلة.... ، ومن الناس من يعيش فيها أو يزورها كالمح البصر .. ومنهم من  
يطول مقامه فيها .. ومنهم من يسبح فيها من حضرة إلى حضرة .. ومنهم  
المُقلُّ ، ومنهم المكثّر ...

ومنهم من يعيش جسمه في حضرة الملك ..... ويعيش قلبه ونفسه  
في حضرة الجبروت ..... وتعيش روحه في حضرة الملكوت ، وهو في كل  
هذا ثابت راسخ كالجبل ، لاتدري ما به ولا ما في باطنه ...

ومنهم من يتأثر ظاهره .. ومنهم من لا يتأثر ظاهره الا بقدر .. ومنهم  
من لا يتأثر ظاهره .. وهو المقام الأكمل كما كان لسيدنا رسول الله ﷺ ..

فهو ﷺ مع البشر مثلهم .. يأكل وينام ويمشي ... وهو مع الله تعالى  
بجميع عوالمه وقلبه ونفسه وروحه ، حتى قال الله عنه ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ  
أَهْوَىٰ ﴾ وحتى قال ﷺ " إِنَّا مَعَشَرُ الْأَنْبِيَاءِ نَنَامُ أَعْيُنُنَا وَلَا نَنَامُ  
قُلُوبُنَا " حديث صحيح ، ذكره ابن سعد عن " عطاء " مرسلًا....

فروحه وقلبه ونفسه مع الله تعالى .. يوحى إليه نوماً ويقظة ، لا يغفل  
عن الله طرفة عين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ..  
أما عن الإنسان العادي فنستطيع القول أنه ...  
إذا ذكر الله تعالى بلسانه ، كان عالمه هو عالم الملك  
والشهادة ،.....

وإذا ذكر الله تعالى بقلبه ونفسه وسِرِّه ، كان عالمه هو عالم  
الجبروت ، .....

وإذا ذكر الله تعالى بروحه ، كان عالمه هو عالم الملكوت  
الأعلى ...

وهي درجات .. ومن كل عالمٍ تأتيه أنوار هذه المخلوقات  
والإمدادات من الله تعالى...

ومن العابدين من يكون كل جزء من تركيبه في حضرة من  
الحضرات التي تناسبه ... وهو بين الملك والملكوت هابط صاعد ، نازل  
طالع ، تبعاً لتجليات الله تعالى عليه ، وطاقاته التي أكرمها الله تعالى بها .  
بقيت نقطة أخيرة ....

الذي يتعايش مع هذه العوالم .. وهذه الحضرات .. لاشك أنه بين  
المشاهدة والمعاشة ، يكون له فيها رؤى ومذاقات وحُجُبٌ تنقش وتوضع ...  
وحيث أن مقام الإحسان هو بين المراقبة والمشاهدة .. فيلزمنا أن  
نتعرض ولو قليلاً لمعنى الرؤية ومفهوم الحجاب .. وهذا ما سوف يكون  
حديثنا عنه باذن الله تعالى في الباب القادم ..

#### ١- الحُجُبُ الكونية

#### ٢- الرؤى ودرجاتها

فتح الله بصرنا وبصركم .. وأنار بصائرنا وبصائركم .. وطهر أرواحنا  
وأرواحكم ، وجمعنا جميعاً على حبيبه المصطفى ﷺ .. لنكون في حضرته  
العلية كتاباً مسطوراً بالهدى والنور ، ولا حجباً الله تعالى عن مقام كرم



رسوله ﷺ فيه .. ، وجعلنا من خيار محبيه ومن أصدق محبيه ..

وصلّ الله وسلم وبارك على عبدك وحبيبك ، وسر نورك محمد  
وعلى آله وصحبه أجمعين ، ونحن معهم يا رب العالمين والحمد لله في  
الأولى والآخرة .



## البابُ الثانی الحِجَابُ والرُّؤْيَا



خُلصنا مما سبق إلى أن الإنسان وهو يعيش في عالم الملك  
والشهادة ، تُحيطه أيضاً عوالم الملكوت الغيبية ، وأن هذه العوالم  
الغيبية متداخلة فيما بينها ، رغم أن كلاً منها منفصلٌ عن الآخر  
بكيفية ما ، وأن الإنسان يتعايش في حياته الدنيوية مع هذه  
العوالم، سواء أدرك هذا أم لم يدركه .. بل إنه يتعامل مع الكثير  
منها ، دون أن يدري لها مُسمًى أو تعريفاً ...

ولكى أَقَرِّبَ لك المعنى ، أضرب لك مثلاً بشعاع الضوء  
العادي ... فأنت تراه لوناً واحداً .... بل أنه بلا لون .. ولكن هذا  
الشعاع إذا مرَّ خلال منشورٍ زجاجي ، فإنه يخرج منه منقسماً إلى  
سبعة ألوان ، وهي ما نسميها " بألوان الطيف " والتي تتدرج من  
الأحمر إلى البنفسجي ، بل إن فيه كذلك ما هو تحت الأحمر وما  
هو فوق البنفسجي ...

ويُفسِّرُ العُلَمَاءُ هذه الظاهرة بقولهم ، أن لكل لون من هذه الألوان  
ذبذبة خاصة به مرتبطة بطول موجة هذا اللون .. والمنشور الزجاجي وما  
شابهه يستطيع أن يحلِّل هذه الألوان من الضوء العادي ، حيث أن لكل  
موجة منها درجة انكسار خاصة بها ، ... لذلك فإن الألوان الخارجة من  
المنشور ، تبدأ دائماً بالأحمر وتنتهي بالبنفسجي .. ونفس الترتيب تراه في  
ظاهرة " قوس قزح " عندما تمطر السماء وتكون الشمس ساطعة ...

وهذه الأطياف السبعة يمكنك أن تتعامل مع واحد منها فقط  
أو معها كلها معاً ...

فتداخل العوالم بعضها في البعض ، رغم انفصال كل منهم عن

الآخر ، ليس بالأمر الغريب عن العقل .. فإن الألوان السبعة اندمجت كلها معاً ، فأصبحت عالماً واحداً .. وبلا لون !!!

وقلنا إن مجال رؤية العين البشرية هو عالم الماديّات .. وإدراك العوالم الأخرى يكون بقوى النفس الأخرى المُدرّكة من باطنٍ ، وأن إدراك هذه القوى يزيد بفيوضات أنوار الروح وقواها على النفس ، فيصبح الإنسان ذا فِراسة ونور وبصيرة .. ويزداد قوة على التعامل مع الأكوان الخفيّة عنه ...

وقلنا إن عوالم الملك والشهادة هي عوالم حضرات أسماء الله تعالى وأفعاله... وتتعامل معها العين البشرية ... ، وعوالم الجبروت هي عوالم صفات الله تعالى ... ويتعامل معها القلب ... ، وعالم الملكوت الأعلى هي عوالم الحضرات المطلقة .. وتتعامل معها الروح ...

• وإذا عُدنا إلى منطوق حديث رسول الله ﷺ عن الإحسان حيث يقول : " أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ " ... وحرف الكاف هنا هو حرف " التشبيه " .. ، وفارق في المعنى بين من يقول " أَنَّكَ تَرَاهُ " و " كَأَنَّكَ تَرَاهُ " ....

يقول سبحانه : ﴿ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ ط قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ﴿٤٢﴾ .... (١)

---

(١) سورة النمل آية : ٤١ - ٤٢ .

فملكة سبأ رأت عرشها عند سيدنا سليمان .. وفيه بعض التغيير ....  
ولكن هي تعرف عرشها ، ولكن عقلها لم يتصور أن يكون العرش قد أُحضِرَ  
إلى ذلك المكان ... وكيف ينتقل العرش من مكان إلى مكان !! ومن الذى  
ينقله !! أمرُ بين التصديق لما تراه بعينها .. وعدم التصديق لقياسها بالعقل ..  
فقالت " كَأَنَّهُ هُوَ " ....

وسيدنا حارثة رضى الله عنه ، يجيب رسول الله ﷺ بقوله  
" وَكَأَنِّي أَرَى عَرْشَ الرَّحْمَنِ بَارِزًا " .... والأمر هنا ليس بين التصديق  
والشك ... ولكن لعدم الإحاطة الكاملة لما يراه .. لأن هذا أمر محال فى  
الحياة الدنيا .. فقوى النفس مهما ارتقت وسمت وارتفعت ، فهي مرتبطة  
بالجسد ومتطلباته وقوانينه ... ومحال أن تكون رؤيتها رؤية كاملة ...  
أو رؤية على التحقيق الكامل ...

• والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا

تُوسَّسُ بِهِ نَفْسُهُ ۚ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١﴾

وحبل الوريد هو الواصل فى الإنسان إلى القلب .. وليت شعري  
كيف يكون معنى القرب المقصود ، والتشبيه بشئ هو موجود داخل  
جسمك وفى شغافة قلبك ... فأى قرب هذا ؟؟ وكيف يُرى من وما هو  
بمثل هذا القرب !!

وعندما قال بنو اسرائيلَ لِمُوسَى أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً .. أخذتهم الصاعقة

---

(١) سورة ق آية : ١٦ .

وهم ينظرون ... وعندما سأل سيدنا موسى رَبَّهُ أَنْ ينظر إليه وتَجَلَّى ربه للجبل ، جعله دَكًّا ، وخر موسى صَعِقًا ، فلما أفاق قَالَ سبحانه تبت إليك وأنا أول المؤمنين ....

فَرُؤْيَةُ الإلْمَامِ وَالْإِحَاطَةِ مُسْتَحِيلَةٌ عَقْلًا وَشَرْعًا ... فَاللَّهُ جَلَّ جَلَّالَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ .. وَكُلُّ مَا خَطَرَ بِبَالِكَ فَاللَّهُ خِلَافَ ذَلِكَ .. وَهُوَ يَقُولُ جَلَّ وَعَلَا ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (١) .

أما ما يثار في أمر الإسراء والمعراج ، واختلاف الأقوال حول هل رأى رسول الله ﷺ رَبَّهُ بعينيَّ بصره ؟؟ .. فهذا أمرٌ خارجٌ تمامًا عن حد الأدب ، مع الله تعالى ومع رسوله وحببيه وصفوة خلقه ﷺ ...

وقد أكرم الله رسوله بمعجزة كونية حيث يقول ﷺ " أَتَمُّوا الصُّفُوفَ ، فَإِنِّي أَرَاكُمْ خَلْفَ ظَهْرِي " !! حديث صحيح ، رواه مسلم عن " أنس " ، وهذه ليست مواصفات ولا إمكانية العين البشرية العادية .. فهذه خصوصية لرسوله الكريم ... ثم بعد ذلك جعله سميعاً بصيراً - كما سبق عرضه - تأهيلاً لهذه الحادثة الجلل التي لم يسبق إليها نبيٌ ولا رسول ...

ثم بعد كل هذا يقول سبحانه وتعالى : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٠٣ .



رَأَى ﴿١١﴾ <sup>(١)</sup> ، ويقول في نفس السورة : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ <sup>(٢)</sup> ...

الأدبُ الكاملُ لرسولِ الله ﷺ ... والثباتُ الأعظمُ لحبيبِ الله ﷺ ... فما زَاغَ البصرُ من هَيْبَةٍ وَجَلَالٍ مَا يُشَاهِدُ ثَبَاتًا وَرُسُوخًا وَسَكِينَةً ... وما طَغَى البصرُ خِفَةً وَنَشْوَةً وَأُنْسًا بِإِنْعَامِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ بِهَذَا الْفَضْلِ ...  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَسَلَّم ، وَبَارَكَ ، يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَعَلَى  
آلِكَ وَصَحْبِكَ أَجْمَعِينَ ... ،

وكل ما يمكن قوله في هذا المقام أنه قد انقذت عين رسول الله ﷺ في بصيرته ، وانقذت بصيرته في عينه ، فرأى بعينه ما يراه ببصيرته ...

وأستغفر الله تعالى مما أقول .. ، واستسمحُ رسولهُ ﷺ مِنَ الْخَوْضِ فِي هَذَا الْأَمْرِ .. ، ولكننا أردنا أن نوقفَ الْحَدَّادِينَ وَنَافِخِي الْكَبِيرِ ، من الخوض في أسرار الملوك ، والبحث بعقولهم المحدودة وعلمهم الذي هو على قدرهم ، في آية من أعظم آيات الله التي أكرم الله بها حبيبه وصفيه ﷺ ...

• وقبل أن نتحدث عن الرؤية والحجب يجب أن نتعرض قليلاً  
لمُسَبِّبِ الرؤية ومُحْدِثِهَا وهو النور ... فنقول بإيجاز شديد :-

(١) سورة النجم آية : ١١ .

(٢) سورة النجم آية : ١٧ .

**النور** : النور هو الذى تُدْرِكُ به الأشياء .. وبدونه تكون الموجودات

كالعدم ...

والنور فى حَدِّ ذاته لا يُرى .. ولكنه بسقوطه على الموجودات وانعكاسه عنها إلى العين ، تُرى الأشياء ، وعلى قدر شِدَّةِ هذا النور أو الضوء ، وكذلك على قدر صحة العين ، تكون قوة الرؤية ، ..... فالنظر إلى الموجودات والإحاطة بها يكون بالنور ... أى أنه أداة المعرفة ...

والعرب تطلق لفظ " النَّظَر " على البصر .. وكذلك تطلقه على التفكير والتدبُّر والتمحيص والدراسة ....

يقول تعالى : ﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾<sup>(١)</sup> ،

ويقول جلَّ شأنه : ﴿ فَأَمَّا بَلَّغَ مَعَهُ السَّعَى قَالَ يَبْنِيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْهَبُكَ فَأَنْظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾<sup>(٢)</sup> .

فسواء كان النظر بالعين أو النظر بالعقل والبصيرة ، فكلاهما يلزمه نور ... إلاَّ أنَّ نور هذا ، غير نور ذاك ...

فإن كان تعاملك مع عالم الشهادة ، فيلزمك النور الأرضى الذى تلتقطه العين .... وإذا كان تعاملك مع عوالم الملكوت ، فيلزمك نور آخر يلتقطه القلب والفؤاد والبصيرة ...

---

(١) سورة النمل آية : ٢٧ .

(٢) سورة الصافات آية : ١٠٢ .

يقول تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ

الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (١)

ويقول : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ (٢)

ويقول جلَّ شأنه : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ

يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۚ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو

الْأَلْبَابِ ﴾ (٣)

والحكمة ببساطة هي : حسن الإحاطة ، وتمام العلم بالأمور ، مع  
التبصر بعواقبها ...

وقد سبق القول بأنها قسمان .. حكمة دنيا .. وحكمة عليا .. فارجع  
إلى قولنا في الباب السابق ...

يقول جلَّ شأنه : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ وفي آخر

الآية يقول جلَّ شأنه : ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ (٤) ، ثم يقول جلَّ

شأنه : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ (٥).

والقرآن نور الله ، والإيمان نور الله ، والرسول جميعاً نور

الله ، وذكر الله تعالى والأعمال الصالحة نور ، والمؤمنون يسعون نورهم

---

(١) سورة الحج آية : ٤٦ .

(٢) سورة النجم آية : ١١ .

(٣) سورة البقرة آية : ٢٦٩ .

(٤) سورة النور آية : ٣٥ .

(٥) سورة النور آية : ٤٠ .

بين أيديهم ....

ويقول رسول الله ﷺ " اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ " رواه الديلمي ...

ونستطيع أن نوجز ما نريد في قولنا أن النور هو وسيلة المعرفة والإلمام والصواب والهدى ، ....

ولكل عالم من العوالم التي ذكرناها سابقاً نورٌ خاصٌ يلزمه فيدرك به ... وكذلك أداة خاصة في الإنسان تستقبله ، تناسب هذه العوالم من عين أو قوى نفسٍ أو صفات قلبٍ ...

وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ يدلُّ على أن نور الله تعالى ملء السموات والأرض وما بينهما .. وكل الأكوان والعوالم .. وكل أسباب المعرفة والإدراك والعلم والتبصُّر والحكمة .. كلها من الله تعالى .. ومنبسطة على عباده ... ومنبسطة على أكوانه ومخلوقاته .....

فإذا كان الأمر كذلك فلماذا يلتقط هذا النور بعض الناس .. والبعض يزيد نصيبه منه ، والبعض يقل نصيبه حتى يصير كالأعمى !!

المنطق العادي البسيط يقول أنه لا بد وأن تكون هناك حواجز أو موانع أو حُجُب ، حول العبد أو بين العبد وربّه ... أو بين العبد وبين إدراك هذه الأنوار ... وهذه الحُجُب تتفاوت كثافة وشفافية ، كما يختلف ويتفاوت نصيب كل عبد منها ....

وروى مسلم عن " أبي ذرٍ " رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ

اللَّهُ ﷺ : "هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ ؟" فقال : "نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ" وفي روايةٍ وقال لأبي ذرٍ "رَأَيْتُ نُوراً" كما ذكر مسلم عن "أبي موسى" أن رسول الله ﷺ قال "حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتِ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ".

ويقول ﷺ "سَأَلْتُ جِبْرِيلَ هَلْ تَرَى رَبَّكَ ؟ قَالَ إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ سَبْعِينَ حِجَابًا مِنْ نُورٍ ، لَوْ رَأَيْتُ أَذْنَاهَا لاحتَرَقْتُ" رواه الطبراني في الأوسط عن "أنس"

ولنا الآن أن نتساءل ما معنى الحجاب المقصود ؟؟؟

ونجيب ببساطة أنَّ الحجاب هو انطباع الصور الكونية في القلب وانشغاله بها .. وقياسه عليها ..

فتحجب عنه تجلّيات الله تعالى وأنواره ، بحيث تصير له كالغلاف .. فلا يرى ولا يدرك أى شئ إلا من خلال هذه الصور الكونية... فيُحدِّ إدراكه ومعرفته على قدر هذه الصور ....

ومعنى انطباع الصور الكونية في القلب .. هو انشغال القلب ببعض عوالم الكون ، وسيطرة هذه العوالم على منطق وإدراك وبصيرة القلب ...

فمثلاً من انشغل بالعالم الأرضي .. وكانت الدنيا كل همّه وتفكيره ومنطقه .. فإن قوانينها وقوانين عوالمها تكون قيداً للقلب في إدراكه وتذوقه .. فيكون مادياً في تفكيره ومعلوماته .. فإذا رأى مناماً فيه إشارة إلى حقيقة غيبية ، أو رأى بعض أرواح الأموات تخاطبه .. فإن كل حكمه على

رؤياه ، أنَّها أضغاث أحلام ....، فهو لا يؤمن إلا بالماديَّات والأساليب والنائج.. أمَّا أن ينام وتصله رسالة حقيقية في نومه .. فهذه أوهام في نظره... وبالتالي تنقطع عنه أمثال هذه الرؤى أو على الأقل لا يستفيد منها لعدم يقينه بها ..

ومثال آخر لمن يكون انشغاله بعالم الجن مثلاً ..

فإن كل مفهومه وإدراكه يدور حول طاقات الجن وأفعالهم وعوالمهم .. ويفرح بسيطرته على الجن مثلاً - إذا كانت له عليهم سيطرة - ويفرح بقضائهم لمصالحه ورغباته ... ويكون همُّه كُلُّهُ هو كيف يزيد من سيطرته عليهم ... وأساليب إخضاعهم .....

فإذا قلنا له ، أن هناك عوالم أخرى غيبية من الروحانيين والملائكة ، لهم قوى أضعاف أضعاف ما في الجن .. وأن الله سبحانه وتعالى قد يُسَخِّرُ بعض هذه العوالم لبعض عباده الخالصين له ، لا يريدون إلا وجهه ، ولا يقصدون السيطرة على عالم من العوالم.. فإنه لا يقتنع بهذا الكلام .. ويظلُّ حبيس أفكاره ورغباته ، وبهذا لا يرتقى أبداً إلى مقام العبودية الحقَّة لله تعالى .. بل همُّه وانشغاله وإدراكه وعلمه لا يتجاوز عالم الجن ...

أمثلة بسيطة نسوقها للدلالة على معنى الصور الكونية وانطباعاتها في القلوب ، ولكن حقيقة مقصودنا غير ذلك .... أو هو أبعد من ذلك ...

وإليك بعض الإيضاح ....

قلنا من قبل أن عالم الملك هو عالم حضرات أسماء الله تعالى

وأفعاله .... وأن أفعال العباد والمظاهر الكونية هي انعكاس وآثار لأفعال الله تعالى وتجليّاته ....

فالناظر إلى أفعال العباد وتصرفاتهم ، هو بين درجتين ..  
الأولى : أن يرى أفعال العباد صادرةً من الله تعالى ..  
الثانية : أن يرى الله تعالى فعالاً في عباده ..

والأولى بمعنى أن يعرف الإرادة أولاً ، ثم يرى أفعال الخلق  
والثانية بمعنى أن يرى الأفعال أولاً ، ثم يعرف الإرادة بعد ذلك .  
وليس المقصود بهذا الوضوح الذى نذكره ولكننا نقرب  
المعنى إلى ذهن القارئ .

وفى الحالة الأولى يكون العبد ناظراً إلى أفعال العباد ،  
وغلبة القضاء والقدر عليهم ...  
وفى الحالة الثانية يكون العبد ناظراً إلى الله تعالى وأسمائه  
وصفاته وجنوده ...

وقد يبدو الأمر من الوهلة الأولى أن الحالتين لا فارق بينهما .. ففى  
كليهما يرى الناظر أن الله تعالى هو الفعال لما يريد فى أكوانه ...  
ولكن الفارق بينهما فى الحقيقة كبير ...

فإن الأول يعيش فى حضرات الأفعال والأسماء ، ويجتلى ذلك  
بعقله وفكره وحواسّه ...

بينما الثانى يعيش فى مبتدأ حضرات الصفات ، وأثرها فى  
عوالم الملك .

ولاحظ أن الاثنين لم يرتقيا بعد ليعيشا فى عوالم حضرات الصفات ، وملكوت عوالم الغيب والجبروت ...

والذى يعيش فى حضرات الأسماء والأفعال .. يكون محجوباً عن عوالم الصفات ... بما يراه من حضرات الأفعال .....

كذلك من يكون متعاشياً مع عوالم الجبروت .. فإنه يكون محجوباً عن عوالم الملكوت الأعلى بما يراه من عوالم الجبروت والتجليات التى فيه ...

وفى كل عالم من هذه العوالم مبتدأ .... ودرجات .... ونهاية ....

بل وأكثر من هذا .. فإن المبتدئ فى الدخول إلى عالم من هذه العوالم .. عادة ما يبدأ تعامله معه متعثراً .. متردداً .. ويلزمه وقت يطول ويقصر ، حتى يكون من أهل التمكن فيما دخله ، ولا يصير متمكناً فى درجة من هذه الدرجات ، إلا إذا أشرف على بداية الدرجة التى تليها .. وتداخلت عوالمه فى تلك المرحلة ...

ولاتظن أن الأمر بهذا الوضوح الذى نتكلم به .. أو أنه مثل درجات السلم .. بحيث تعرف بداية ونهاية كل درجة .. أو أنك تعرف الدرجة التى أنت فيها ، أو التى فيها غيرك من العباد .

ولذلك فإن كلام ساداتنا عن المقامات والأحوال التى يمر بها السائر إلى الله تعالى .. جعلت كثيراً من الناس يخطئ فى فهم كلامهم وذلك على حسب عقل القارئ وإدراكه هو .. ، لا كما يقصده ساداتنا



الأفاضل .. فانهم أهل رؤيا يقينية .. ولكن كثيرا ما يكون فى ألفاظهم الكثير من الرمز والإشارة ، التى لا يدركها إلا أهل هذا الأمر ...حتى لا يأخذ الحكمة منهم من لا يستحقها من الناس فيسئ استخدامها .. كالطفل الصغير إذا مكنته من الأحجار الكريمة أو من سلاح حاد ، فهو إما ألاّ يقدر الامور حق تقديرها .. وإما أن يؤذى نفسه أو من معه وحوله .

لذلك فلن أتعرض للمقامات ولا للأحوال ولا البوارق ولا اللوامع .... كما تعرض لها السابقون من ساداتنا الكرام ... لأن من يعيش فيها لن يعرف أنه يعيش فيها ... ومن لا يعيش فيها لن يفهم عنها شيئا ..... ولعلنا فى هذه العجالة قد أوضحنا معنى انطباع الصور الكونية فى القلب .. ولمعنى الحجاب عند الله تعالى ..

فالشهوات الأرضية حُجُب .....!!!

والعوالم الغيبية .. حُجُب .....!!!

وانشغال نفسك .. وقلبك .. بأى غيرٍ من الأغيار .... حُجُب...!!!

فكل ما سوى الله .. حجابٌ عن الله ... والقاصد وجه الله والعابد لله حقاً مُخلصاً لا يريد إلا وجهه الكريم ... ومهما انكشفت له من عوالم الغيب بدرجاتها ، فانه لا ينشغل بها ولا يقف معها .. بل لو جاءت العوالم كلها من جنٍ وشياطين وجنود .. وغيرهم ليكونوا خُدّاءاً بين يديه وبأمره .. ما التفّت اليهم .. ولا تعلق بهم .. ولا ركن إليهم .. بل هو لا يريد إلا الله تعالى .. بكماله وجماله وجلّاله .....

وتلزمنا الإشارة هنا إلى نقطة غاية فى الأهمية وتلك هى أن بعض

هذه الحجب إنما هي رحمة من الله تعالى للعبد ، تحجب عنه وتخفف عنه ، ما لا يستطيع التعرض له ، أو ما لا يكون مستعدا لاستقباله ..... ، وعلى سبيل المثال لو كشف حجاب الزمن عن الخلق ، وعرفوا أقدارهم المستقبلية ، وما كتب لهم من الرزق ، وما سوف يجرى عليهم من بلاء أو غيره .. فكيف تتصور أن تكون حياتهم ، وانتظارهم لأمرٍ سوف يقع عليهم ، سواء كانوا يحبونه أو يكرهونه ، وما يواكب هذا الانتظار من قلق وترقبٍ وألم ، وبعد كلِّ هذا قد يُعَيِّرُ الله قضاءه ، ويلطف بهم ، ولا يقع المكروه الذى يترقبونه وينتظرونه .....

كذلك انكشاف عوالم الملكوت الغيبى للنفس البشرية، وهى غير معدة لهذا الاستقبال ، قد يصيبها بالشلل المعنوى .. وماذا يحدث لو نظر العبد فجأة وهو بمفرده ، فرأى بعض الجن والملائكة مثلا والعوالم الأخرى حوله ، يحادثونه ويتعاملون معه ، دون مقدمات ولا استعدادٍ لهذا الأمر !!!

لذلك نقولُ أن وجود بعض هذه الحجب إنما هو رحمة للعبد ، ولطف من الله تعالى به ، حتى يتلقَّى من العوالم العلوية بقَدَرٍ ومقدار على قدر استعدادده ، وعلى قدر طاقته وازديادها بالتدرج ....

ومن هذا العرض المبسط نرى ما يلى :-

الحُجُب عن الله تعالى تنقسم إلى نوعين ...

**الأول :** حجب ظلمانية .. وهى الدنيا وشهواتها وزينتها والمعاصى والمخالفات .

**الثانى : حجب نورانية .. وهى درجات الكشف النورانية التى يُكرِّمُ الله بها عبده السائر إليه.**

وهنا يجب أن نفرق بين أمرين فى غاية الأهمية .. الأول : هو الكشف .. والثانى هو الفتح ....

وبإيجاز شديد نتعرض لهما فنقول وبالله التوفيق ...

**الكشف :** هو الاطلاع على بعض الأمور الغيبية الكونية والإخبار بها.... وهذا الكشف لانعتدُّ به ولانقيم له وزناً ... لأنه قد يشترك فيه المؤمن والكافر ..

وسببه كما قلنا من قبل هو ازدياد قوة طاقات النفس الباطنية ، وهذه قد يصل إليها المؤمن بطاعة الله وذكره ، .. كما قد يصل إليها غير المؤمن بنوع من الرياضة النفسية واستخدام الجنِّ فى معرفة بعض الأمور الغيبية ...

ونظرا لاشتراك المؤمن وغير المؤمن فيه .. لذلك فنحن لا نلتفت إليه .. فضلا عن أنه ليس بمرادنا ولا مقصودنا .. فنحن لا نريد سوى وجه الله تعالى ، لا أكوانه ولا جنوده ...

ورغم هذا فالكشف ينقسم إلى نوعين :-

**كشف نورانى :** وهو ما كان كشفا لبعض عوالم الملكوت ...

**كشف ظلمانى :** وهو الذى يغلب عليه تتبع معاصى العباد وعوراتهم فى خلواتهم .. فيكشف ويفضح ما ستره الله على عباده بدون غرض شرعى صحيح ...

وهناك أمر ثالث مرتبط بالكشف وهو الذى نسميه بالاستدراج....

**والاستدراج :** هو نوع من الكشف ، يجرى لبعض العباد الذين

سبق غضب الله عليهم ، والعياذ بالله .. فيمكر به الشيطان ، فيكشف له عن بعض عوالم الغيب ، ويزيد فى طاقات النفس .. فيغترَّ صاحبها بها ، ويسئ استخدام هذه القوى فيما يريد هو ، لافئما فحب الله تعالى ...

هذا نوع .. والنوع الثانى .. هو كشف من الله تعالى ، وإكرام منه للعبء نتيجة لعبادته وإخلاصه ، ولكن العبء يقف معها .. ومع الخوارق التى تحدث منه .. فىجمع الناس حوله .. ، وفظن أنه يفيدهم ويأخذ بأيديهم .. ويحترمه الناس ويحبونه ويرجونه ... ، فيتزئ لهم .. ويزيد من طاعاته وعبادته ليس حباً لله .. ، ولكن بدعوى أنه ينفع الناس وأن هذا دوره .. وهو فى حقيقة نفسه لا فحب إلا نفسه ، ولا فتهم إلا بأن يكون مقدماً محترماً محبوباً بين الناس ... ، فىقف عند هذا .. ، وتغير نيتة فتفسد .... وينسى الله تعالى ، وتختلط عليه الأمور ، والعياذ بالله تعالى ....

ولذلك يلزم للسالك إلى الله تعالى فى هذه المرحلة بالذات مرب ومرشء ودليل وناصح ، يأخذ بيده ليجتاز هذه المهالك ....

● وأمر الكشف .. وموضوع الاستدراج يسوقنا إلى موضوع أهم ألا وهو الفتح ، والكلام فى هذا الأمر صعب وجد خطير .. ولكننا نستعين بالله ونقول :-

**الفتح :** هو تجليات الحق سبحانه وتعالى ، بأنواره وأسراره على

قلب عبده المؤمن التقى النقى .. فىنير بصره وبصيرته .. ويلقى فى قلبه

وفى روعه وفى خواطره المعانى اللدنية العالية ، والتى لا يصل اليها عبد  
باجتهاده ولا بفكره ولا بعقله ....

فالمفتوح عليه من الخلق يعيش مع عوالم الله تعالى الملكوتية ،  
ويأخذ منهم ويعطى ..، وينفعل بهم ومعهم ... ، ويعيش فى أنوار قضاء الله  
تعالى ، وسر جريان قدره فى ملكوته وملكه ..

والأمر أعقد من كلامى هذا بكثير ، ومن الصعب الحديث فيه  
بألفاظنا العادية .. ، غير أننا نشير إلى أن للفتح درجات .. وقيل أنها درجات  
خمس ..

ونحن عموماً لانظمئن لأهل الفتح إلا إذا دخلوا إلى المرتبة الثالثة  
منه ... ، حيث يكون فى هذه المرتبة فى معية مولانا وسيدنا رسول الله  
ﷺ ، ويكون كفيله وضمينه ومرشده وولى أمره هو سيدنا رسول الله  
ﷺ .. ، فيصبح لا يستطيع أن يعيش لحظة واحدة بغير نوره ﷺ .

فتح الله علينا وعليكم ، وجمعنا على رسوله ﷺ يقظة  
ومناماً .. ، ونفعنا الله به وبأنواره وأسراره ، وجزاه عنا خير ما جازى  
نبياً عن اتباعه وقومه ،  
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، ونحن معهم يا رب  
العالمين ...

ولكى تدرك معنى الفتح بصورة أوضح نذكر أول سورة الفتح فى  
القرآن الكريم حيث يقول سبحانه : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾  
لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ

وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾.

وليس لى تعليق بشرح .. ولكن انظر ما نتيجة الفتح ومظاهره وعاقبته ...

غفر للذنوب السابقة واللاحقة ... ، وإتمام كمال نعمة الله على عبده ....، وهداية للصراط المستقيم الذى يحبه الله تعالى لعبده ... ، ونصر عزيز مؤزر من الله لعبده ...

هو إذاً ميلاد جديد للنفس البشرية وصاحبها ... ، جسم جديد ... ، ونفس جديدة .. ، وعقل جديد .. ، وتعامل جديد مع الله تعالى ومن الله جلّ وعلا ....

ولذلك يعتبر ساداتنا أن بداية الفتح هو بداية الميلاد الحقيقى .. ثم يحسبون أعمارهم على ما يمضى من بعد هذا الفتح .. فيقولون هذا عاش سنة ، وذاك عاش خمسا ، أو عشرة وهكذا .... رضى الله عنهم أجمعين وعنا معهم بفضله وكرمه ...

وحذار ان تفهم من الآيات السابقة أن الله تعالى قد غفر له ذنوباً سابقة منه ﷺ .. فهذا أمر لا يلىق بكمال رسول الله عليه الصلاة والسلام .... ، الذى يقول عنه ربه ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٢﴾ ۖ ...

ويقول له ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٣﴾ ۖ ...

ويقول ﷺ " أَدَبْنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي " وتقول عنه السيدة عائشة رضى الله عنها " كان خلقه القرآن " ...

فضلا عن أنه من أسس الإيمان أن تؤمن أن الأنبياء جميعاً عليهم

الصلاة والسلام معصومون ، قبل البعثة وبعدها ، وليس لهم لاصغائر ولا كبائر... فلا حظ للشيطان فيهم .. ، ونفوسهم نبوة عالية ، يوحى إليهم نوما وبقظة .. فهم مع الله تعالى بكيانهم وكينونيتهم .. فلا تصدر منهم معصية أبداً ، ولا ذنب أبداً .

وقد حمل ساداتنا معنى الذنب المذكور في الآية الشريفة على ثلاثة أوجه :

**الأول :** أن قوله تعالى ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ ، مقصود به المؤمنون حول رسول الله ﷺ... وإن الفتح كان لرسول الله ﷺ... والمغفرة لمن حوله من المؤمنين من باب قول العرب " إياك أعنى واسمعى يا جارة " .. ،

كما يقول جلّ وعلا في أول سورة الأحزاب ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ آتِيَ اللَّهِ وَلَا تَطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ .

وهل كان رسول الله ﷺ إالاخير عبد يتقى الله تعالى ويعرفه !! . ويقول ربنا : ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ <sup>(١)</sup> ... فهل تعقل أنت أن الخطاب موجه إلى رسول الله ﷺ بالتهديد والخسران..... حاشا وكلا ..

---

(١) سورة الزمر آية : ٦٥ .

بل ألف كلا .... إنما يقصد بهذا الخطاب من هم مع رسول الله ﷺ من المؤمنين ....

**الثاني :** أن ذنوب الأنبياء إنما هي من باب الحسن والأحسن .. والفاضل والأفضل ... وهي من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين . فالنبي إذا أتى بالحسن وترك الأحسن - وكلاهما خير - رجع فعاتب نفسه على ترك الأحسن والأفضل .. فيتنزّل الوحي بما في نفس النبي من العتاب لنفسه ... ويصبح ترك الأفضل من باب التقصير والذنوب في نظره ... الوحي ينزل بما في نفس الرسول ....

**والثالث :** أن النبي ﷺ دائم الترقى في معرفة الله تعالى ... وكل ساعة بل كل لمحة يزداد علمه بالله تعالى ..، تحقيقاً لقول الله تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۝ ﴾ ....، وهي دعوة مستجابة بلا شك من رسول الله ﷺ .. فكل يوم هو في ازدياد .... وكل زيادة في المعرفة بالله تعالى تُظهر أن ما كان قبلها من المعرفة لا يليق بجلال الله تعالى وعظمته ..، ولذلك كان رسول الله ﷺ دائم الاستغفار ، لأنه ﷺ دائم الترقى ودائم الزيادة في المعرفة بالله تعالى ..، فلزم دوام الاستغفار عما يكون قبله ...

والله تعالى أعلم .. وهذا هو ما يليق بجنابه ﷺ ...

ولشرح هذه الآيات أوجه كثيرة تناولها المفسرون .. وليس هذا موضوعنا الآن ... وعلى العموم فمقصودنا هو أن نبين لك معنى الفتح وأهميته في حياة السالكين إلى الله تعالى ...



ولاشك أن أهل الفتح من المؤمنين هم أعلى القمم المؤمنة في كل عصر .. فهم أهل الله تعالى وخاصته .. وهم المصطفون من الله تعالى لإكرامهم بفيوضاته وأنواره ...

ورغمًا عن هذا ، فهم متفاوتون في هذا الفضل .. كل على قدره وطاقته .. فهم ليسوا جميعاً سواءً ... فهناك أهل الفتح الكبير .. وهناك أهل الفتح الصغير .. وبينهما مراتب لا تنتهى ..

هذا من ناحية ... ومن الناحية الأخرى ، فحتى من هم في مرتبة واحدة عند الله تعالى يختلفون في مشاربهم وفتوحاتهم...

انظر إلى الملك ... ورئيس ديوانه .. ورئيس وزرائه ... وهم جميعاً أهل الثقة والخصوصية .... ولكن رئيس الديوان أعلم بالملك وأحواله ، ورضاه ، وغضبه ، وما يرضيه ، وما لا يرضى عنه .. ولكنه ليس مشغولاً بالرعية وأحوالها بقدر انشغاله واهتمامه بخصوصيات الملك ذاته .. ، أمّا رئيس الوزراء فهو أعلم بالرعية وأحوالها .. ومسئول عن تنفيذ أوامر الملك ، وأثر هذه الأوامر ... أمّا انشغاله بخصوصيات الملك ذاته فلا يصل إلى انشغاله بتنفيذ الأوامر في الرعية ...

فهذا في شأن ..... وذاك في شأن وربما كانا في درجة واحدة .....

وَجَلَّ جَلالُ الله تعالى ، وتعالى عما نقول علواً كبيراً ....

فإن من أهل الفتح من هو مشغول بحضرات ربه وتجلياته وأنواره .. وانشغاله بالخلق قليل ... ومنهم من هو مشغول بخلق الله تعالى وأكوانه وسريان قضائه وقدره في العوالم المخلوقة ... من خلال تجليات

اللَّهِ عليه .... ولا تفاضل بينهما ... فهذا فى وظيفة .. وذاك فى وظيفة ...  
والمزِيَّةُ لا تقتضى الأفضلية ... فَعِلْمُ سَيِّدِنَا موسى عليه وعلى نبينا أفضل  
الصلاة والسلام ، غير علمِ العبدِ الصالحِ كما رواه القرآن الكريم فى سورة  
الكهف .... هذا فى شأن وتكليف .. وذاك فى شأن آخر  
وتكليف ....

وليس معنى كلامنا الفصل التام بين الصنفين .. ولكن هذا يُفسِّرُ لك  
ما قد يحدث على أيدي بعض الصالحين من الكرامات وخوارق العادات  
فى الأمور الكونية وشؤون العباد .. ، وقد تجد من هم أعلى منهم درجة عند  
اللَّهِ تعالى ، وليست له مثل هذه الكرامات ... ذلك أن الثانى مشغول  
بربه .. ذاهل عن أكوانه .. وأمَّا الأول فقد أقامه اللّهُ تعالى فى أكوانه  
ليتعامل معها ...

لذلك يقول ساداتنا رضى اللّهُ عنهم " سار على الماء رجال ..  
ومات بالعطش من هم أفضل منهم " ... وهذه إشارة إلى بعض الأولياء  
الذين نقرأ عنهم أنهم قد ساروا بأقدامهم فوق الماء ، إكراما من اللّهُ تعالى  
لهم .. بينما استشهد إمامنا وسيدنا الحسين بن على رضى اللّهُ  
عنه ، وهو عطشان فى " كربلاء " .. وهل هناك أفضل من ابن بنت رسول  
اللّهِ ﷺ ، وريحانة قلبه وسيد شباب أهل الجنة !!!

وفى مثل هذه المقامات لا يكون الحكم بالمظاهر والظاهر ...  
ولهذا اختلف موسى مع العبد الصالح .....

غير أن هناك قِلَّةً من أهل الفتح الكبير ، رضى اللّهُ عنهم ، قد جمع  
اللّهُ لهم الحسنين ... فهم بين تجلّيات اللّهُ تعالى عليهم بأنواره

وأسراره .... وبين انشغالهم بعوالمه وأكوانه .. لايشغلهم هذا عن ذاك ....  
وهؤلاء القلة من رجال الله تعالى ، هم الورثة الكمل لأنوار رسول  
الله ﷺ .. وهم في كل عصر على قدمه ، وعلى قلبه عليه الصلاة والسلام ..  
لأن هذا شأنه وخصوصيته عليه الصلاة والسلام .. فهو مع الله تعالى لايفتر  
عنه طرفة عين .. وهو مع خلق الله تعالى يواليهم بالرعاية والعناية وتنفيذ  
أوامر الله تعالى فيهم ... وهو وليهم وكفيلهم ..

فشأن الوارثين الكاملين لأنواره ﷺ هو من بعض شأنه .. ومن  
بعض أنواره وأسراره حتى قيام الساعة ...

وهذا كان شأن الخلفاء الأربعة بعد رسول الله ﷺ .. ،  
حيث جمع الله لهم الخلافة الظاهرة ، والخلافة الروحية في  
الخلق .. ، فإن خليفة الله تعالى في الأرض لا بد وأن يكون هو  
العبد الكامل العارف بالله تعالى والقائم على شئون خلقه معاً .. ،  
وهذا معنى الخلافة ببساطة شديدة ...

ورسول الله ﷺ هو خليفة الله في الأرض بلا شك ... وهو الذي قال  
عنه ربنا : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ... وما اكتملت مقومات  
الخلافة إلا في العبد الكامل خير خلق الله أجمعين محمد ﷺ ... ، الروح  
الكاملة ، العارفة بالله تعالى ، مع الذات الكاملة خلقاً وخلقاً .. ،

وخلفاؤه الأربعة رضى الله عنهم .. ، هم حملة لوائه ولقد قال ﷺ  
" الْخِلَافَةُ بَعْدِي فِي أُمَّتِي قَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ مُلِكٌ بَعْدَ ذَلِكَ " حديث  
صحيح ، رواه أحمد والترمذي وابن حبان .... وهذا التاريخ كان نهاية

خلافة الإمام على كرم الله وجهه وتنازل ابنه الحسن عنها .... أمّا من بعدهم فقد انفصلت الخلافة الأرضية عن الخلافة الروحية .. فكان لكل منهما شأنه ،

فإذا قلتُ لي أنّ الخلافة كانت لآدم في الأرض .. قلتُ لك وهل في القرآن نصٌّ يدل على أن الخليفة هو سيدنا آدم !! وهل هناك ما يمنع أن يكون الخليفة المقصود هو من نسل آدم وليس آدم !!

وقد خلق الله آدم ، ثم أسكنه الجنة بنص القرآن الكريم ... ، ثم أنزله إلى الأرض ليتناسل ويتكاثر .. ليخرج من ذريته عندما يريد الله تعالى الخليفة المقصود ... وقدم لمجيئه بالأنبياء والرسل ، على قدر عقول أقوامهم في تلك الفترات والعصور ، وما استتم الدين ولا اكتملت الرسائل السماوية .. إلا بخاتم الأنبياء والمرسلين .. الذي تظل شريعته إلى يوم الدين ، وينكشف خلال فترة رسالته من أسرار الكون وقوانينه ما تنضج به البشرية كلها ، ويكون دينه ورسالته هي الأصل سابقا ، والأساس حتى يوم الدين ، وإن الدين عند الله الإسلام ....

وحتى عندما خاطب الله تعالى سيدنا داود عليه السلام وقال له:  
﴿ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾ <sup>(١)</sup> ، فالله سبحانه وتعالى لم يخاطب رسله بهذه الخلافة ... ، وخطابه لسيدنا داود عليه السلام ، هو تكليف محدود بالحكم بين الناس

---

(١) سورة ص آية : ٢٦ .

بنص القرآن ، وهى ليست خلافة مطلقة كما ترى.

ورغم هذا فالخلافة لها إطلاق ... ولها تقييد ...

فآدم وذريته لهم الخلافة فى الأرض ... الخلافة على إطلاقها .. فإن الله تعالى قد سخر له الأرض وما فيها وما عليها ... بل وجعل له الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمر الله تعالى له ... ولكن ليس كل فرد من أولاد آدم له القدرة على استخراج ما فى باطن الأرض .. ولا استغلال ما فى البر والبحر .. بل كل على قدر طاقته ...

فنقول إذاً أن الله تعالى قد سخر الأرض وما فيها وما عليها للبشرية كلها .. ثم كل جيل .. أو كل طور من أطوار البشرية .. أو كل فرد فيها خليفة فيما يستطيع الخلافة فيه ... فهى تصير خلافة مُقيّدة لكل فرد من ولد آدم ... وعلى قدر طاقته ...

ولكن يسوقنا الكلام هنا إلى نقطة دقيقة .. تلك أن هذه الخلافة هى فى الحقيقة وثيقة الصلة بالعبودية ... وكيف كان ذلك ??? ...

فلننظر سوياً ....

العبودية تقتضى الطاعة المطلقة للخالق جلّ وعلا ... فلا يُعبد سواه .. ولا يُرجى غيره ... وحقيقة هذه العبودية هى " الحرية الكاملة " .... ذلك أن العبد يتخلص من هوى نفسه .. ورقّ الشيطان .. وحُبّ الدنيا فلا تتملكه رغبة ولا هوى .. بل هو عبد لله تعالى .. فهو إذاً قد تحرر من عبودية نفسه والهوى والشيطان ...

وإذا صار العبد خالصاً لله تعالى ... أفاض الله عليه من قوته

وقد رته .. فيصبحُ عبدًا ربَّانِيًا ... تستجابُ دعوتهُ ، ... ويهابُهُ الخلقُ ... ،  
ويُحبُّهُ أهلُ السماءِ والأرضِ من الصالحين ... ، وينظرُ بنورِ الله ... ،  
ويتحدَّثُ بحكمةِ الله ... ويقدرُ بِقدرةِ الله ... فعلى قدرِ صدقِ  
عبودِيَّتِهِ .. على قدرِ ما يكتسبُ من أنوارِ صفاتِ الله .... فإذا اكتملت فيه  
العبودية ، الكمال الذي ليس فوقه كمال .. فقد استنار بالأنوار الإلهية  
الاستنارة التي ليس بعدها استنارة ... وأخذ من صفاتِ سيده ومولاه بالحظ  
الأوفى .. فصار بذلك ظلًّا لسيده وربِّه ...

ألا ترى إلى سيدنا رسول الله ﷺ كيف خاطب الشجر .. والحجر ..  
و الجبل .. والناقة .. والضَّبَّ .. والذئب .. وانشقَّ له القمر !!!  
خلافه مطلقه ... سببها عبودية مطلقه ... أدَّت إلى حُرِّيَّةٍ مطلقة .

وتنبَّه إلى أن رسول الله ﷺ هو إمام الأنبياء والمرسلين حتى من  
قبل بعثته البشرية المباركة ... يقول ﷺ " كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ  
وَالْجَسَدِ " .. حديث صحيح ، رواه الطبراني عن " ابن عباس " ..

فنبوة رسول الله ﷺ هي التي أمدَّت جميع الأنبياء بنبواتهم ..  
وهو إمامهم وخاتمهم صلى الله عليه وعليهم جميعا ... ، فهو كنز النور  
الإلهي ومنبع الأسرار اللاهوتية ...،

فقبل بعثته المباركة أمدَّ جميع الأنبياء بأنوارٍ من أنواره ، وأمَّا بعد  
بعثته فإنه يُمدُّ جميع الأولياء اللاحقين ، بأنوارٍ من أنوار  
روحه ﷺ .. فلا نبوة بعده ، فدائرة النبوة قد ختمت ببعثته ﷺ ..،  
ودائرة الولاية التي هو أيضًا مركزها وأصلها ، لاتختم إلا في نهاية

الدنيا .. بأنواره ﷺ .... وهل يكون الولي وليا إلا بحسن اتباعه لرسول الله ﷺ شريعة وطريقة وحقيقة !!

فالولاية هي امتداد لنور رسول الله ﷺ .. فلا عجب أن يكون للكاملين من ورثة أنواره ، بعض صور من صورة خلافته عليه الصلاة والسلام....

ونعود مرة أخرى لنحدث عن بعض خصائص أهل الفتح ... ونذكر بعض حديث رسول الله ﷺ حيث يقول " إِذَا ضَلَّ أَحَدُكُمْ أَوْ أَرَادَ عَوْنًا وَهُوَ بِأَرْضٍ لَيْسَ بِهَا إِنْسِيٌّ فَلْيَقُلْ : يَا عِبَادَ اللَّهِ أَغِيثُونِي (ثلاثا) فَإِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا لَا يَرَاهُمْ " رواه الطبراني ، ويقول ﷺ " رَبِّ أَشْعَثَ مَذْفُوعًا بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ " رواه مسلم والامام أحمد عن " أبي هريرة " ، وهو صحيح .

ويقول ﷺ " الْأَبْدَالُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ ، بِهِمْ تَقُومُ الْأَرْضُ ، وَبِهِمْ تُمَطَّرُونَ ، وَبِهِمْ تُنْصَرُونَ " رواه الطبراني في الكبير عن " عبادة بن الصامت " ، وهو صحيح ، وذكر مثله الإمام أحمد في مسنده ، وهو حسن رواه " الإمام علي " ، وكذلك ذكر مثله الطبراني عن " عوف بن مالك " ، وهو حسن ...

ومن أولى من أهل الله تعالى .. وأهل الفتح في استجابة دعوتهم .....

ولاحظ هنا دققة خفية ...

فالله تعالى مُوجِبُ الموجبات .. وهو سبحانه لا يَجِبُ عليه

شيئ إلا ما أوجبه سبحانه على نفسه ، فضلاً منه وكرماً .. ، فكيف يَبَرُّ  
اللَّهَ قسم عبده إذا دعاه !! والرسول ﷺ يقول " رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ  
وَجَفَّتِ الصُّحُفُ " ...

يتبادر إلى الذهن مفهوم واحد .. هو أن هذا العبد لا يدعو  
إلا بما سَبَقَ في عِلْمِ اللَّهِ تعالى .. أي أن اللَّه تعالى يلهمه الدعاء  
المستجاب ...

ومعنى هذا إن الإلهام والخواطر الرحمانية ، لا تنقطع عن هذا  
العبد ... انظر إلى قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ <sup>(١)</sup>.

ويقول في آية الكرسي : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ <sup>ع</sup>  
يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ <sup>ط</sup> وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا  
شَاءَ ﴾ ، ويقول عن العبد الصالح في سورة الكهف : ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا  
ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِثْلًا <sup>ح</sup> لِّمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

فَعِلْمُ اللَّهِ تَعَالَى .. وَالْعِلْمُ بِاللَّهِ جَلَّ شَأْنُهُ ... وَالْعِلْمُ عَنِ اللَّهِ  
سبحانه .. يُوْتِيهِ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ .. كيفما يشاء وأتَّى يشاء ..  
ولا يسأل عما يفعل .. ولا معقب لحكم الله !!! ..

والعبد الذي يفتح الله تعالى عليه ، لا يستطيع أن يتعاش مع عوالم  
ملكوت الله تعالى ، إلا إذا أمدّه الله تعالى بأنواره وأسراره على قدره وقدر  
طاقته ، وكذلك من أمدّه الله تعالى بأنواره وأسراره فإنه يستطيع أن يتعاش

---

(١) سورة الإنسان آية : ٣٠ .



مع بعض هذه العوالم الغيبية .... فالأمر فيه اختيارٌ من الله تعالى ... وإكرام لعباده بجلوه .. ومثله .. وكرمه ... وهل على فضل الله حرج !!!

فلا تحجّر عقلك وتفكيرك ، وتردّ على بعض ما تعرفه من عموميات ، ونحن نتحدث عن أعلى درجات أهل الخصوص ... والله سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم كثيراً ما يستثنى من أحكامه العامة أهل العلم .. وأهل الاجتهاد ومن أراد الله تعالى ...

يقول تعالى : ﴿ إِلَّا خَلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ (١).

ويقول : ﴿ عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ (٢) إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿ (٣).

ويقول : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ (٣).

وأهل الخصوص .. وأهل الاستثناء موجودون في كل عصر وقد كانوا في حضرة رسوله ﷺ ... ونذكر لك بعضها على وجه السرعة والإجمال ، وإذا أردت التفصيل فارجع إلى كتب السيرة والسنة النبوية ...

• قبل رسول الله ﷺ كل مال أبي بكر الصديق .. ونصف مال

(٢) سورة الجن آية : ٢٦-٢٧ .

(١) سورة الزخرف آية : ٦٧ .

(٣) سورة الزمر آية : ٦٨ .

عمر بن الخطاب ، ولم يقبل من الصحابة تطوعاً إلا في حدود ثلث أموالهم .... وبهذا أمر وشرع ﷺ .

• بشر الرسول ﷺ عشرة من أصحابه بالجنة في مجلس واحد ... كما بشر غيرهم في حالات أخرى .... فهل المبشرون من رسول الله بالجنة هم فقط أهل الجنة من بين صحابة رسول الله ﷺ !! ، أم أن هذه البشريات كانت لخصوصيات يعرفها الرسول صلوات الله وسلامه عليه حيث لم يخش عليهم من أن يفتنوا بأنفسهم ، وهو الذي نهانا عن المدح والإطراء في وجه من نمدح !!. والله أعلم بمراده ومراد رسوله ..

• جعل رسول الله ﷺ شهادة سيدنا " خزيمة " تعدل شهادة رجلين ... وعلى هذا سار أبو بكر وعمر في إثبات وتحقيق آخر سورة التوبة عند جمع القرآن ...

• ويقول ﷺ " إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ : اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ " حديث صحيح ، عن " أبي هريرة " كما رواه الحاكم في مستدركه ...

وقال ﷺ " أَوَّلُ مَنْ أَشْفَعَ لَهُ مِنْ أُمَّتِي أَهْلُ الْمَدِينَةِ ، وَأَهْلُ مَكَّةَ ، وَأَهْلُ الطَّائِفِ " رواه الطبراني في الكبير عن " عبد الله بن جعفر " ، وهو صحيح ...

وغير هذا كثير لا مجال لبسطه الآن ... ولكن يجب أن نعرف أننا

عندما نتحدث عن هذه الخصوصية ، وهذا الاستثناء ، فنحن لانعنى خصوصيةً أو استثناءً من أوامر الله تعالى لعبيده فى شريعته ، فلا يطالبهم بما يطالب به غيرهم من العموم ... فهذا ما مرَّ حتَّى بخاطرنا....

بل نقصد أنهم أهل الخصوص فى الأدب العالى مع الله تعالى ومع رسوله ﷺ ، وكذلك الإيمان الكامل واليقين الثابت بالله ورسوله .. أى نحن نتحدث عن صفوة القوم ، وعلية الملائمة من أتباع رسول الله ﷺ .... فتنبه رحمك الله وإيانا ....

وقد وصلنا فى حديثنا إلى أن أهل الله تعالى وخاصته لديهم القدرة على التعامل مع بعض عوالم الملكوت ، وأن الله تعالى قد أهَّلهم لهذا الفضل ... ولاشك ان أول هذه القدرات تكون هى رؤية هذه العوالم أو بعضها وإدراك ما فيها ...

انظر إلى قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿ سَخَّطْنَاكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلَقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾ (٢) ، فالمخلوق بدايةً كان فى ظلمة .. وأياً كانت هذه الظلمة مادية أو معنوية - كما اختلف فيها المفسرون - فإن الله تعالى

(١) سورة النحل آية : ٧٨.

(٢) سورة الزمر آية : ٦.

ينبّه إلى أنه جَلَّ شأنه ، قد أخرج عباده من هذه الظلمة ، وجعل لهم السمع والأبصار والأفئدة ... وبهذه النعم الثلاث يتدرّج الإنسان من ظلمة الجهل إلى أنوار المعرفة .. سواءً المادية أو المعنوية .... فإنه بأدوات الإحساس الظاهري من سمع وبصر ومنطق وتعقل .. يصبح الإنسان مدركاً عاقلاً في الدنيا ..

إذا فهمى في الحقيقة أنواع من الأنوار الإلهية التي يدرك الإنسان بها وجوده في الدنيا ...

ومن يُرد الله أن يهديه للإيمان والإسلام يزيد من أنواره عليه .. لينير قلبه وعقله بنور المعرفة والإدراك الباطني ... لذلك يقول تعالى : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١).

فالكافر وإن كان له سمع وبصر وإدراك ، وهي أنوار من الله بلا شك ولكنها محدودة بالنفع والإدراك في الحياة الدنيا ، لذلك يقول تعالى : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ (٢)، وهو تعالى الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ... فالله تعالى قد هيا لجميع مخلوقاته أسباب معرفتهم وإدراكهم ليعيشوا في الحياة الدنيا ...

(١) سورة الأنعام آية : ١٢٢ .

(٢) سورة الروم آية : ٧ .

ولكن الذين كفروا وقفوا عند هذا الحد من استقبال النور الإلهي.. أما المؤمنون فقد استزادوا من نور المعرفة بالله تعالى ... فزادهم الله نوراً لمعرفته هو جَلَّ شأنه .. فأخرجهم الله تعالى من ظلمة الجهل به إلى نور المعرفة الإيمانية ...

وتتكرر نفس القوانين الإلهية مع المؤمنين وأهل الاجتباء ... فالله سبحانه يخرجهم من بطن الدنيا ، ومن بطن عوالمهم المادية الأرضية ليولدوا في عوالم الملكوت .. فيجعل لهم السمع والأبصار والافئدة التي تناسب قوى العوالم الجديدة .. فيرى .. ويسمع .. ويدرك .. فيعرف ويتعلم ويتعامل مع هذه العوالم ...

انظر إلى الحديث القدسي الذي ذكره البخاري عن أبي هريرة وهو حديث صحيح يقول ربُّ العِزَّة " مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالتَّوَّافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرَجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ وَإِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ قَبْضِ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مُسَاءَتَهُ " .

وصدق رسول الله ﷺ .. وصدق الله العظيم في كل ما يقول ويَعِد .. ومن أصدق من الله تعالى قيلاً ....

فمن أحبه الله تعالى من عباده .. أكرمهم من فضله ... وأمدَّهم بسرِّه وقدرته ، وجعل سبحانه هذه القدرات وهذه الأسرار .. في أسماعهم وأبصارهم وأيديهم وأرجلهم ... ، وزادهم رضاء ومودةً ودلالاً بأن لهم ما

يشاعون عند ربهم جَلَّ وعلا ....

وما ظنُّك بمن أمدَّ الله قُواه وعقله وإدراكه بقوَّته جَلَّ شأنه وأنوار معرفته!!  
وقد سبق أن قلنا أن أوَّل ما يُحرِّك الإنسان في الدنيا هو  
الخواطر .. وهذه الخواطر ترفعه إلى النِّيَّة ثم العزم على  
الحركة .... فلا فعل .. ولا حركة .. ولا تصرف من ابن آدم إلا وبدايته  
هذه الخواطر .....

وسبق أن قلنا أن هذه الخواطر منها الرحمانية ، ومنها الشيطانية .  
وقلنا في كتابنا " قواعد الايمان " أن معنى قوله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا  
سَوَّاهَا ﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿ ٨ ﴾ <sup>(١)</sup> أفهم منها أن الله تعالى  
ألهمها التفرقة بين الإلهام بالخير ، والإيعاز والوسوسة بالشر من الشيطان ...  
ومن قول رسول الله ﷺ " أَنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ  
يُقَلِّبُهَا " حديث صحيح ، رواه الترمذى وأحمد عن " أنس " رضى الله عنه .  
فإن أوَّل ما يتبادر إلى ذهننا أن عباد الله المخلصين إليه ..  
المحبوبون عنده .. لا بد وأن يتولى الله تعالى تطهير قلوبهم وتقويتها وأن  
ينيرها بالخواطر الرحمانية النورانية المتتابة ، وأن يدافع عنها ويحفظها ..  
ويزيدها قوة على طرد كل خاطر غير نورانى ،

يقول تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ

تَقْوَاهُمْ ﴾ <sup>(٢)</sup>

---

(١) سورة الشمس آية : ٧، ٨ . (٢) سورة محمد آية : ١٧ .

وقد قلنا من قبل إن الروح عرشها القلب .. وأن القلب له وجه إلى النفس ووجه إلى الروح ... ، وحيث أن الله تعالى ينير القلب بالخواطر النورانية الرحمانية ، وبذلك تتأثر قوى النفس الباطنية -والادراك واحد منها- وكذلك تضيء الروح من نورها على النفس لازدياد قابلية الأخيرة لأنوار الروح ..

بذلك كله - وأكثر منه - ينير القلب .. وتنير النفس ... وتنير حواسها المدركة من باطن .. فيرى العبد بنور الله .. ويسمع بنور الله .. إلى أن يمدّه الله تعالى بقوة منه .. فى يده .. وفى رجله ... أى أنه حتى جسده المادى ، يخضع أيضاً لقوى الروح .. وقوى النفس الظاهرة...

فأول ما يتغير فى العبد فى هذه المرحلة .. هو نورانية الخواطر التى تأتیه ، حتى يصبح ذا فِراسةٍ فينظر بنور الله تعالى كما فى الحديث الشريف ...

ونحن إذا قلنا " الخواطر " .. فأنت لاتعرف كيف تتلقى هذا الخاطر .. ولاتعلم عن قوى نفسك الباطنية شيئاً .. ولاتدرى هل ما يستقبل الخاطر منك هو الوهم أو الخيال أو التفكير أو التذكر أو الحس المشترك .. وكل هذه من قوى النفس ....

كل ما تشعر به على الحقيقة .. أن هذا الخاطر .. يزداد عندك قوة حتى يصل إلى مرتبة " الجَزْم " ، فتتعامل معه على أنه حقيقة لا شك فيها ، أو هو على الوجه المقابل ، يضعف ويزداد ضعفاً .. حتى يتلاشى وتنساه .... وأنت لاتدرى أنك فى الحالتين تتعامل مع عالم الجبروت أو

عالم يمحو الله ما يشاء ويثبت جلَّ شأنه ...

فإذا ازداد هذا الخاطر عندك قوةً وبقينا ... فالحقيقة أنك قد دخلت في مرتبة أخرى .. فما عاد الأمر عندك ظناً ... بل قد صار إلهاماً .. ثم يقينا ، ثم تنزل عليك السكينة في القلب ...، ليكون الأمر عندك راسخاً رسوخَ الجبل ... يقول تعالى : ﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ﴾<sup>(١)</sup>.

ويقول : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ ۖ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾<sup>(٢)</sup>. وتأمل هاتين الآيتين .... فيظهر لك جلياً أن الله تعالى قد طمأن وتبّت وفرّح قلبَ رسوله ﷺ وقلوبَ المؤمنين معه بهذه السكينة،.. وزاد إيمانهم بتنزيلها عليهم ... ثم تبيّ جَلَّ شأنه بالتأييد بجنود له غير مرئية ، وفي الآية الثانية عطفَ بأن له تعالى جنود السموات والأرض ... فالسكينة هي من جنود الله تعالى .. وهي ضدُّ " الرعب " ، الذي هو أيضاً من جنود الله تعالى كما سبق القول ... والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن ...

وجنودُ الله تعالى هي من صفاته وتجليّاته سبحانه وتعالى ... والسكينة مشتقة في اللغة من سكن .. يسكن .. سكونا .. وسكناً ... فهي الطمأنينة .. والأمن .. والاستقرار .. والراحة .

(١) سورة التوبة آية : ٤٠ .

(٢) سورة الفتح آية : ٤ .



وحذار ثم حذار ، أن تفهم من كلامنا هذا أن كل أمر يستقر في القلب ولا يتزعزع ، أن معه السكينة ... فإننا نتكلم عن قلوب صفت إلى الله تعالى واستنارت بأنواره .. وكذلك عن نفس مطمئنة ، قد قطعت شوطاً طويلاً في تأديها بأدب القرآن ، وسنة رسول الله ﷺ فساعتها الروح بأنوارها ..

أما من هو ليس في هذه الدرجة ، فإن قلبه ونفسه يستكثان إلى هواه .. وشهواته ... فتنبه رحمك الله وإيانا .....

وننبه أيضاً إلى أن المقصود بجنود الله تعالى .. القوي التي ليس لأحد عليها سيطرة ولا توجيه .. بل المتصرف فيها هو الله تعالى ...

وانظر إلى قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ <sup>(١)</sup> ... فالله تعالى قد كتب في قلوبهم الإيمان .. ثم أيدهم بروح من الله تعالى ...

فالأمر الذي نناقشه لانقصد به أمراً عقلائياً ، يستقر رأيك وعقلك على قرار فيه .. ولكننا نتحدث عن إلقاء الله تعالى على قلوب عبده من السكينة أو الروح ، فيتأيد الأمر في القلب ويثق ويؤمن ويستكن ويسكن ويطمئن بما وصل إليه من إكرام الله تعالى له وليس بتفكيره ومنطقه .....

فنحن نتحدث عن سكينة وطمأنينة تحدث في القلب دون سببٍ

---

(١) سورة المجادلة آية: ٢٢.

تعرفه .. لأنك لو وصلت إلى هذه السكينة بالأسباب والعقل ... فحينئذ تكون نتيجة طبيعية لمنطقك ودراستك ، فهي حينئذ مكتسبة بالأسباب .. لك ولغيرك .... وهذه في الحقيقة ليست السكينة التي نتحدث عنها ... إنما هي اطمئنان منك لعقلك وتفكيرك .... فلاحظ الفارق بين الحالتين ...

وحتى لا تتعجب أو تستنكر قولنا هذا .. والشئ بالشئ يذكر .. نلفت الأنظار إلى قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ <sup>(١)</sup> ،

ومعنى " من حيث لا يحتسب " أى أنه لم يتدبر له ، ولم يكن فى حسابه وحساباته ... ففارق كبير بين المتسبب وغير المتسبب .. وبين ما جاء بالأسباب .. وما جاء بغير أسباب ....

ويكفينا هذا القدر فى حديثنا عن الخواطر .. لنأتى بعد ذلك إلى الرؤية .. وهى المرتبة التى تلى الخواطر فى النورانية ...

## الرؤية

وقد سبق القول بأن الرؤى على إطلاقها هى رسالة من عالم الملكوت إلى العبد .. ،

---

(١) سورة الطلاق آية: ٢،٣ .

يقول ﷺ "ذَهَبَتِ النَّبُوءَةُ فَلَا بُؤَّةَ بَعْدِي ، إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ ،  
الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ أَوْ تُرَى لَهُ " وهو صحيح ، رواه الطبرانى عن  
" حذيفة بن أسيد " ،

وقال ﷺ "ذَهَبَتِ النَّبُوءَةُ وَبَقِيَتِ الْمُبَشِّرَاتُ " وهو صحيح ، رواه  
ابن ماجه .

ويقول ﷺ "الرُّؤْيَةُ الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءاً مِنَ النَّبُوءَةِ  
" حديث صحيح ، رواه البخارى ومسلم وغيرهم عن " ابن عمر " وعن "   
أبى هريرة " .

ويقول ﷺ " رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ كَلَامٌ يُكَلِّمُ بِهِ الْعَبْدَ رَبُّهُ فِي الْمَنَامِ "   
حديث صحيح ، للطبرانى .

أما أن الرؤية جزء من ستة واربعين جزءاً من النبوة ، فذلك لأن  
رسول الله ﷺ ظل ستة أشهر قبل البعثة يرى الرؤيا فتأتى مثل فلق  
الصبح.. فإذا علمت أن زمن رسالة الرسول ﷺ هى ثلاثة وعشرون  
سنة ، علمت أن الستة أشهر هى جزء من ستة واربعين جزءاً من زمن  
رسالته عليه الصلاة والسلام ..

وَيَقَسِّمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرُّؤْيَةَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ حَيْثُ يَقُولُ فِي  
حديث صحيح رواه الترمذى وابن ماجه عن أبى هريرة " الرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ :  
فَبُشْرَى مِنَ اللَّهِ ، وَحَدِيثُ نَفْسٍ ، وَتَخْوِيفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ " .

وقد بسطنا الكلام عن الرؤية فى كتابنا " قواعد الإيمان " ونكتفى

هنا بعض الملحوظات ...

• أننا نتحدث الآن عن الرؤى التى هى من الله تعالى

لعبده .....

• أن عالم الرؤيا يسمى بعالم المثال ، وأنها قد تحتاج إلى تأويل

بعض رموزها ، وقد لا تحتاج ....

• أن ما يلتقطها من الإنسان هو " الحِسُّ المُشْتَرَكُ " ، حيث أنه

الرباط بين النوم واليقظة ، لذلك فأنت تتذكر فى يقظتك ما قد رأيته ، رغم أنك كنت فاقد الوعي الظاهر خلال النوم ... كما أن جميع شهواتك ورغباتك لا تظهر ولا تبدو خلال النوم ، لذلك تنشط النفس الباطنية ، وتتلقى بعض قواها من عالم المثال.

والسؤال الآن ماذا يحدث لو أنك وأنت يقظان نامت شهواتك

الأرضية .. ، وقويت طاقاتك النفسية الباطنية !! ، ألا يمكن أن تتلقى النفس

حينئذ رسائل من العوالم الغيبية ؟؟

والجواب : بلى .. فالحجاب الذى بينك وبين العوالم ، وهى

نفسك الأرضية بما فيها من شهوات قد زال بالنوم .. ، وكذلك يُزال إذا

استغرقت نفسك فى طاقات الروح وأنوارها ... حينئذ قد ترى وأنت يقظان

ما يمكن أن تراه وأنت نائم ..

ومرة أخرى نقول ان الأمر ليس بهذه البساطة ...

ولكننا فى النهاية نصل إلى أن هذه الرؤى تكون على مراحل ثلاثة..

الأولى : وأنت نائم.

الثانية : تكون فيما يشبه حالة النعاس ، ولكنها بين النوم واليقظة الكاملة ، ويقولون عنها حالة الذهول .. وشرطها أن تدرك المكان والزمان الذى أنت فيهما مع رؤياك .

الثالثة : وأنت فى تمام يقظتك.

انظر إلى واقعة "سيدنا عمر بن الخطاب " ، عندما كان يخطب الجمعة فى المدينة ، ورأى " سيدنا سارية " وهو فى الحرب فى أرض خلف العراق .. وناداه سيدنا عمر .. " الجبل يا سارية الجبل " .. ، وسمعه "سيدنا سارية " ، والتف حول الجبل .. وانتصر بعسكره ...

ومن المعروف أن سيدنا أبا بكر الصديق رضى الله عنه ، قد أخبر السيدة عائشة رضى الله عنها " بأن زوجته أسماء بنت خارجة حامل فى بنت ، حيث قال للسيدة عائشة إئتما هُما أخوأك وأختأك " .. ولم تكن زوجته قد وضعت بعد..

فلما تعجبت السيدة عائشة رضى الله عنها " وقالت إئتما هُما أخوأك وأختأك " ، فقال لها رضى الله عنه : " لقد ألقى فى روعى أن ما فى بطن بنت خارجة هى بنت وهى أختك " .

ارجع إلى كتب السيرة وسير الصحابة لتقرأ الكثير من هذه الوقائع فى زمن الصحابة ...

• فإذا تحدثنا عن حالة الذهول هذه .. قلنا إنها حالة متوسطة بين اليقظة والإغفاء .. ، أو هى حالة متوسطة لك بين عالم الملك وعالم الملكوت .... فأنت تدرك فيها ما أنت فيه من عالم الملك .. ويحكمك الزمان والمكان والحواس الخمس لك .. ، وفى نفس الوقت ترى صوراً

أخرى من عالم الملكوت ، وتسمع قولها وتذكر إشارتها وتفهم مقصودها ..  
ولكن لا يسمع ولا يرى ذلك غيرك فى نفس المجلس ...، لذلك نقول انك  
ما رأيت بعينك العادية ولا سمعت بسمعك العادى .. وإلا لرأى وسمع غيرك  
من الحاضرين ..، أو نقول أن طاقات سمعك وبصرك فى هذه الحالة ، قد  
ازدادت وقويت وخرجت بقوتها عن الطاقة المعتادة ...

وفى بعض الأحوال تكون هذه الرؤيا وأنت مغمض العينين ... فاذا  
فتحتهما نزول الرؤيا .. وفى أحيان أخرى تظل الرؤيا سواء كنت مغمضاً  
عينيك أم لا ...

وما يحدث لك رؤيا .. يحدث لك سَمْعاً ... فقد تفاجأ بأصوات وكلام  
يصلك دون رؤية .. ولا أحد غيرك يسمع ما تسمعه ...

وكثيراً ما ترى أحداثاً تقع أمامك .. ويكون قد مضى عليها  
وقت طويل .. أى حدثت من قبل .. وكذلك أحداثاً تتحقق بعد  
فترة من الزمن ...

أو تجد نفسك فى مكان آخر مع أقوام آخرين .. أو خلقٍ  
آخرين من المخلوقات .. كل هذا وأنت تعلم تماماً ، أنك لم تنزل  
فى مكانك لم تبحه ...

أى أنك قد اخترقت حاجز الزمان أو حاجز المكان .. فلم  
يعد عندك الماضى والمستقبل ... أو حاجز المكان بمعنى أن عنصر  
المسافة لم يعد فعّالاً معك .. والزمان والمكان حجابان للنفس كما  
تعلم عن عالم الغيب.

وَلَفْتَةُ دَقِيقَةٍ نَشِيرُ إِلَيْهَا هُنَا ...

فإن كثيرا من مشاهد يوم القيامة ، يعبر عنها في القرآن الكريم بصيغة الماضي تارة ، وبصيغة المستقبل تارة ...، فيقول تعالى في سورة الزمر: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ (١) وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٢) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (٣) وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتُحِتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (٤) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (٥) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ (٦) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (٧) وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٨) (١)

ويقول ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِسْمِهِمْ ﴾ (٢) .

(٢) سورة الإسراء آية: ٧١.

(١) سورة الزمر آية: ٦٨- آخر السورة.

ويقول : ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۖ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۖ خَافِضَةً ۙ رَافِعَةً ۚ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۖ وَدُسَّتِ الْجِبَالُ دَسًّا ۖ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ۖ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۖ ﴾ <sup>(١)</sup>

ويتكرر كثيراً فى آيات القرآن الكريم ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۖ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، ﴿ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ۖ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ۖ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۖ ﴾ <sup>(٥)</sup> .

وأياً كان ما يقوله المفسرون ، فما هو أقرب إلى المنطق أن الله تعالى ، وهو الأبدى الأزلى المنزه جل شأنه عن المكان والزمان ، بل هو خالق المكان والزمان ، لذلك فليس بالنسبة إلى الله تعالى ماضٍ ولا حاضر ولا مستقبل .. فهو هو الله كان .. ولم يزل على ما كان عليه ..

فإن قلت "هو القوى العزيز" فهي "إن الله قوى عزيز" .. وهي "وكان الله قوياً عزيزاً" .. والله أعلم ....

ويقولون أن رؤيا المنام لها درجات ثلاث .. إذا كان القلب يسبح تحت عرش الرحمن خلال النوم ، فإن الرؤية تاتى كفلق الصبح . وإذا كان القلب يسبح فى عوالم الملكوت ، فرويته حق .. ولكنها برموز ، وتأويل ، تاتى إليها من هذه العوالم ..

(١) سورة الواقعة آية : ١-٧ .

(٢) سورة النساء آية : ١٧ .

(٣) سورة الأحزاب آية : ٢٥ .

(٤) سورة الحديد آية : ٢٥ .

(٥) سورة الصف آية : ١ .



واذا كان القلب يسبح فى عالم الدنيا وما فيها فإن رؤيته تكون  
أضغاث أحلام.

فإن سألت ، ولماذا كانت رؤيا ملك مصر وصاحبى سيدنا يوسف  
رؤى حق ، ولم يكونوا مؤمنين ؟؟

قلت لك ، ذلك لأن كل هذه الرؤى كان لسيدنا يوسف عليه  
السلام حق فيها ...

وجعل الله تعالى تأويل سيدنا يوسف لها سبباً فى خروجه من  
السجن وقربه من الملك ... فهى فى الحقيقة إكرام من الله تعالى لنبه  
يوسف عليه السلام .

ولربط هذه النقاط بعضها ببعض نقول أن رؤياك تأتى على  
حسب خواطرك التى تسبح فيها نفسك ... والخواطر تأتىك ليلاً  
ونهاراً .. نائماً ويقظاناً ... غير أنك وأنت يقظان ، يكون الحكم فيها  
للنفس بصفاتها ... بينما وأنت نائم ، يكون الحكم فيها للقلب ببعض  
نورانية الروح ، التى تضيفها على النفس .. وكثيراً ما يكون القلب  
على نور من ربه ولكن النفس تُدَنِّسُهُ بشهواتها خالال  
اليقظة .. فاذا تعطلت شهوات النفس بالنوم وانكشفت حُجُبُهَا ..  
انطلق القلب بنورانيته إلى الملاء الأعلى فتلقى منه ....

وعلى العموم فالحديث فى الرؤى وعوالمها وأسرارها من  
خصوصيات أهل العلم بها ، وتفسيرها يحتاج إلى علم كامل بأحوال الرائي  
ورموز الرؤيا ...

• وحديثنا الآن عن الرؤى بين النوم واليقظة ... فنزيد فيها أنها ليست من عالم المثال كما فى النوم ولذلك .. الرمز فيها قليل ..

وما يحدث فيها هو أنك تخترق بطاقات نفسك بعض عوالم الغيب وتتعايش معها بروحانيتك التى طَعَتْ على نفسك وأمدَّتْها بالقدرات المطلوبة ، وكثيراً ما ترى وأنت فى هذه الحالة صوراً لاتفهمها.. أو تسمع كلاماً لاتدرك معناه ، ولكن الغريب ان هذه الصور وهذا الكلام يترك فى نفسك انطباعات قوية وتغييرات كبيرة تدركها فيما بعد .. وحتى جسدك المادى يتأثر كثيراً بهذه الرؤى ، ويعانى منها الإرهاق والتعب ، خاصة فى بداية حدوث هذا الأمر .

والرائى فى تلك المرحلة من روحانيته لابد وان يكون على حذر شديد وتيقظ كامل ، حتى لاتختلط الامور عليه .. لأن هذه المرحلة عادة ما تكون مرحلة فتن واختبار لقوة إيمان الرأى وصدقه وإخلاصه لله تعالى ..، ولذلك لابد وأن يكون له مرشدٌ ودليل يلجأ إليه ويستعين بروحانيته فى تخطى العقبات ، حتى لا يكون للنفس ولا للشيطان عليه مدخلا .. لذلك يقول تعالى ﴿ اَلرَّحْمٰنُ فَسَّلَّ بِهٖ خَبِيْرًا ۝١٩ ﴾ <sup>(١)</sup> ، أى عارفٌ بالله تعالى ، سبقك إلى هذا الأمر وعرف دواهيته وأخطاره ... وسبب الفتن فى هذه المرحلة ، هو أن انكشاف بعض عوالم الغيب لك وانبهارك بها واطلاعتك على بعض الأسرار الكونية قد تفرح بها نفسك ، وقد تغترُّ بما وصلت إليه وتمييزها عن الغير ...، فتتشغل النفس بهذه العوالم وتطلب

---

(١) سورة الفرقان آية: ٥٩.

الاستزادة منها ، وحينئذ لا تكون قاصداً وجه الله تعالى .. بل تبحث عن هوى نفسك وتَمَيِّزُكَ عن الناس.

وذلك لأن النفوس قسمان .. نَفْسٌ " سَفَّافَةٌ " .. فكل ما يعجبها تأخذ منه على هواها ، ونفس " سَفَّافَةٌ " تخترق كل هذه الحجب ، دون أن تتأثر بها لأن هذا ليس بغرضها ، إنما هي تريد وجه الله تعالى لاغير .. فمهما انكشف لها من العوالم فهي مشغولة عنها برَبِّها ..

كما أن الشيطان كثيراً ما يكون له مدخل في هذه الرؤى فيداخلك في عوالم الخيال والوهم .. ويريك ما ليس بحقيقة ، بل أضغاث أحلام .. وهذا أمر بالغ الخطورة ..

والقياس هنا لا بد وأن يكون بميزان الشرع الحنيف ، وعدم الالتفات أصلاً إلى ما يراه ... اللهم إلا إذا كانت من المبشرات التي يوثق بها ولا شك فيها قطعياً ....

والميزان لذلك أن تكون ذاتك مستغرقة في ذكر الله تعالى والانتهال من أنواره ، قاصداً بذلك تعظيم الله وتقديره وشكره فقط لا غير .. غير ناظرٍ إلى كشفٍ أو فتحٍ أو تسخيرٍ خادمٍ أو التعامل مع هذه العوالم بالكلية ... ذكر الله لله فقط قاصداً وجهه الكريم ، مستجيراً به تعالى من كل ما سواه .. حتى ولو كانت ممالك السموات والأرض ....

والله سبحانه وتعالى خيرُ حافظاً .. ولا يخيب رجاء من قصده مخلصاً .. وهو أولاً وأخيراً المعين على السير والسلوك وهو الحافظ والحفيظ .. وقد قال تعالى لإبليس عليه اللعنة ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ

عَلَيْهِمْ سُلْطٰنٌ ﴿١﴾

وبداية هذه المرحلة من انكشاف عوالم الملكوت الأدنى .. قد يشترك فيها غير المؤمنين ، أمثال أصحاب اليوجا والرياضات الروحية الأخرى ، الذين هدفهم تربية النفس والسمو بها على العوالم الأرضية،... فهم يتغلبون على رغباتهم وشهواتهم بالتدريب .. فتقوى طاقات النفس الكامنة وتشف وترق حتى تبدأ في التعامل مع هذه العوالم الدنيا في عوالم الملكوت ، ولا يلزمهم في هذه الحالة إيمان بالله ولا إسلام لله، ولكنها عملية رياضية تدريبية لقواهم الداخلية في النفس لا غير .

ولكن الفارق بينهم وبين ما نتحدث عنه كبير .. فهؤلاء يلعب بهم الشيطان ، وتغلبهم الأنفس أيضاً ولكن أنفسهم بدلاً من أن تنجذب إلى الشهوات الأرضية فهي تنجذب إلى الشهوات الملكوتية .. وهمهم كله أن يتعاملوا مع عوالم الملكوت فيما يسمونه " التسامي " أو " تعالى " .

أَمَّا القاصدون وجه الله تعالى .. فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ .. فإِنَّ جَاءَتْهُمْ هَذِهِ الْكُشُوفُ وَالْقَوَى ، فهي من باب المَبَشِّرَات لا غير .. وليست هي همهم ومالها عندهم من تقدير.... لذلك فلا يلتفتون إليها ، والله تعالى يحفظ عبده الالاجي إليه القاصد وجهه ..

فإذا أكرمه بكشف بعض هذه العوالم له .. فإنه يرسل من

---

(١) سورة الإسراء آية : ٦٥ .

بين يديه حفظة له يمنعون عنه عبث الشيطان وهوى النفس...،  
فتأتى المؤمن هذه المبشرات ، من هذه العوالم ، محفوفة بحفظ  
الله تعالى وجنوده...

ورغم هذا فكما قلت سابقاً .. إن العبد فى تلك المرحلة إذا مالت  
نفسه وهواه إلى هذه العوالم وركن إليها وفرح بها .. فالله سبحانه يكله إلى  
نفسه وهواه وفتنته ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ....

ومن هنا ، ترى كثيراً من الناس الذين يجتمع الخلق حولهم لما  
يرونه منهم من بعض الكشف أو الكرامات كما يقولون .. بينما هو واقف مع  
نفسه وهواه .. فرح بتقدير الناس له .. وتشابك الأمور فى عقله وإدراكه ،  
فلا يحسن أن يزن بشرع الله تعالى ظاهراً باطناً ...

وقد قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ أَلَلِهِ

شَيْئاً ﴾ (١).

نعود فنكمل حديثنا ... فنقول أن من المعتاد أن بداية ما ينكشف  
للعبد من عوالم الملكوت الأدنى هذا ، هو عالم “ البرزخ ” الذى سبق  
الكلام عنه .. لذلك تكثر لديه رؤى الأموات والحديث معهم والأخذ منهم ،  
كما تغلب عليه نورانية صفراء ...

والإحاطة بأقسام العباد فى هذه المرحلة غير ممكن .... إلا أننا  
نتكلم فى الإطار العام لهذا الأمر ، ولكن لله تعالى فى خلقه شؤون .. ولكل

---

(١) سورة المائدة آية : ٤١ .

عبد ما يناسبه عند الله تعالى ، الذى كل شئ عنده بمقدار وهو الفعال لما يريد .

ومن الأمور العامة .. فى هذا المجال أن تنكشف للعبد بعض الأمور المعنوية المركبة على القوالب المحسوسة ... بمعنى أن نور باطنه .. قد يرى التشبيهات والمعانى الروحية والنفسية الغالبة على الخلق....

وانظر إلى واقعة سيدنا ومولانا " عثمان بن عفان " رضى الله عنه حيث دخل عليه رجلان فى رمضان .. فسألهما أمفطران فى رمضان؟! فعجب الرجلان وقالاه : لا يا أمير المؤمنين .. فقال رضى الله عنه : رأيت آثار الطعام على أفواهكم ... فيتنبه الرجلان .. وأخبرا سيدنا عثمان بأنهما وقعا فى عرض بعض الناس بالكلام غيبة .... ويسألان أنبوة بعد رسول الله يا أمير المؤمنين !؟ فيقول لهم لا .. ولكنها فراسة المؤمن .

فانظر كيف رأى سيدنا عثمان أثر الغيبة عليهم حيث يقول تعالى  
عن الغيبة : ﴿ أَتُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ <sup>(١)</sup> و "عمر بن الخطاب " رضى الله عنه يتفرس فى وجه " الأشر النخعى " وهو بين قومه ، ويقول له " إنى أرى منك على المسلمين يوماً عصباً " و " الأشر " هذا هو الذى كانت له اليد الطولى فى فتنة سيدنا عثمان .... ، والتى حدثت بعد حوالى عشرين سنة من لقائه بسيدنا عمر ...

---

(١) سورة الحجرات آية : ١٢ .

وأحب أن أشير هنا الى نقطة هامة .. تلك هي أنه ما كان معجزة نبي .. جاز أن يكون كرامة لولي .. فالولي ما صار ولياً إلا بحسن اتباعه لنبيه وارتواء روحه من روحه .. فكرامة الله تعالى لوليه هي في الحقيقة اكرام لنبيه الذي اتبعه هذا الولي ... والولد سر أبيه كما يقولون .. والله يفعل ما يشاء بقدرته وتقديره ..

حتى أنهم قالوا أن عصمة الأنبياء واجبة ... أما عصمة الأولياء فجائزة .. بمعنى أن النبي لا بُدَّ وأن يكون معصوماً من الله تعالى ... والولي إذا علا مقامه وأكرمه الله تعالى .. فمن الجائز أن يعصمه أيضاً .. والله يخلق ما يشاء ويختار ... وليس من الضروري أن تكون عصمة الولي مثل عصمة نبيه ... فان الأنفس درجات .. ودرجة النبوة لا يصلها ولا حتى الصديقون .. ولكنها على العموم من نفس الباب ...

وكذلك ما كان لرسول الله ﷺ من خصائص .. فلا مانع أن يكون لصحابته ومن أحسن اتباعه فعلاً وحالاً ، وهم أهل الخصوص من أمته ... ، لا مانع أن يكون لهم جزء من هذه الخصائص .. ، التي ليس لها بالوحي الخاص بالنبوة صلة ...

ولرسول الله ﷺ معجزات كثيرة وأمور غيبية ظهرت على لسانه الشريف وهي دون المعجزات .. فإن المعجزات هي من آيات الله تعالى .. أما الكرامات فهي من إكرامه جلَّ شأنه .. وفارق بين مصدر هذا وتلك ..

وانظر الى قوله ﷺ " دَخَلْتُ الْجَنَّةَ الْبَارِحَةَ فَنَظَرْتُ فِيهَا ، فَإِذَا

جعفرُ يَطِيرُ مَعَ جَبْرِيلَ ، وَإِذَا حَمَرَةٌ مُتَكِيٌّ عَلَى سَرِيرٍ " صحيح ، رواه الطبراني والحاكم عن " ابن عباس " .

ويقول : " دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْفَةً بَيْنَ يَدَيَّ ، قُلْتُ مَا هَذِهِ الْخَشْفَةُ ؟ فَقِيلَ هَذَا يَلَالُ يَمْشِي أَمَامَكَ " صحيح ، للطبراني عن " أبي أُمَامَةَ " .

وقال : " لَمَّا كَذَّبْتَنِي قُرَيْشُ حِينَ أُسْرِيَ بِي إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ قُمْتُ فِي الْحِجْرِ فَجَلَّى اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَطَفَّقْتُ أَخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظَرُ إِلَيْهِ " صحيح ، رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن " جابر " .

ويقول ﷺ " أَطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ .. وَأَطَّلَعْتُ عَلَى النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ " حديث صحيح ، رواه البخاري والترمذي عن " ابن عباس " وعن " عمران بن حصين " .

ويقول ﷺ " لَقَدْ رَأَيْتُ الْآنَ مُنْذُ صَلَّيْتُ لَكُمْ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مُمَثَّلَتَيْنِ فِي قِبْلَةِ هَذَا الْجِدَارِ ، فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ " صحيح ، رواه البخاري عن " أنس " .

فما العجب أن يكون لأتباع رسول الله ﷺ المخلصين المقربين بعضاً من هذه الكرامات .. إكراماً لرسوله ﷺ .

نعود لكلامنا عن الرؤى في عالم الملكوت فنقول : -

يتدرج العبد في إدراكه لهذه الرؤى .... وكلما قويت وازدادت



طاقات نفسه الروحية كلما اتسعت دائرة تعامله مع عوالم الملكوت ..  
وتدرّج فيها وازداد عمقاً وعلواً .. فاذا ارتقى الى بعض عوالم الملكوت  
الأعلى ... فإنه كذلك يصل إلى رؤية اليقظة الكاملة ، ويترك حالة الذهول  
التي تكلمنا عنها ...

وفي هذه المرتبة يستطيع بتوفيق الله تعالى له أن يتعامل مع  
عوالمه الجديدة بقواه الباطنية ، كما يتعامل بحواسه الظاهرية مع الكون  
المادى الذى يعيش فيه ... وتمر عليه صور عالم الملكوت ، ويتعامل معه  
أيضا دون أن يظهر أثر هذا التعامل على جسده ومظهره...

وفي المرحلة العليا تصير النفس كالميتة تماماً .. حيث تستولى أنوار  
الروح عليها بالكلية ، حتى أن إبليس لا يجد اليها سبيلاً ولا منفذاً ... ولا تسمح  
أنوار الروح بأى رغبة من رغبات النفس أن تظهر .... وهذا هو العبد الربانى  
الذى استغرقته تجليات صفات الله تعالى .. فتغيرت صفات نفسه ..  
وراحت وانتهت صفاتها المادية .. وقويت فيها صفاتها الحميدة ، وأمدّها  
الله تعالى بأنوار صفاته .

ومثل هذا يكون مجال إدراكه هو الملكوت الأعلى وليس عالم  
الجبروت .. وهو إما ساكن تحت أنوار صفة واحدة من صفات الله .. وإما  
متلونا من صفة إلى أخرى .. أو من عدة صفات معا ...

ومثل هذا لا يشغل إلا بالله تعالى وأسراره وأنواره الذاتية .. وهنا  
نمسك عن الكلام خوفاً من الزلل ...

ففى هذا المقام تظهر على العبد مظاهر الهيبة من الله

تعالى .. والحب لله تعالى .. والشوق إليه جلَّ شأنه .. وهكذا .. من  
المراتب العلية .

ولاستكمال هذه الصورة ، أحب أن أشير إلى أن الفاظ الحب  
والشوق إلى الله تعالى مثلاً ، يجب أن تطلق بحقها وليس اعتباطاً ....

فمن يحبُّ الله تعالى لأبد وأن يكون يعرفه معرفة كافية ..  
فإن المحبة لا تكون لمجهول ... والمحبة أيضاً لا تكون إلا لجمال  
وكمال وعظمة في المحبوب .. فالمعرفة لازمة للمحبة ... ولا تصدق  
من يدعى محبة الله تعالى وهو لا يعرف عنه إلا القليل الذي  
لا يناسب عظمته جلَّ شأنه ...

والشوق لا يكون إلا لأمرٍ جميلٍ محبوبٍ عرفت عنه جانباً .. فنبت  
فيك الشوق ، لتجلى كمال المحبوب ..

والمحبُّ طالب .. ، والمحبوب مطلوب ... والمحبُّ أسير محبوبه ..  
وهو الضعيف .. وهو المهموم ، والمحبوب صاحب دلال .. فيتقرب حيناً  
ويبتعد حيناً .. ولكنه حريص على محبوبه في الحالتين .. القرب والبعد ..

والمحبوب يحب الأدب العالي من حبيبه .. ويرضى بمناجاته ..  
وتقرُّبه .. ويشفق عليه .. ويزداد له رحمةً كلما رأى تدلُّه محبوبه ....

ولكن المشكلة أنه كلما اقترب المحبوب من المحب .. إزداد  
الأخير له حباً وشوقاً وتعظيماً .. ولانهاية للمحبة ولانهاية للقرب .

فالمحبُّون مقتولون بحبهم لامحالة .... إن اقتربوا ماتوا من  
حبِّهم .. وإن ابتعدوا ماتوا من شوقهم ...

وليس أشد ولا أشق ولا أصعب على المحب من الحجاب  
بينه وبين محبوبه ... فالموت عنده أهون ألف مرة من حجاب  
بينهما ...

والغريب أنه كلما هتك أو اخترق حجاباً .. إزداد حُبُّه ..  
وازداد شوقه .. ولا نهاية لهذا أيضاً ..  
فمن دخل فى دائرة الحُبِّ والشوق .. محال أن يخرج منها  
إلاّ قتيلاً ..

ولله المثل الأعلى .. وتعالى الله عما نقولُ علواً كبيراً .  
وما دُمنا قد لمسنا فى كلامنا درجات الفتح والكشف والرؤى  
والمحبة والشوق والخلافة فى الأرض ، فقد وجب علينا أن نتشرف  
بأن نلمس لمساً ضعيفاً جانباً روحانياً حول نبوة رسول الله ﷺ  
العبد الكامل والخليفة الحق لله جلّ وعلا .

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من خلصاء أحبائه .. ومن أقرب  
محبيه ... وأوفى عبادِهِ وأن يعلمنا الأدب معه اللائق بجنابه العظيم  
وقدس ذاته العلى الكبير ..

وصلّى الله وسلم وبارك على مولانا وسيدنا محمد وعلى آله  
وصحبه أجمعين .



الباب الثالث

حَوْلَ نُبُوَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ



إذا كان مفهوم الإحسان أَنَّهُ أَعْلَى درجاتِ العبادَةِ لِلَّهِ تعالى ... ،  
بين الفضل ، والزيادة ، والاتقان في العبودية .. وبين المراقبة ، والمشاهدة  
لِلَّهِ تعالى ، وأفعاله ، وصفاته ، وتجليّاته ...

ورسول الله محمد ﷺ هو خير خلق الله تعالى .. إمام المرسلين  
أجمعين وقائدهم ... وهو أعرف الخلقِ برَبِّهِ .. وأقربُهُمْ إِلَيْهِ مَحَبَّةً ، وشكراً ،  
ويقيناً ، وتقديساً ...

فهل ترى في كل خلق الله تعالى ، مَنْ هو أعظم إحساناً ، وأتمَّ  
عبوديةً ... ، وأكملُ إيماناً ... ، وأعلى أدباً مع ربِّ العزة ذي الجلال  
والجبروت ... من رسول الله محمد ﷺ !!!

فتعال معي .. على حَذَرٍ .. وبأدبٍ يُنَاسِبُ مقامه ﷺ .. تعال معي  
لنقترب من بعض أنواره وأسراره .. عسى الله أن يفتح علينا وعليكم ،  
فيكون لنا من أنواره وأدبه نفحةً منه .. تَرْجُّنَا في أنواره وأنوار الله تعالى  
زجاً نستغنى به عن كل ما سواه ....

ونسألُ الله تعالى أن يلهمنا الصواب والتوفيق وحسن الأدب  
وفصاحة الاسلوب وصدق المعنى .. ونحن نخوض في أنوار هذه البحور  
الدافقة .. والسموات العالية .. وأن يجنبنا بفضله زلَّاتِ اللِّسان .. وعَثْرَاتِ  
الفِكر ، ولا يَكِلْنَا إلى أنفسنا طرفة عين .. وأن يجعل كل ما نقول منه وبه  
وإليه جَلَّ شأنه العظيم ....

ونحنُ لنُ نَتَحَدَّثَ عَنْ سِيرَتِهِ ﷺ .. وَلَا مُعْجَزَاتِهِ .. وَلَكِنَّا  
نُرِيدُ أَنْ نَتَعَرَّضَ لِبَعْضِ خَصَائِصِهِ النُّورَانِيَّةِ الَّتِي لَمْ يَتَعَرَّضْ لَهَا  
الكثير من أهلها .. أَوْ قَدْ تَنَاوَلُوهَا بِأَسْلُوبٍ قَدْ يَصِلُ بِالْقَارِئِ إِلَى غَيْرِ مَا نُرِيدُ  
أَنْ نَصِلَ نَحْنُ إِلَيْهِ ....

وَعَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ ، نَتَعَرَّضُ لِبَعْضِ هَذِهِ النَّقَاطِ ، فنقول وبالله  
التوفيق ....



## • كان خلقه القرآن :

يقول الله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝١١٣ ﴾<sup>(١)</sup>.

ويقول : ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۖ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ

عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝١١٣ ﴾<sup>(٢)</sup>.

ويقول ﷺ " أَدْبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي " رواه ابن السمعان عن " ابن مسعود " ، وهو صحيح .

وتقول " السيدة عائشة " رَضِيََ اللَّهُ عَنْهَا " كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنُ " وصدق الله تعالى ... وصدق رسوله ... وصدقت السيدة عائشة .. وصدق كل من مدحه ﷺ .. وما وفاه حقه ....

وقد نزل القرآن على رسول الله ﷺ منجماً طوال فترة الرسالة .. وكلُّ فترةٍ ينزِّلُ الْقُرْآنُ بِأَدَبٍ وَخُلُقٍ .. لِيَتَأَدَّبَ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ ، وَيَتَخَلَّقَ بِهِ مَنْ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ...

واكتمل الدين .. واكتملت الأخلاق الفاضلة .. وتمت النعمة ، حين قال ربُّ العِزَّةِ ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۝٣ ﴾<sup>(٣)</sup> ، وما كان هذا إلا في آخر سنةٍ من البعثة المحمدية ...

(٢) سورة النساء آية : ١١٣

(١) سورة القلم آية : ٤

(٣) سورة المائدة آية : ٣

ولنا أن نتساءل ... هل كان خُلُقُ رسول الله ﷺ القرآن .. بعد أن ينزل القرآن ... أم قَبْلَ أن يَتَنَزَّلَ القرآن .!!!!

نحن لانتحدث عن الأوامر الشرعية ، ولا عن الأمور الشرعية كالصيام والصلاة والحج .... ولكننا نتحدث عن الأخلاق والأدب الذى نزل به القرآن الكريم ...

ألم يكن رسول الله ﷺ صادقاً .. ، أميناً .. ، يوفى بالعقود .. ، ذاكراً .. ، شاكراً .. ، عفواً .. ، سمحاً... ، رحيماً ، من قبل أن ينزل القرآن !!  
لقد شرح الله تعالى له صدره الشريف .. ونزع عنه حظَّ الشيطان .. وهو ما زال طفلاً صغيراً عند " حليلة السعدية " .. مما جعلها تردُّه إلى أمِّه ، خوفاً عليه ممَّا حدث له ، كما تروى روايات السيرة النبوية...  
فنشأ ﷺ كاملاً مكتملاً فى خُلُقِهِ وصفاته .. وتولاه رَبُّه بالعناية والأدب والرعاية .. حتى عِنْدَمَا كان يجتمع مع أقرانه وهو صَبِيٌّ صغيرٌ ، فإن الله كان يراعاه ويحفظه حتى من حضور مجالس الأنس واللَّهو ....  
فالله جلَّ شأنه هو الذى ربَّاه .. وجعله أُمِّيًّا ، فعلمه ... حتى لا يكون لمخلوق عليه فضل فى الرعاية والتربية ، علماً وخُلُقاً ...

فاذا قلنا أَنَّهُ ﷺ كان خُلُقُهُ القرآن .. فلا شك أَنَّهُ مِنَ الأنسَبِ والأَحَقِّ لِشَرَفِهِ ﷺ أن نقول أن القرآن الكريم وما فيه من آداب وسلوك، كان ينزل بما فى رسول الله ﷺ من خُلُقٍ وآدابٍ .. لِيُعَلِّمَ .. وَيُوَدِّبَ بِهَا غَيْرَهُ ... وهذا هو الأنسبُ لِمَقَامِهِ ﷺ ...

والقرآنُ هو كلامُ الله تعالى .. ونوره وأسراره .. وآياته نزلت من تحت العرش ، ومن كنوز الجنة ، كما ورد في أحاديث رسول الله ﷺ ... والعربية عند محمد ﷺ .. وهو أبلغ العرب .. الذى أوتى جوامع الكلم ...

و يقولُ المفسِّرون والعُلَماءُ إن القرآن قد نزل فى ليلة القدر دُفْعَةً واحدة من البَيْت المعمور إلى بيت العزَّة فى السماء الدنيا .. ثم ما زال يَنْزِلُ على الرسول ﷺ مُتَجَمًّا ، تَبَعًا للحوادث خلال فترة الرسالة .. حيث ينزل به الروح الأمين جبريل عليه السلام .. على قلب محمد ﷺ ، حيث يقول تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٧٢﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٧٣﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ ﴿١٧٤﴾ ... (١)

فكلُّ نُور القرآن وأسراره فى مُحَمَّدٍ ﷺ ... فقد كان قرآنا يمشى على الأرض ، فروحانيته عليه الصلاة والسلام مُحَمَّلَةٌ بأنواره وأسراره .. وأى روح فى الخلائق كلها أولى وأشرف وأعلى وأطهر من روح حبيب الله وإمام أنبيائه ورسله !!!

ثم يأتى سيدنا جبريلُ بالأمر من السماء تبعًا لكلِّ واقعةٍ ، وحسبما يريد الله تعالى .. ليخرج من رسول الله ﷺ ما يشاء الله تعالى من القرآن .. بلسانٍ عربى مبينٍ ، تشرَّفَت اللغة العربية بأن يكون لسانُ المصطفى ﷺ هو الناطق بها ....

---

(١) سورة الشعراء آية : ١٩٣-١٩٥ .

لذلك يقول تعالى : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۚ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (١)، ويقول ﴿ لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۚ ﴾ (٢) وظاهر الآية واضح .. فالنطق والبيان من رسول الله ﷺ مُقَيَّدُ بنزول الوحي والأمر بالنطق.. وهذا شأن سيدنا جبريل وما هو مكلف به من رب العزة جل شأنه .

ولذلك كان رسول الله ﷺ شديد الحب لسيدنا جبريل عليه السلام.. يقول تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٣) ويقول : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴾ (٤) وكان سيدنا جبريل عليه السلام خلال شهر رمضان كل عام يستعرض ويتناوب مع رسول الله ﷺ تلاوة ما نزل من القرآن .. وفي آخر سنة من حياة رسول الله ﷺ قرأه مرتين وكان ذلك إيذاناً بانتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى ...

وُنُبِّهَ إلى أنه ليس كل ما تعرفه الروح وتحمله .. لا بد وأن تعرفه وتحمله الذات البشرية ، فالروح عالمةٌ بربها بطبعها .. ورغم ذلك فكم ذاتٍ كافرة بربها .. وروحها مؤمنة .. فافهم .. فالروح بينها وبين الجسد علاقة ما .. بها يحس .. وبها يعرف .. ولكن ليس كل ما في الروح يعرفه الجسم ... وإلا

(١) سورة طه آية : ١١٤ .

(٢) سورة القيامة آية : ١٦ .

(٣) سورة النخان آية : ٥٨ .

(٤) سورة مريم آية : ٩٧ .

لأدرك كل كافر بالله أن رُوحه مؤمنة منذ خاطبها الله وقال أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ .

وهذا الموضوع فى غاية الدقة والخطورة ، فيجب الحديث فيه بحذر ... حتى لا يُساء فهمُنا ... وكل ما نريد قوله هو أن الذات المحمدية قد اشتملت القرآن فيها .. وحوث أنواره وأسراره .. وأن القرآن الكريم بآدابه وأخلاقه كان يتنزل بأخلاق الرسول ﷺ ليتعلم من حوله ومن بعده .  
ورسول الله كان كاملاً مُكملاً من قبل نزول القرآن كما هو بعد نزوله ...

ولعل فى كلامنا هذا إشارة إلى بعض التساؤلات التى نبتت بين المسلمين ، حيث يقولون طالما أن روح رسول الله ﷺ هى الروح الأعظم .. والأقرب إلى الله تعالى .. وهى بلا شك أعلى وأسمى من روح سيدنا جبريل عليه السلام .. حيث أنها تقدمت واحترقت الحُجب فى ليلة الإسراء والمعراج ، بينما تأخر جبريل ، وقال لو تقدمت لاحتُرقت .. أما أنت يا محمد فلو تقدمت لاحتُرقت ... وما منا إلا وله مقام معلوم ...

وصدق الله تعالى .. وصدق رسوله ﷺ .. وصدق جبريل عليه السلام... ولكن يبقى السؤال كيف تكون الروح الأقل .. - روح جبريل عليه السلام - هى الواسطة بين الله تعالى والروح الأعظم .. روح محمد عليه الصلاة والسلام !!! وهى أعلى منها وأعلم بالله تعالى !!!

وإلى هؤلاء نقول :

إنَّ بَشَرِيَّةَ رسولِ الله ﷺ ضرورة لازمة .. فيها يعيش على الأرض .. وبها يُعلمُ النَّاسَ الشَّريعةَ ... وبها يكون قدوة وأسوةً حسنةً للخلق .. والبشرية لها طبعها ولها طاقتها ... وانطباق الروحانية العالية على البشرية الأرضية ..

أمر فيه من المشقة والجهد ما يفوق الوصف ... ولذلك كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي يتصبّب عرقاً ... ويكاد يكون كالمغشى عليه .. وتُنخّ به ناقته ... وبلاقي من الجهد والعناء الكثير ... يقول تعالى : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ <sup>(١)</sup> .. ثقلٌ مادي .... وثقل معنوي....

ويأتى هنا دور أمين الوحي عليه السلام ... فتكون الموانسة .... والوساطة بين الروحانية والبشرية .... مع ما لا نعلمه من الأمور الأخرى التى نعجز عن فهمها ... يقول ﷺ " أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ ، فَرَأَجَعْتُهُ ، فَلَمْ أَزَلْ أُسْتَزِيدُهُ فَيَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ " صحيح ، رواه البخارى ومسلم وأحمد عن " ابن عباس " .

ويجب أن تدرك أن ما كان يعتري رسول الله ﷺ من الجهد والمشقة ، لم يكن من رؤية سيدنا جبريل .. ولامن الحديث معه ... بل هو "الوحي" المقصود ... فسيدنا جبريل عليه السلام كثيرا ما كان يأتى إلى رسول الله ﷺ ويخاطبه ... دون أن يُحدِثَ لرسول الله شيئا من هذا الجهد والمشقة ... وكانت الصحابة تراه فى صورة سيدنا " دحية الكلبي " دون معاناة منهم ....

وقد خاطب سيدنا جبريل السيِّدة مَرْيَمَ عليها السلام وتمثّل لها بشراً سوياً ... وكذلك جاءت الملائكة إلى نبيّ الله لوط ... ولم يعرفهم حتى عرفوهُ بأنفسهم ... وجاءوا إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام وبشروهُ وبشروا إمرأته " سارة " بالولَد .. ولم يعرفهم بدايةً كذلك حتى عرفوهُ بأنفسهم ....

---

(١) سورة المزمل آية : ٥ .

فالموضوع إذاً ليس نزول والتقاء الملائكة بالقلب البشري ، بقدر ما هو الأمر الذى تنزّلُ به الملائكة من الملكوت الأعلى ... والأنوار الإلهية التى فيه... بل الأمرُ أعقدُ من هذا الكلام ، وفيه اسرارٌ لا يجوز البوح بها .. وكلها تؤكد المقام الأسمى .. والدرجة العظمى لرسول الله ﷺ .

وفى هذا القول الكفاية لمن أدركته العناية .. فافهم رحمك الله وإيانا ....

فرسولُ الله ﷺ صاحب البشرية الكاملة خلقاً وخلُقاً .. المبرؤ من كلِّ نقصٍ أو عيبٍ .... الكامل فى كلِّ شئٍ من الجمال والجلال ﷺ .... حيناً تغلب عليه هذه البشرية .. فيأكلُ ويشربُ ويعاملُ الناس ، ويمشى فى الأسواق ، وتظهر فيه ﷺ العبوديةُ الكاملةُ لله تعالى ... والأدبُ الأعلى معه جلَّ شأنه ... حيث تراه صابراً .... شاكراً ... ذاكراً ... مفوضاً الأمور لله تعالى ... مسبّحاً ... مستغفراً ... موحّداً .... كأعلى ما تكون هذه الأحوال فى بشر....

يقول ﷺ " إِنِّي فِيمَا لَمْ يُوحَ إِلَيَّ كَأَحَدِكُمْ " حديث حسن ، رواه الطبرانى عن معاذ ، وهذا يُفسّر لك بعض ما تعجّب منه حين تقرأ فى سيرته ﷺ ، فترى مثلاً كيف يخفى أمر حديث الإفك عنه زَمَناً ... وهو أمر يخصُّ أهل بيته !! أو كيف كان يصفرُّ وجههُ الشريف إذا رأى ريحاً مقبلة !! ويظل يدعو اللهم اجعلها ريحَ رحمة ، ولا تجعلها ريحَ عذابٍ ومقت ..!! أو كيف كان يدعو خلال معركة " بدر " ، وكله تضرع إلى الله تعالى ، وعبودية محضة ، .. ويتذلل إلى الله تعالى أن ينصر جنده .... بينما كان ليلة المعركة يُعَيِّنُ لمن حوله مصارع القوم من قريش .. وما تعدّى أحدٌ منهم مقتله ومكانه . !!!

وحيثاً تغلب أنوارُه الروحيةُ ، أنوار الذات البشرية المحمّدية ... فلا تسعه حينذاك الأكوانُ جميعاً ....

فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ .. بروحانيته لَا تَسَعُهُ السَّمَاوَاتُ وَلَا الْأَرْضُ  
"إِنِّي لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ .. فَإِنِّي أُبَيِّتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي .."

فهو بروحانيته لَا يَسَعُهُ بَشَرٌ .. وَلَا يَسَعُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى .... تلك هي  
عظمة بُبُوَّتِهِ وهو بذاته الشريفة المادية ... العبد الكامل بالخضوع والإسلام  
للَّهِ تَعَالَى ... يجاهد .. ويحارب .. ويكبد .. ويشقى ... ويضربُ اللَّهُ بِهِ تَعَالَى  
الْأَمْثَلَةَ ، لِلنَّاسِ .. وَلِلْمُؤْمِنِينَ .. وَلِلْعَابِدِينَ ...

أَمَّا فِي رُوحَانِيَّتِهِ .. فَإِنَّهُ يَرَى السَّمَاوَاتِ .. وَالْأَرْضَ .. وَالْجَنَّةَ ..  
وَالنَّارَ ... وما هو أعظم من ذلك .... وفي بُشْرِيَّتِهِ تَرَى فِيهِ الْأُسُوءَةَ الْحَسَنَةَ  
لِلْعَبْدِ الْكَامِلِ لِلَّهِ تَعَالَى ، لَا يَرْفَعُ حَاجِبَهُ عَنِ الْأَرْضِ ، تَعْظِيمًا وَتَقْدِيرًا  
وَعُبُودِيَّةً لِلَّهِ تَعَالَى ...

أَلَا مَا أَكْمَلَكَ ... وَمَا أَعْظَمَكَ .. وَمَا أَرْفَعُ أَدَبَكَ .. يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ  
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ .....

فَلَا تَسْمَعْ يَا أَخِي لِمَنْ جَهَلَ وَتَسْأَلْ كَيْفَ يَكُونُ مُحَمَّدٌ حَبِيبَ اللَّهِ  
وَأَخِيرَ خَلْقِ اللَّهِ .. وَلَا يَعْرِفْ كَذَا وَكَذَا .. أَوْ يَحْدِثْ لَهُ كَذَا وَكَذَا !! ..

فَقُلْ لَهُمْ هُوَ حَيْثُ أَقَامَهُ رَبُّهُ .... لَا يَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ... وَلَا يَأْمُرُ  
إِلَّا بِأَمْرِ اللَّهِ ، وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ... ، وَهُوَ فِي تَجَلِّيَّاتِ اللَّهِ تَعَالَى حَيْثُ  
يَشَاءُ اللَّهُ .. فَحِينَئِذٍ هُوَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى بِأَلَا أَكْوَانُ ، .... وَحِينَئِذٍ هُوَ مَعَ اللَّهِ  
تَعَالَى بِأَلَا أَكْوَانُ ... ، وَحِينَئِذٍ هُوَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْأَكْوَانِ !!! ... فَأَمْسِكْ  
لِسَانَكَ .. وَقَيِّدْ عَقْلَكَ بِالْأَدَبِ .. فَنَحْنُ نَتَحَدَّثُ عَنْ خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ وَأَقْرَبِهِمْ  
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .... صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ ....



## • القرآن :

وطالما طُفْنَا وَحَوَّمْنَا حَوْلَ الْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ .. فَيَجِبُ أَنْ نُشِيرَ إِلَى  
معنيين هامين : وهما القرآن .. والمصحف .....

والقرآن ببساطة شديدة هو كلام الله تعالى .. بأنواره ..  
وأسواره .. وتجلياته ، وهو الوحي الذي أنزل على قلب رسول  
الله ﷺ ... وهو الذكر الحكيم ...

يقول تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ  
عَلِيمٍ ۝ ﴾ <sup>(١)</sup>. ويقول : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ  
لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝ ﴾ <sup>(٢)</sup>. ويقول : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ  
بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُفِّرَتْ بِهِ الْمَوْتُ ۝ ﴾ <sup>(٣)</sup>.

ويقول : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا  
مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۝ ﴾ <sup>(٤)</sup>

ويقول : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝ ﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ۝ لَا  
يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۝ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝ ﴾ <sup>(٥)</sup>

(١) سورة النمل آية : ٦ .

(٢) سورة الإسراء آية : ٨٢ .

(٣) سورة الرعد آية : ٣١ .

(٤) سورة الحشر آية : ٢١ .

(٥) سورة الواقعة آية : ٧٧-٨٠ .

وبنظرةٍ فاحصةٍ على هذه الآيات الكريمة ، نرى أنَّ المقصود  
بالقرآن الذى هو شفاء ورحمة .. وتُسَيِّرُ بِهِ الْجِبَالَ .. وهو فى كتاب مكنون  
عند رب العالمين .. هو تلك الروحانية العالية ... والنورانية السامية .. والسرُّ  
السارى فى كلام الله تعالى إلى خلقه ، .. وعلى قلب نبيه ﷺ ... ، وهو  
القول الثقيل الذى ذكره تعالى فى سورة المزمل حيث يقول .. ﴿ إِنَّا  
سَنُلْقِيْ عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلاً ﴾

ومنه ما نزل من تحت العرش .. ومنه ما هو من كنوز الجنة ... وكل  
سورةٍ ولها نورها .. وكل آيةٍ ولها سرُّها .... كما ذكر رسول الله ﷺ .  
وهذا القرآن العظيم .. مظهره المبارك هو فى حروفه وألفاظه التى  
يحتويها المصحف بين دفتيه ... ، فيكون إذا لدينا مصحفٌ  
مسطرةٌ به آيات القرآن وحروفه بلسان عربى مبين .....  
ويكون لدينا قرآنٌ كريم ، يحتوى على الأنوار والأسرار والتجليات  
الإلهية العالية ....

والمصحف بترتيبه ومظهره .. توقيفى .. ، أى من رسول الله ﷺ  
ولادخل للبشر فى ترتيبه ولا نظام آياته ولا أماكن سورِهِ ، ... بل كُلُّ ذَلِكَ  
مِنْ رَّسُولِ اللَّهِ ﷺ .. كما كان يتدارسه مع سيدنا جبريل عليه السلام ...  
وآن لنا الآن أن نفرِّقَ بين من يتلو المصحف .. وبين من يقرأ  
القرآن ....

فتالى المصحف هو قارئ حروفه وألفاظه وآياته .. وله الأجر  
والثواب .. بل لكل آية أجر ، ولكل كلمة ثواب .. ولكل حرف ثواب ودرجة  
كما قال ﷺ ...

ويقال لقارئ القرآن يوم القيامة .. أثل .. وأرق .. ، وكلما تلى آية  
ارتفع درجة فى الجنة .. ، فطوبى لأهل القرآن .. وحفظته الذين  
استدروا حروفه وألفاظه بين جنبيهم ....

وتلاوة كتاب الله بفهم وبغير فهم لها ثوابها ... وكل ميسر لما خلق  
له ... وكل تبعاً لرزقه من كتاب الله وتلاوته ...

فإذا عرجنا إلى قارئ القرآن .. بحقه .. ، فذاك أمر آخر .... ، فقارئ  
القرآن لا يقرأ بعينه ولا يبصره ... ، بل يستجلى المعانى الدنية ، والأسرار العلوية  
الظاهرة ، والخافية فى آيات القرآن ، ويتسامى بروحه ويتناول ، لتلتقط بعضا  
من المعانى النورانية ، التى كانت تنزل على رسول الله ﷺ ...  
وأمر جانبى له علاقة بكلامنا ..

ذلك أننا مأمورون بالتكبير عند رؤية الحريق .. حتى ينطفئ  
الحريق .. ولو أخلص العبد لأصاب غرضه .. فرسول الله ﷺ كلامه الصدق  
وليس بالهزل ... ولكن ما يحدث أن التكبير من بعض الناس ، لا يؤدى إلى  
إطفاء الحريق ... وأبداً ومطلقاً لن يكون الخطأ فى الأمر ، ولكن يكون  
النقص فى الأداء والتنفيذ .. ولفظ التكبير هو هو .. ولكن أين روح المُكَبِّرِ  
المُسَبِّحِ لله بروحه وقلبه !! فلا بد وأن يحدث بين الذكر بالتكبير باللسان  
والهمة الإيمانية بالقلب ، قوة خارقة وهممة عالية تطفى هذه النيران .. فإن

نقص شرط منهما فما يكون الغرض المطلوب والنتيجة المقصودة ....

لدغت عقرباً أعرابياً في زمن رسول الله ﷺ ، فلجأ إلى رسول الله ﷺ للاستشفاء ، فقابله " ابن الخطاب " في الطريق وعرف قصته ، فوضع " ابن الخطاب " يده على مكان لدغة العقرب ، فشفى الرجل كأن لم يكن به شيء ... ورجع إلى رحله ....

وما كاد يصل إلى رحله حتى لدغته أخرى .. ففعل كما فعل " ابن الخطاب " .. وضع يده على اللدغة وقرأ الفاتحة ، ولم يُشفَ الرجل .. فذهب إلى رسول الله ﷺ مستجيراً مستعجباً مما حدث ... فقال له ﷺ " الْفَاتِحَةُ هِيَ الْفَاتِحَةُ ... وَلَكِنْ أَيْنَ عُمَرُ ... !!! " ..

إيجاز من رسول الله ، يوضح الكثير والكثير .. فالفاتحة هي الفاتحة .. والسر الذي فيها ما يزال فيها بلا شك .. ولكن أين المستقبل له .. المنفل به !! أين روحانية " عمر بن الخطاب " التي تلتقط روحانية فاتحة الكتاب ، ليكونا معاً طباً وشفاءً وقوة إلهية تشفى هذا المريض !! ..

وقول رسول الله ﷺ في صباح الهجرة المباركة ، حين خرج على من كانوا يتربصون ببابه ليلة الهجرة ، وذراً في وجوههم بعضاً من الرمل ، وقال : فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهَمَّ لَا يَبْصُرُونَ ... فَظَلُّوا فِي مَكَانِهِمْ لَا يَرُونَ وَلَا يَشْعُرُونَ ، حَتَّى حَمَيْتُ الشَّمْسُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ ، وَحَيْثُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ قَدْ غَادَرُوا مَكَّةَ وَمَا فِيهَا ... فَتَمَثَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ فِي سُورَةِ يَس ﴿ فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ .. خرجت من فمه الشريف

مَقْرُونَةٌ بِرُوحَانِيَّةٍ ذَاتِهِ الْمُبَارَكَةِ ، فَكَانَتْ بَرَكَةُ الْآيَةِ وَسِرُّهَا ، مَعَ بَرَكَةِ رَسُولِ  
اللَّهِ وَسِرِّهِ ، هُوَ السِّلَاحُ الْفَعَالُ ضِدَّ هَؤُلَاءِ ... فَأَصْمَهُمْ وَأَعْمَاهُمْ .....

ومقصودُ كَلَامِنَا أَنَّ الرُّوحَانِيَّةَ الْعَالِيَةَ فِي الْإِنْسَانِ هِيَ فَقَطُ الَّتِي  
تَسْتَطِيعُ أَنْ تَسْتَجْلِيَ رُوحَانِيَّةً وَأَسْرَارَ وَقُوى وَتَجَلِّيَّاتِ آيَاتِ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ  
فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .. وَبِغَيْرِ هَذَا الرُّوحَانِيَّةِ الْفِطْرِيَّةِ فِي التَّالِيِ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ  
يَصِلَ إِلَى هَذِهِ الْمَرَحَلَةِ الْمُؤَثِّرَةِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى ...

ولقد قَدَّرَ سَيِّدُنَا " عمر بن الخطاب " تكبيرةَ سَيِّدِنَا " المقداد بن  
الأسود " بِأَلْفِ تَكْبِيرَةٍ مِمَّنْ عَدَاهُ .. وَأَرْسَلَ " لعمر بن العاص " قَائِلًا لَهُ "   
رَجُلٌ بِأَلْفِ رَجُلٍ " .. وَهُوَ " المقداد " .. وَلَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ النَّصْرَ عَلَى يَدَيْهِ ،  
كَمَا تَوَقَّعَ سَيِّدُنَا " عُمر " رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا ..

ومقصودُ كَلَامِنَا بِاخْتِصَارٍ أَنَّ الرُّوحَانِيَّةَ الَّتِي فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ  
هِيَ لَا شَكَّ فِيهَا ... وَلَكِنْ لَا يَلْتَقِطُهَا .. وَلَا يَتَعَامَلُ مَعَهَا إِلَّا أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ  
اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِرُوحَانِيَّةٍ سَامِيَةٍ فِي قُلُوبِهِمْ .. تَلْتَقِطُ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ رُوحَانِيَّةٍ ..  
وَتَتَفَاعَلُ مَعَهَا .. لِيَكُونَ مَعًا قُوَّةٌ عُظْمَى مِنْ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى ....

فَمَنْ أَرَادَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَأَنْوَارَهُ .. فَلَا يَكْتَفِي بِالتَّلَاوَةِ الْمَجْرَدَةِ  
بِاللِّسَانِ وَالشَّفَتَيْنِ - رَغْمَ مَا فِي هَذِهِ التَّلَاوَةِ مِنْ خَيْرٍ عَظِيمٍ - إِلَّا أَنَّهَا مَا  
أَهْوَنُهَا بِجَوَارِ أَسْرَارِ اللَّهِ وَتَجَلِّيَّاتِهِ ، الَّتِي يَفِيضُهَا عَلَى الْعَبْدِ التَّالِيِ لِلْقُرْآنِ  
يَقْلِبُهُ وَرُوحَهُ ...

فَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ بِلِسَانِهِ ، فَلَنْ يَتَجَاوَزَ الْمَعْنَى عَقْلُهُ الْبَسِيطُ  
الْمَادِيَّ ....

ومن قرأ القرآن بلسانه وقلبه ، فالمعاني تَجَاوَزُ عقله البشري ، لِتُنِيرَ قلبه ببعض الأسرار النورانية .... ومن قرأ القرآن بلسانه .. وقلبه .. وروحه ... فناهيك بأفضال الله عليه وأنواره وتجلياته ....

ولذلك ورد عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَامَ لَيْلَةً كَامِلَةً فِي تَهَجُّدِهِ وَهُوَ يُرَدِّدُ فِي صَلَاتِهِ آيَةً وَاحِدَةً ، وَهِيَ : ﴿ إِن تَعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١) .

ولولا أَنَّ رسولَ الله تعالى يستجلى في كل مرة يتلو فيها هذه الآية معنى جديداً .. ونورانية متجددة .. وأسراراً كانت مستورة .. لَمَا ظَلَّ يُرَدِّدُهَا اللَّيْلَ كُلَّهُ لِيَسْتَزِيدَ مِنْ أَسْرَارِهَا وَأَنْوَارِهَا .. قَالَ ﷺ : " أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ ، لِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ وَلِكُلِّ حَرْفٍ حَدٌّ وَلِكُلِّ حَدٍّ مُطَّلَعٌ " رواه الطبراني في الكبير عن " ابن مسعود " ، وهو حديثٌ حسنٌ ، واختلف العلماء في المقصود من الحرف الذي جاء في الحديث الشريف ... وارجع إلى الكتب المختصة في هذا المجال مثل " الإِتقان " للسيوطي وغيره .

وأياً كان المقصود فالظهور هنا هو ما ظهر من المعنى ... والبطن هو ما كان فيه من إشارة أو رمز أو تأويل ... والحدُّ هوَ منتهى فهم العقل البشري للمعنى ... أمَّا الْمُطَّلَعُ فَهُوَ بداية المعاني النورانية الذوقية القلبية .  
سُئِلَ الْإِمَامُ عَلِيُّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ .. هَلْ خَصَّكُمْ رَسُولُ اللَّهِ يَا آلَ

---

(١) سورة المائدة آية : ١١٨

محمدٍ بشيٍّ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ، أَوْ سِرٍّ مِنْ أَسْرَارِ الشَّرِيعَةِ ... فَقَالَ الْإِمَامُ كَرَّمَ  
اللَّهُ وَجْهَهُ .. لَا وَاللَّهِ ، مَا خَصَّنَا رَسُولُ اللَّهِ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ .. اللَّهُمَّ إِلَّا  
بَشْيٌ هُوَ فَفَهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَفَهُمْ آيَاتُهُ ....

فَمِنْ كَرَمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى آلِ بَيْتِ رَسُولِهِ .. وَإِكْرَامًا لِخَاطِرِ جَدِّهِمُ  
الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ ، قَدْ يَخْصُهُمْ بَعْضُ الْفَهْمِ الْخَاصِّ فِي كِتَابِهِ وَلِبَعْضِ  
آيَاتِهِ .. نَوْرَانِيَّةٌ خَاصَّةٌ لآلِ مُحَمَّدٍ تَعِينُهُمْ عَلَى اسْتِنْبَاطِ أَنْوَارِ وَأَسْرَارِ بَعْضِ  
آيَاتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ .

فَافْهَمْ - رَحِمَكَ اللَّهُ - الْفَرْقَ فِي تِلَاوَةِ كِتَابِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ بَيْنَ  
الْمُسْلِمِ الْعَادِي ... وَالتَّقِيِّ الْوَرَعِ ... وَالْوَلِيِّ لِلَّهِ .. وَالْعَارِفِ بِاللَّهِ  
تَعَالَى ... فَكُلٌّ مِنْهُمْ لَهُ رُوحَانِيَّةٌ فِيهِ ، يَسْتَلْهُمُ بِهَا قِبْسًا مِنْ نَوْرَانِيَّةِ هَذِهِ  
الْآيَاتِ فَتُظْهِرُ فَاعِلِيَّتَهَا فِي الْأَكْوَانِ .

وَانْظُرْ رَحِمَكَ اللَّهُ وَآيَانَا ، وَفَتْحَ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ إِلَى أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ  
مِنْ سُورِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ حَيْثُ تَبْدَأُ بِـ " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ " ... وَمَا  
مَعْنَى الْبِسْمَلَةِ بِبَسَاطَةٍ وَبَلَا تَعْقِيدٍ !!...

مَعْنَاهَا أَنَّكَ قَدْ خَرَجْتَ مِنْ نَفْسِكَ .. وَمِنْ صِفَاتِ الْبَشَرِيَّةِ .. وَبَدَأْتَ تَقْرَأُ  
آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى نِيَابَةً عَنْهُ جَلَّ شَأْنُهُ .. غَارِقًا فِي أَنْوَارِهِ ... وَمُسْتَلْهُمَا أَسْرَارَهُ .

وَقِرَاءَةُ سَادَاتِنَا لِلْقُرْآنِ ، عَادَةٌ مَا تَكُونُ بِهَذِهِ الْكَيْفِيَّةِ الرُّوحَانِيَّةِ  
الْعَالِيَةِ ... فَكُلُّهَا تَدَبُّرٌ وَاسْتِغْرَاقٌ فِي أَنْوَارِ الْقُرْآنِ مُسْتَلْهِمِينَ .. وَرَاجِينَ ... أَنْ  
يَكُونَ لَهُمْ بَعْضُ النَّصِيبِ مِنَ الْأَنْوَارِ وَالْأَسْرَارِ النُّورَانِيَّةِ ، الَّتِي كَانَتْ تَنْزِلُ  
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُنْزِلُ هَذِهِ الْآيَاتِ الْمُبَارَكَةَ ، وَبِهَذَا يَعِيشُونَ بَيْنَ

أنوار الله تعالى وكلامه القديم ، ونورانية رسول الله ﷺ وقت تلقيه لهذه الأنوار المباركة العظيمة ، فتكون النتيجة أن يتقاربوا إلى روح رسول الله ﷺ ، لينالوا بعض التجانس منها .. فإنَّ المُجَالِسَ مُجَانِسٌ ، فتكون لهم بها الأنس والمودة مع رسول الله .. ليتأدبوا بأدبِهِ الْعَالِي مع الله تعالى ، مما يَسِرُّ خاطر الرسول بأن من أتباعه من لديهم الهمة والسُّمُو لأن يتعلقوا بحبل الله المتين ، من حُبِّ الله تعالى و حُبِّ رسول الله ﷺ ...

أردنا أن نوضح الفرق ببساطة بين قارئ المصحف .. وقارئ القرآن .. وبين من يتعامل مع المصحف وآياته وحروفه .. وبين من يتعامل مع القرآن بأنواره وأسراره ...

وقرآن الله العظيم .. هو عند الله في كتاب مكنون ... محفوظ .. مُطَهَّرٍ مكنوز .. لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ... مَنْ طَهَّرَتْ قَلْبَهُ وَرُوحَهُ ... وتسامى قلبه وعقله .. فسوف يَمَسُّ مِنْ أَسْرَارِ هَذَا الْقُرْآنِ مَا يَشَاءُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ .. وَمَنْ لَمْ تَرْتَقِ رُوحُهُ وَيَتَسَامَى عَقْلُهُ .. ويطهر قلبه .. فهيهات أن يكون له نصيبه من القرآن إِلَّا عَلَى قَدَرِ عَقْلِهِ وَهِمَّتِهِ وَظَنِّهِ بِاللَّهِ تَعَالَى ...

وفضل كلام الله تعالى على كلام الناس .. كفضل الله تعالى على خلقه ... وما أبعد البؤن ... وما أكبر الفارق .... فذكر الله تعالى بتلاوة آياته هو الأعلى عند الله .. وهو الأحب إليه جَلَّ شَأْنُهُ .. ولكن بشرط تلاوة قرآنه بحقه وبأدبه .. وبفكره .. وبروحه ، حتى يفيض الله تعالى عليه من أسرارِه وأنوارِه ما لا يجده مسطوراً في كتاب ولا مسموعاً في كلام ....

وانظر مثلاً كيف اختلف المفسرون في شرح آية ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا



يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ<sup>ط</sup> وَعِنْدَهُ رُؤُوسُ الْكَتَابِ ﴿٣٩﴾<sup>(١)</sup> وكيف أفاضوا فى القضاء المبرم .. والقضاء المعلق .. والقضاء المشروط ... وما هى أم الكتاب .. واللوح المحفوظ .. والدعاء الذى يرد البلاء .. وزادوا وعادوا ، وجزاهم الله خيراً على اجتهادهم ..

ثم يأتى رسول الله ﷺ لأحد الصالحين مناما ليقول له " يَا عَبْدَ اللَّهِ دَعَاكَ مِنْ كُلِّ مَا سَمِعْتَ وَمَنْ سَمِعْتَ .. واسْمَعْ مِنِّي ... يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ فى الْأَوْهَامِ وَالْخِيَالِ وَالْفِكَرِ وَالظَّنِّ وَالْمَنَامِ " .... وهذه هى ما قلنا عنها أَنَّهَا عوالم الجبروت ... وصدق رسول الله ﷺ ... وما أجمل إيضاحه وشرحه ....

فعلى قدر هِمَّةٍ .. وقُوَّةٍ إيمانِ النَّالِ .. يلتقط من الأنوار ما يناسب هِمَّتَهُ وقُوَّةَ إيمانه ...

فلا تعجب من تالٍ للقرآن لا يؤتى أثره على مريض مثلاً .. وتالٍ آخر يكون أثرُ تلاوته كالبرق اللامع ... وآخر يستلزم التكرار والإعادة لاستجماع همته الروحية ...

والقرآن واحد لا يتغير ... إنما التفاوتُ فى التَّالِى نفسه وقوته ... فافهم رَحِمَكَ اللَّهُ ... وهذه مِنْ أسرارِ الذَّاتِ الْبَشَرِيَّةِ وَغَلَبَةِ الرُّوحِ عَلَيْهَا ....

وإذا وصلنا الى هذه النقطة من قوة إيمان المؤمن ، وطرقنا باب الهِمَّةِ الْإِيمَانِيَّةِ ، فعلينا أن نمر مر الكرام على هذه الهِمَّةِ ذات الميزة الخطيرة ....

---

(١) سورة الرعد آية : ٣٩ .

## • التكوين :

ذَكَرْنَا فِي الْبَابِ السَّابِقِ بِأَنَّ أَهْلَ الْإِحْسَانِ سَابِحُونَ فِي مَلَكُوتِ  
اللَّهِ تَعَالَى .. مُسْتَعْرِقُونَ فِي تَجَلِّيَّاتِ صِفَاتِهِ .. وَأَنَّهُمْ أَيْنَمَا يُؤَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ  
اللَّهِ تَعَالَى .... وَقَلْنَا أَنَّ فِيهِمْ مَنْ هُوَ صَاحِبُ الصِّفَةِ الْوَاحِدَةِ .. وَمِنْهُمْ مَنْ  
هُوَ صَاحِبُ الصِّفَتَيْنِ .. وَمِنْهُمْ مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ ... كَمَا أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ  
ظَاهِرُهُ ثَابِتٌ لَا يَتَغَيَّرُ ، وَبَاطِنُهُ ثَابِتٌ أَوْ يَتَغَيَّرُ .. وَقَلْنَا أَنَّ الْمَقَامَ الْأَكْمَلَ هُوَ  
الظَّاهِرُ الْمُتَمَكِّنُ الثَّابِتُ .. سَوَاءٌ كَانَ بَاطِنُهُ مُتَلَوِّنًا .. أَوْ ثَابِتًا ...

وَقَلْنَا سَابِقًا أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ لَا تَدْرِكُ بِالْعَقْلِ وَالْمَنْطِقِ الْمَادِيِّينَ .. ، بَلْ  
لَا بُدَّ مِنَ الْقَلْبِ ، وَالْمِذَاقِ ، وَالْإِحْسَاسِ ، وَعَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ .. : نَحْنُ نَعْلَمُ  
أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَاحِدٌ أَحَدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ ...

هَذَا أَمْرٌ إِيْمَانِيٌّ بَدَّهِيَ يُفْهَمُ مِنَ الْوَهْلَةِ الْأُولَى .. وَالْعَقْلُ يَقُولُ لَوْ  
كَانَ فِي السَّمَاءِ أَوْ الْأَرْضِ آلِهَةٌ أُخْرَى لَاخْتَلَفُوا .. وَلَعَلَّى بَعْضُهُمْ عَلَى  
بَعْضِهِمْ .. تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا نَقُولُ عُلُوًّا كَبِيرًا

وَلَكِنَّا لَوْ اسْتَعْرِقْتَ فِي مَعْنَى " الْفَرْدَانِيَّةِ " هَذِهِ .. وَنَظَرْتَ إِلَى  
الْمَخْلُوقِ الْبَشَرِيِّ .. وَكَيْفَ أَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ شَرِيكِ يُوَآنِسُهُ فِي وَحْدَتِهِ .. فَإِنَّ  
الْوَحْدَةَ لَهُ قَاتِلَةٌ .. ، وَقَدْ يَحَارُ فِي أَمْرِ فَيَحْتَاجُ إِلَى مَنْ يَسْتَشِيرُهُ ..  
وَيَسْتَهْدِيهِ .... ، وَقَدْ يَكُلُّ وَيَتَعَبُ .. فَيَحْتَاجُ إِلَى بَعْضِ الرَّاحَةِ ... ، وَقَدْ  
تَعَلُّ صِحَّتَهُ .. فَيَحْتَاجُ إِلَى اسْتِشْفَاءٍ وَعِلَاجٍ .... ، وَقَدْ يَخْطِئُ فِي بَعْضِ  
أَحْكَامِهِ فَيَحْتَاجُ إِلَى مُرَاجَعَتِهِ أَوْ التَّكْوُصِ فِي الرَّأْيِ .. وَقَدْ يَنْشَقُّ عَلَيْهِ بَعْضُ  
أَتْبَاعِهِ فَيَحْتَاجُ لِمَنْ يَحْسِمُ أُمُورَهُمْ !!!

وانظر إلى ملوك الأرض وما يعانون في تدبير ملكهم .. على صغره .. وهم لا يملكون جزءاً من ألف ألف جزء من ملك الله تعالى... بل إن الله تعالى مالك الرقاب ، والحياة ، والموت ، والأرزاق ، من الافلاك إلى البحار إلى كافة المخلوقات...

فانظر .. وتذوق ... واشعر ... وعظم .. وقَدِّسْ .. وَسَبِّحْ ذا الجلال والإكرام ... الواحد الأحد الفرد الصمد .. الذى ليس بغائب فينتظره أحد ، ولا بغافل فيذكره أحد .. ولا بنائم فيوقظه أحد .. ولا يعلم ما هو إلا هو .. ولا يعلم كيف هو إلا هو .. ولا شريك له .. ولا معقب لحكمه .. جَلَّ جَلالُ الله . نعود فنقول أن المستغرق في بعض تجليات صفات الله تعالى .. لابد وان يكون له حظٌ - صَغُرَ أو كَبُرَ - من أنوار هذه الصفة .. فتأثَّرَ بها رُوحُه ونَفْسُه .. ورُبَّمَا جَسَدُه كذلك كما أسلفنا .. وتأمل في دقيقة قرآنية ....

" مَرِيَمُ الْعَذْرَاءُ " عليها السلام .. المؤمنة العابدة القانتة ... جاءها جبريل الأمين في محرابها ، وتمثَّلَ لها بشراً سوياً ، وبَشَّرَها بعيسى .. ونفخ الله تعالى فيها من روحه .. ﴿ وَمَرِيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ لَهَا وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ (١) .

وخلق الله تعالى " سيدنا عيسى " من هذه النفخة الروحية القدسية

---

(١) سورة التحريم آية : ١٢ .

وبشرية "مريم بنت عمران" .. وبلا والد ... فغلبت على طبيعته البشرية قوتهُ الروحانية .. لذلك كان يحيى الموتى بالنفخ منه ، فينتقل سرُّ روحانيته إلى الميت فيحيا ... وإلى الأكمه فيبرأ .. بإذن الله تعالى وبقوتهِ جَلَّ شأنه ... وبما وضع في عيسى عليه السلام من هذه الروح .

ومنَ المعروف أن السيد المسيح عليه السلام كان يتغير شكل وجهه عند القيام بهذه المعجزة ، حتى أن الحاضرين كانوا لا يستطيعون النظر إليه رهبةً ومهابةً ، وحتى كانوا يتساءلون من هذا ، وكيف تغيرَ وجهه !! ومن هنا نبتت فكرة ألوهيته عندهم بعد ذلك بفترة زمنية تحليلاً لتلك الظاهرة وغيرها ....

فإن قلت أن " آدم عليه السلام " قد نفخ الله فيه من روحه ، ولم يكن يحيى الموتى ، فإنَّ الله قد خصَّ سيدنا عيسى بهذه الخاصية لتكون معجزة له مع قومه ، وقد خصَّ كثيراً من الأنبياء بما يناسبُ أقوامهم وأزمِنَتَهُمْ ، وقد ألان الله لسيدنا " داود " الحديد و علّمَ سيدنا " سليمان " لغة الطير والحيوان .... وما أذن الله تعالى لآدم أن يحيى الموتى ، ولكنه أذن لعيسى ، فمَثَّلُ عيسى عند الله كَمَثَلِ آدم .. كلاهما بلا والدٍ ، بل خلقاً بالقدرة الإلهية والأمر .. وكلاهما عبدٌ لله تعالى .. ولا ينسبُ المسيح بالبُؤوةِ إلى الله تعالى ، كما لا ينسبُ آدمُ بالبُؤوةِ إليه تعالى ... لذلك يقول القرآن الكريم على لسان السيد المسيح ﴿ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ

## وَالْأَبْرَصَ وَأُخِيَ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿١﴾

فالفعلُ "لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام" .. والإِذْنُ والأمر من الله تعالى .

وهذا مَثَلٌ نسوقه لتقريب المعنى إلى الذَّهْن .. ، وأرجو ألا يُساءَ فهمه .. ، فكل ما أردنا قوله هو أن الله تعالى إذا أكرم عبدا ببعض تجلّيات صفة من صفاته .. ، فإن هذه التجلّيات لآمانع من أن تظهر على العبد في حالات خاصة ، كما يريد الله تعالى ... ، ولكن العبد يظل عبداً لآحول له ولاقوة .. ، إلا بأمر الله تعالى ، فافهم وتدبّر رحمك الله وإيانا ....

وقلنا أن الروح إذا نشطت وقويت أمدّت النَّفْسَ ببعض قواها وغيّرت في طبائعها ... حتى يصبح العبدُ ربانياً صِرْفاً ... وارجع إلى الحديث القدسي الذي سبق ذكره ، والذي يقول أن الله إذا أحبَّ عبداً كان عينه التي يبصر بها .. ورجله التي يمشى بها ... الخ .

وكذلك الأحاديث النبوية التي ذَكَرْتُ أَنَّه رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ .. مدفوعٍ عن الأبوابِ لو أقسم على الله لأبره ..

فهؤلاء ومن مثلهم في هذه المقامات العالية .. لهم ما يشاءون عند ربهم .. لا يخزيهم الله تعالى .. ولا يردُّ لهم دعاءً ولا رجاءً .. بل إن الله تعالى يدافعُ عنهم .. ورُبَّمَا دون أن يدروا .. فمن آذى ولياً لله تعالى .. كان الله خصمه .. وكان الله هو المدافع عنه .. بنصِّ الحديث القدسي ...

---

(١) سورة آل عمران آية : ٤٩ .

صحيحُ أن هذه الدرجة لا يدركها إلا من صار ربانياً  
صِرْفاً ، .. وروحانياً خالصاً ، ليس فيه مجالٌ لهوى النفسِ .. ولا مدخلٌ من  
مداخل إبليس ... ولكنها يدركها بعضُ عبادِ الله تعالى المخلصين ...

وقوى النفس المدركة من باطنٍ هي التي تبسط الروح عليها قوتها  
وأنوارها .. فالوهم ، والخيال ، والتخيل ، والتفكر والتذكر .. كل هذه  
القوى تنير بنور الروح .. وتقوى بقواها ..

والهمة ... من قوى النفس .. فهي اليقين .. وقوة العزم ... والإصرار  
الباطني ... كلها من قوى النفس الباطنة .. والتي هي محل التلوين  
والتمكين أيضا ....

وقد تصل هذه القوة إلى درجة يُسمونها " التكوين " ... وهي أن  
النفس الكاملة المنيرة بنور الله تعالى .. إذا توجهت بهمتها وعزمها  
وإصرارها على فعلٍ شبيءٍ .. فإنَّ هذا الشئ يحدثُ بأمر الله تعالى .. واکراما  
لهذه النفس المنيرة والروح العالية ...

وهذا يا أخى يفسرُ لك دعوة رسول الله ﷺ المؤمنين إلى تغيير  
المنكرات بقلوبهم ... أى بقوة توجُّه قلوبهم وأرواحهم وهمتهم إلى هذا  
المنكر فيتغير بفضل الله تعالى ....

ولاحظ أن قول رسول الله ﷺ فيه أمرٌ بالتغيير .. حيث يقول  
" مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ " ... ولم يقل فليعترض عليه .. أو يستنكره  
وكفى ... بل أَمَرَ بالتغيير لمن عنده القدرة على التغيير ... باليد .. أو  
اللسان ... أو القلب .... فافهم يا أخى ...

وفى هذا المقام إشارة خفية أخرى .... فرسولُ الله ﷺ يقولُ أن من همَّ بحسنةٍ ولم يفعلها ... كُتبت له حسنةٌ .. ، فإن فعلها كُتبت له عشرًا... ، فالأولُ همَّ بالفعل وعزم عليه ، ولكن حبسه حابسٌ ، فلم يخرج الفعلُ إلى دنيا الأفعالِ وعالمِ الملوكِ ... ولكن الله يعطيه ثواب ما نواه صادقاً ... والأجرُ والثوابُ لا يكونُ إلا على فعلٍ مفعولٍ ، فلا بدَّ أن تكون هذه النيةُ وهذا العزم قد نشأ عنهما فعلٌ حقيقى ، ولكن ليس فى عالم الدنيا وترايباتها ولكن فى عوالم غيبية ، كالعوالم التى ذكرناها سابقا .. ، ويُنسبُ الفعلُ إلى صاحبه.. ويثاب عليه ... وليس ثوابه كثواب الفعلِ الظاهر للناسِ ، الذى فيه حركةٌ ، وعملٌ جسدٍ ، ولذلك كان أجرُهُ بالمثل ولا يُضاعف ....

وهذا مثلُ لأفعالِ القلوبِ ونوعُ منها .....

ولا تظن أن أصحاب التمكين هؤلاء يسرون فى دنياهم على هواهم وحسبما يُحبُّون ... فَإِنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ إِلَّا مَنْ بَاعَ نَفْسَهُ لِلَّهِ تَعَالَى وَصَارَ رَبَانِيًّا صَرَفًا .. وَعَبْدًا خَالِصًا ... فلا يريد إلا ما أراد الله .. ولا يفعل إلا ما أمر الله ...

ولا تخلط بين هؤلاء .. وبين أهل الوحي من الأنبياء ... فأهل الوحي لهم شأن خاص ، وأسلوبٌ خاصٌ فى وصولِ الوحي إليهم .. ، ولكن هؤلاء أقل من هذا المقام .. فهم ليسوا بالأنبياء ولا بالرسل ... ولله فى خلقه شؤون ...

وتأمل هذه الحادثة ....

تخلف سيدنا " أبو ذر الغفاري " فى المدينة المنورة عن غزوة " تبوك " التى كان فيها رسول الله ﷺ ، وفى كل مرحلة كان الرسول يسأل عنه أصحابه ، فيخبرونه أنه قد تخلف فى المدينة ... وفى عصر يوم رأى القوم غباراً لم يلحق بهم من بعيد ، فأبلغوا رسول الله ﷺ فالتفت إلى الغبار وقال ﷺ " كن أبا ذر " ....

فلما اقترب الغبار منهم ، انقشع عن سيدنا " أبى ذر " رضى الله عنه ...

ونحن نذكر هذه الحادثة لمجرد أن رسول ﷺ قد نطق بهذا اللفظ " كن " ... ، ولم نتعرض لأكثر من هذا ....

والشيء بالشيء يُذكر .. فَإِنَّ " صاحب سليمان " عليه السلام قد أحضر إليه عَرْشَ مَلِكَةٍ سَبَأٍ فى أقل من غمضة عين .. هى لحظة .. أو كما نقول جزء من أجزاء الثانية العصرية عندنا ..

ونحن لانعلم كيف أحضره !!! هل نقله من مكانه !! وكم كانت سرعة النقل والانتقال !! هل قَسَمَهُ إلى أجزاء !! ثم أعاد جمعه .. فى لحظة !! هل نقله بسرعة الضوء بعد أن جعله ذرات ثم أعاد تكوينه !!! هل أعدم العرش الأول فى مكانه .. وأنشأ بقدرة الله تعالى عرشاً مثله عند سيدنا سليمان !!! ولم لا ... كل هذا جائزُ والله تعالى أعلم .

يقول تعالى : ﴿ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ



﴿ ٦٠ ﴾ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿ ٦١ ﴾ (١)

والله سبحانه وتعالى قادرٌ ... وينشئك نشأً جديداً .. فيما لاتعلم من العوالم... ولامانع من أن ينشئك في عالم من عوالم الغيب .. ويجعل لك أكثر من صورة ...

ألم تتعرض من قبل لحديث الاسراء والمعراج وكيف أن " جبريل " قد أتى بيت المقدس إلى حيث كان الرسول ﷺ في حَجْرٍ إسماعيل بمكة .. وظلَّ الرسول ينظر إليه ، ويصفه للمشركين من قريش ...!!!! أليس هذا إنشاءً من الله تعالى لصورة من بيت المقدس ، صَوْرَهَا جَلَّ شَأْنُهُ مع سيدنا " جبريل " ، ورآها رسول الله عليه الصلاة والسلام !!! .

وهل تظن أن قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٢) ، أَنَّ الأَمْرَ مرتبطٌ بالكاف والنون !!، إِنَّمَا اللهُ تَعَالَى مُنْزَعٌ جَلَّ شَأْنُهُ عَنِ النُّطْقِ بِالْحُرُوفِ ... فالنطق بالحروف يستلزم لساناً وشفيتين .. وَنَفْسًا .. وحنجرة ... إلخ ... والله تعالى مُنْزَعٌ عَنِ كُلِّ هَذَا...

إِنَّمَا المقصود حيثُ وكيفما توجَّهَتُ المَشِيئَةُ الإِلهِيَّةُ .. كان الأمر الإِلهي .. وكان الخلق .. وكان الإيجاد .. وكذلك كان العدم .... فالأمر كله مشيئة وإرادة وقدرة ... ، ويقابلها من البشر هِمَّةٌ .. ،

(١) سورة الواقعة آية : ٦٠-٦١ . (٢) سورة يس آية : ٨٢ .

وعزم... وفعل.... ، وجَلَّ الله تعالى عما نقولُ وعلا علوًّا كبيراً....

ويسوقنا الكلام إلى القضاء والقدر.... فنقول في أبسط تعبير ممكن :

إن القضاء هو ما قضى الله تعالى به ، في علمه القديم قبل خلق السموات والأرض.... ، والقدر .. ، هو ظهور هذا القضاء ، حسبما أراد الله تعالى ، حيث تُنظَّم قدرته جلَّ شأنه الأمور بعضها على بعض ....

يقول ﷺ " قَدَرَ اللَّهُ الْمَقَادِيرَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَيْنِ يَخْمُسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ " حديث صحيح ، رواه أحمد والترمذي عن " ابن عمرو " ..

ويقول ﷺ " إِذَا ذُكِرَ الْقَدَرُ فَأَمْسِكُوا " حديث صحيح ، رواه الطبراني وهو عن " ابن عمر " وكذلك عن " ابن مسعود " رَضِيَ اللَّهُ عنهما .

ولذلك نمسك عن الكلام في هذا الأمر امتثالاً لأمره ﷺ .. ولكننا أردنا فقط أن نفرق بين القضاء .. والقدر ...

وما ذكرناهما إلا لأننا نرى كثيراً من الخلق قد انشغلوا بهما .. وكل قد أدلى بدلوه عن علمٍ أو جهل .. بينما في العصر الذي نحن فيه... وما انكشفت فيه من الحقائق الكونية والعلمية ، فإنَّ هذه الحقائق قد تساعد كثيراً ، على شرح كثير من المعاني ، التي كان السلف لا يترقونها .. ، وإذا طرقوها فإنَّما كان ذلك على قدر علمهم آنذاك... فاذا كانت عقول البشر اليوم غير تفكيرها ومنطقها منذ قرون ، فجاز لنا أن نتناول هذه القضايا ، بما يناسب

العقول الحاضرة ، فى حدود ما قال الله تعالى ، وما قال رسوله ﷺ .. ، وألاً  
تتجاوز حدود الأدب فى عرضنا لهذه الأمور بل يكون الالتزام ظاهراً باطناً  
بأوامر الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ..

ولست حجة علينا .. ، ولا حتى لنا ، من يقول أن السموات السبع  
هى الكواكب السيارة السبع !! ، كما ورد فى بعض التفاسير المحدثه منذ  
قرن تقريباً عندما اكتشف العلماء الكواكب السيارة السبع . !!

وليس لنا أن نلتزم بقول القائلين بأن الأرض يحملها ثور على قرنه!!  
والثور على ظهر حوت سابح فى الماء !!! ولا أن نهاية ما يرى بصرى على  
شط البحر هو انطباق السماء على الأرض !!! وأمثال هذه الشروح  
والتفسيرات التى كانت على قدر عقولهم وأفهامهم حينذاك ... منذ عدة  
قرون ....

وما أوقعهم فى هذه المحظورات .. إلا أنهم قد حجروا علم الله  
تعالى وقدرته على قدر عقولهم هم .. وعلى قدر ما تطبق أفهامهم ..  
فاختلطت الأمور عليهم .... وما كان أولاهم ألا يدخلوا فيما لا يدركونه يقيناً  
.. حتى لا يسيئوا من حيث يظنون أنهم يحسنون .. والله تعالى يجزيهم  
على قدر نياتهم وعقولهم ....

وهذه النقطة تسوقنا إلى أمر فى غاية الأهمية ... وذلك هو ...

## • النبوة .. والرسالة ....

وفى أبسط تعريفٍ يمكن أن يُقال .. هو أن النَّبِيَّ مَنْ نُبِّيَ مِنْ سَمَاءِ السَّمَاءِ ... هو صاحبُ وحيٍّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَيْهِ .. وَعِلْمٌ خَاصٌّ لَدَيْهِ بِاللَّهِ تَعَالَى .... فهو قد نُبِّيَ فِي نَفْسِهِ .... ثُمَّ إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ هُوَ نَبِيٌّ وَصَاحِبُ تَشْرِيعٍ جَدِيدٍ لَهُ ... وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ تَابِعٌ لِرَسُولٍ مَعَهُ أَوْ سَابِقٍ عَنْهُ ... "فَهَارُونَ" نَبِيٌّ ... تَابِعٌ "لِمُوسَى" وَشَرِيعَتُهُ ... وَأَنْبِيَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَكُونُوا أَصْحَابَ تَشْرِيعٍ ، وَكَانَ "لُوطٌ" نَبِيًّا وَرَسُولًا ، وَفِي زَمَنِ إِبْرَاهِيمَ وَهُوَ أَيْضًا نَبِيٌّ وَرَسُولٌ .. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ..

هَذَا هُوَ النَّبِيُّ .. مَنْ نُبِّيَ فِي نَفْسِهِ مِنَ السَّمَاءِ وَهُوَ إِمَّا تَابِعٌ وَإِمَّا صَاحِبُ تَشْرِيعٍ .. وَهَذَا التَّشْرِيعُ قَدْ يَكُونُ لِنَفْسِهِ فَقَطْ .. وَقَدْ يَكُونُ لِنَفَرٍ قَلِيلٍ حَوْلَهُ فَقَطْ ....

وَالرَّسُولُ .. هُوَ نَبِيٌّ وَصَاحِبُ رِسَالَةٍ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى قَوْمِهِ ...

لِذَلِكَ فَإِنْ كُلُّ رَسُولٍ نَبِيٌّ ... وَلَيْسَ كُلُّ نَبِيٍّ رَسُولًا ....

وَالنَّبِيُّ فِي حَدِّ ذَاتِهِ ، لَا بَدَّ وَأَنْ تَكُونَ لَهُ مَقُومَاتٌ خَاصَّةٌ بِهِ .... ، وَعِلْمٌ خَاصٌّ مِنَ اللَّهِ وَبِاللَّهِ لَدَيْهِ ... فَإِنَّهُ يُنَبِّئُ مِنَ السَّمَاءِ وَيَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ اللَّهِ .. وَهُوَ مِنْ صَفْوَةِ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِينَ أَصْطَفَاهُمْ وَطَهَّرَهُمْ .. وَجَهَّزَهُمْ لِهَذَا الْأَمْرِ .. فَلَا بَدَّ وَأَنْ يَكُونَ عَلَى عِلْمٍ بِاللَّهِ تَعَالَى وَمَعْرِفَةٍ تَفُوقُ حَدَّ الْبَشَرِ .. وَأَنْ تَكُونَ رُوحُهُ نَبَوِيَّةً .. وَنَفْسُهُ نَبَوِيَّةً .. وَجَسَدُهُ مَعْصُومًا كَذَلِكَ ....

ثم تأتي الرسالة من السماء ليقوم الرسولُ بإبلاغها إلى قومه ...  
أوامرٌ.. ، ونواهٍ .... وإجمالٌ ، وتفصيلٌ ، وشرحٌ ، وإيضاحٌ ، وتخويفٌ ،  
وترغيبٌ .. ، وكل ما يريد الله تعالى أن يعلمَ به خلقه ....

والنبيُّ الرَّسُولُ .. مكلفٌ بإبلاغ هذه الرسالة إلى قومه  
بالضرورة .... ولكنه غير مكلف بإيضاح ، أو توصيل ، أو شرح معالم نبوته ، أو  
علمه هو الخاصُّ بالله تعالى ... وما أفاضَ الله عليه مِنْ تَجَلِّيَّاتٍ خاصةٍ  
اقتضتها نبوته .... لأن النبوةَ خاصةً به مِنْ الله لِنَفْسِهِ ... والرسالةُ هيَ مِنْ  
الله إلى قومه .. فهي حَقُّهُمْ في المعرفة ، وزادُهُمْ للعبادة ، ووسيلتهم  
للدخولِ إلى مرضاةِ الله تعالى ورضوانه ....

لذلك يقول تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ  
رَبِّكَ <sup>ط</sup> وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ <sup>(١)</sup>

ويقول : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ  
وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup>

والأمر هنا واضح وصريح .. فالرسالة مِنْ الله تعالى بالأوامر  
والنواهي وغيرهما هي مِنْ الله إلى الرسول .. إلى الخلق .. وعلى  
الرَّسُولِ أَنْ يُبَلِّغَهَا ...

أما ما سوى ذلك .. فهذا له شأنٌ آخر .. فعلمه بالله تعالى .. وأسرارُ  
الله تعالى لديه ، وأنوارهُ فيه ، فهذا بينه وبين ربه .. وهو ليس مكلفاً .. بل

(١) سورة المائدة آية : ٦٧ . (٢) سورة النحل آية : ٤٤ .

لا يجوز له أن يُفشي سراً بينه ، وبين ربه .. فهذه عطايا وهدايا خاصة له من الله تعالى ...

وكلُّ نبيٍّ على قدره .. وكلُّ رسولٍ على قدر رسالته ...  
﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾<sup>(١)</sup> كما يقول تعالى في كتابه العزيز .

وهذا التفضيل لا يقتضى التمييز .. ولا يصحُّ أن تُفاضل بين الرُّسلِ صلى الله عليهم وسلم ، فنحن لانفرق بين أحدٍ منهم .. ولكن المقصود أن كلاً منهم له فضلٌ خاصٌ .. وميزة خاصة ولكن كلهم مميّزون .. وكلهم مُفضَّلون عليهم الصلاة والسلام .

لذلك فعندما يقول رسولنا ﷺ " لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً ، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً ، وَلَمَّا سَأَخَ لَكُمْ الطَّعَامُ وَلَا الشَّرَابُ " صحيح ، رواه " أبو ذر " ورواه البخارى عن " أنس " ،

ويقول " إِنَّ أُنْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا " وهو صحيح ، رواه البخارى عن " عائشة " رَضِيََ اللهُ عَنْهَا ،

ويقول ﷺ " إِيَّاكُمْ وَالْوَصَالَ ، إِنَّكُمْ لَسْتُمْ فِي ذَلِكَ مِنِّي ، إِنِّي أَيْتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي ، فَارْكَلُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ " رواه البخارى ومسلم عن " أبى هريرة " ،

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٥٣ .

ويقول " مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى ، وجبريلُ كَالْحِلْسِ  
الْبَالِي مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى " وهو صحيح ، رواه الطبراني عن " جابر " ،

ويقول " مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي ، عَلَى مُوسَى قَائِمًا يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ "   
وهو صحيح ، رواه أحمد ومسلم عن " أنس " ،

ويقول " كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ " وهو صحيح ، رواه  
الطبراني عن " ابن عباس "

وكذلك يقول .. " كُنْتُ أَوَّلَ النَّاسِ فِي الْخَلْقِ وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ "   
وهو صحيح ، رواه ابن سعد عن " قتادة " ..

ويقول ﷺ قال جبريل " قَلْبْتُ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَلَمْ أَجِدْ  
رَجُلًا أَفْضَلَ مِنْ مُحَمَّدٍ " رواه الحاكم عن " عائشة " .

ومثل هذا كثير ، يبين بعض خصوصية رسول الله ﷺ

فاذا ارتأى النبيُّ أن فيمن حوله من أصحابه مَنْ يُطِيقُ بعض هذه  
الأسرار .. وبعض هذه التَّجَلِّيَّاتِ الْخَاصَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَيْهِ .. فهو مُخَيَّرٌ  
ﷺ في أن يخاطب هؤلاء صراحة أو علانية .. أو يرمز فيه تأويلٌ ....

وهو ﷺ قد أُوتِيَ جوامع الكلم .. ، ودانت له العربية ببلاغتها  
وفصاحتها .. ، ثم هو قبل كل هذا وبعده ، ما ينطق عن الهوى .

فإن أسَرَ رسولُ الله ﷺ إلى سيدنا " حذيفة بن اليمانِ " بِسِرِّ  
النِّفَاقِ ، بل وبأسماء المنافقين .. واختصه بها .. فذلك من حكمته ﷺ  
التي لاندرکها ، حتى أن سيدنا "عمر بن الخطاب " عليه رضوان الله

تعالى ، كان لا يصلى على جنازة بعد انتقال الرسول إلى الرفيق الاعلى إلا اذا حضرها " حذيفة بن اليمان " .. حتى يتأكد أن الميت ليس من المنافقين ، وكان يقسم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على "حذيفة " ويسأله باكيًا إن كان رسول الله ﷺ قد ذكر له اسم " عمر " فى المنافقين !!!

اللَّهُ اللَّهُ عليك يا بن الخطاب ... اللَّهُ اللَّهُ عليك وعلى أصحابك، وأقرانك ، ومن حضرك من صحابة رسول الله ، خير خلق الله ، وخير القرون ، وخير أدب مع الله ورسوله، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ جميعا ونحن معهم فضلا من الله وكرما ....

واذا كان رسول الله ﷺ قد ذكر فى أحاديثه الشريفة أن الصلاة فى المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة فى غيره ، وأن الصلاة فى مسجده بالمدينة المنورة تعدل ألف صلاة فى غيره ... كما أن الصلاة فى المسجد الأقصى تعدل خمسمائة صلاة فى غيره ، كما ذكره الرواة جميعا عن " أبى هريرة " وعن " جابر " وغيرهما .... وفى رواية أن الصلاة فى المسجد النبوى بخمسين ألف صلاة .

واذا كان ﷺ يقول عن مسجد قباء " الصَّلَاةُ فِي مَسْجِدِ قُبَاءَ كَعُمْرَةٍ " وهو صحيح ، رواه مسلم والنسائى وغيرهم ، فَإِنَّ لِي هُنَا وَقْفَةً يَجِبُ أَنْ يَقِفَهَا مَعِيَ كُلُّ قَارِئٍ ....

فظاهر الحديثين يدعو الناس إلى المسجد الحرام ... وإلى مسجد قباء .!!!!. وَمَنْ مِنَ النَّاسِ يَسْتَبْدِلُ مِائَةَ أَلْفِ صَلَاةٍ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِأَلْفِ صَلَاةٍ فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ !!! لاشك أن كل من يريد أن يستكثر من الثواب



والدرجات ، فعليه بالصلاة في المسجد الحرام ، إن كان مُخَيَّرًا بين المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف المبارك ... هذه واحدة ....

والثانية مَنْ يكون في المدينة المنورة ... ويعلم فضل صلاة ركعتين في مسجد قُباء .. هل يتركهما أو يتهاون فيهما .... أم يواظب عليها ويحرص كُلَّ الحِرْصِ على أدائهما !!!

ويسكتُ رسولُ الله ﷺ ... أدباً مع الله تعالى .. وتعظيماً لشعائرِ الله . !! ولم يقل ﷺ ما هُوَ ثوابُ مَنْ يصلي ركعتين في مسجده الشريف الذي ضم جسده الطاهر المُطَهَّر .. أَحَبُّ خَلْقِ الله إلى الله وأكرمُهُمْ على الله ...

فإذا صلينا في مسجد قُباء كان لنا أجرُ عمرة ... وإذا صلينا في مسجده الشريف !!! ماذا يكون لنا !!! وإذا ما كُنْتَ حاجاً لَبَيْتَ الله الحَرَامَ والصلاةُ فِيهِ والحَسَنَاتُ بمائة ألف ... فَلِمَ أَذهب إلى المدينة لأُصَلِّيَ في المسجد النبويِّ وأَجْرِي فِيهِ على النصف أو أقل من أَجْرِي بالمسجد الحرام !!!

لأُبَدَّ وَأَنَّ في الأمرِ سِرّاً !!!

ولا أفهم منه إلاَّ أَنَّ رسولَ الله ﷺ بأدبه العظيم العالي .. وتواضعه الذي ليس بعده تواضع .. يدعوكَ برقةٍ ورحمةٍ إلى زيارته هُوَ بالمدينة المنورة .. ولا يَكُنْ قصدُكَ زيارةَ مَسْجِدِهِ .. كما فَهَمَ الكثيرون ....

فالصلاة في مَسْجِدِهِ على نصف أَجرِ الصلاةِ بالمسجد الحرام .... أما بنية قصد زيارته ﷺ والتشرف بالسلام عليه .. فذاك أمرٌ آخر .. أهلاً بِكَ

صَيْفًا عَلَيْنَا ... وَالضَيْفُ مُكْرَمٌ .. وَنَحْنُ نُهَادِيكَ وَنُهِدِيكَ مِنْ عِنْدِنَا بِمَا لَا تَعْرِفُ وَلَا تُقَدِّرُ وَلَا تَحْتَسِبُ ...

وَأِنْ شِئْتَ الثَّوَابَ وَالْأَجْرَ الْمَعْدُودَ الْمَعْلُومَ .. فَجَوَارِكَ مَسْجِدَ قُبَاءَ ،  
الصَّلَاةُ فِيهِ بِعُمْرَةٍ .... فَمَا حَرَمْنَاكَ مِنْ ثَوَابِ عُمْرَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ... فَإِنْ  
قَصَدْتَهَا فَهِيَ عِنْدَنَا ... بِخِلَافِ تَرْحِينَا بِكَ ... وَهَدَايَانَا لَكَ ....

وَيَتْرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذَا الْأَمْرَ .. لَا يُوَضِّحُهُ الْوُضُوحَ الْكَافِي ..  
وَلَكِنْ يَتْرَكُهُ لِمَنْ يُحِبُّهُ ﷺ أَنْ يَسْتَجْلِيَهُ .. وَيَشْعُرَ بِهِ بِرُوحِهِ وَقَلْبِهِ ...  
وَيُعْظِمُ ﷺ شَعَائِرَ اللَّهِ تَعَالَى .. الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَمَا فِيهِ ..  
وَمَسْجِدَ قُبَاءَ ...

وَمِنْ أَخَذِ الْحَدِيثَ عَلَى ظَاهِرِهِ ... مَنَعَ النَّاسَ مِنْ زِيَارَةِ رَسُولِ  
اللَّهِ ﷺ بِدَعْوَى أَنَّ الصَّلَاةَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ لَا تَعْدِلُهَا صَلَاةٌ فِي مَسْجِدٍ  
آخَرَ ... بَلْ وَجَعَلُوا زِيَارَةَ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، إِنَّمَا هِيَ بَنِيَّةُ الصَّلَاةِ فِي مَسْجِدِهِ  
الشَّرِيفِ فَقَطْ !! وَلَيْسَتْ بَنِيَّةُ زِيَارَتِهِ ﷺ ...

بَلْ مِنْهُمْ مَنْ تَمَادَى فِي جَهْلِهِ فَمَنَعَ النِّسَاءَ مِنْ زِيَارَةِ الرُّوْضَةِ الشَّرِيفَةِ  
بِدَعْوَى أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَعَنَ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ !!! أَعَاذَنَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُمْ  
وَمِنْ شَرِّهِمْ وَجَهْلِهِمْ ...

لَفْتَةٌ بَسِيطَةٌ أَرَدْنَا أَنْ نَعْرِضَهَا لَكَ .. لِتَعِيدَ النَّظَرَ فِي أَحَادِيثِ رَسُولِ  
اللَّهِ ﷺ وَمَا تَحْتَوِيهِ مِنْ دَقَائِقٍ وَمَعَانٍ قَدْ تَخْفَى عَلَى الْكَثِيرِينَ ..

يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ زَارَنِي بِالْمَدِينَةِ مُحْتَسِبًا كُنْتُ لَهُ

شَهِيدًا وَشَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ " ، وهو حديث حسن ، رواه البيهقي عن " أنس " رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

والعجيب أن قول رسول الله ﷺ : " مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي " والذي رواه ابن عدي في الكامل وكذلك البيهقي في شعب الإيمان عن " أنس " رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قد عدّه العلماء في الأحاديث الضعيفة ...

وهذا موضوعٌ سوف نطرقه فيما بعد بإذنِ الله تعالى ..

فاذا عُذْنَا إِلَى كَلَامِنَا عَنْ الرِّسَالَةِ وَالنُّبُوءَةِ... فَإِنَّمَا نَعُودُ لِنُؤَكِّدَ أَنَّ كُلَّ مَا أُمِرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَبْلُغَهُ لِأُمَّتِهِ .. فَقَدْ أَبْلَغَهُ .. ، وتركنا على المَحَجَّةِ الْبِضَاءِ .. لِيُلْهَا كُنْهَارُهَا .. لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ .. ونحن على ذلك من الشاهدين... فجزى الله عنا رسوله خيرَ ما جازى نبيًّا عن أُمَّتِهِ ..

أَمَّا مَا فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَنْوَارِ النُّبُوءَةِ .. وَأَسْرَارِ اللَّهِ تَعَالَى .. فَهَذَا أَمْرٌ آخِرٌ .. خَاصٌّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ .. فَإِنْ أَشَارَ إِلَيْهِ .. أَوْ تَحَدَّثَ عَنْهُ .. أَوْ اخْتَصَّ بِهِ أَحَدًا دُونَ غَيْرِهِ .. فَهَذَا لَا يَقْدَحُ أَبَدًا فِي أَدَاءِ رِسَالَتِهِ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ ...

وَأَرْجُو أَلَّا يَظُنَّ النَّاسُ أَنَّ كُلَّ مَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ عِلْمٍ قَدْ أَبْلَغَهُ لِلْعَامَةِ أَوْ لِلْخَاصَّةِ ، فَهَذَا أَمْرٌ غَيْرُ وَارِدٍ ، لَا شَرْعًا وَلَا بَدَاهَةً كَمَا عَرَضْنَا لَهُ ....

وَقَدْ خُتِمَتِ النُّبُوءَةُ وَالرِّسَالَةُ بِمَبْعَثِهِ ﷺ ... فَلَا رَسُولَ بَعْدِهِ ، وَلَا

نبيّ بعده كما قال ﷺ في الأحاديث التي أوردناها من قبل .. فهو ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ....

غير أني أحب أن أشير إلى أمر هام في هذه القضية ....

ذلك أن الرسالة لها بداية ولها نهاية .... فبنزول الوحي على رسول الله ﷺ بدأت الرسالة .. وبانتهاء نزول الوحي عليه ﷺ وانتقاله إلى الرفيق الأعلى تمت الرسالة .. وقال تعالى : ﴿ أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ <sup>(١)</sup> ...

كَمُلَ الدِّينُ .. وَتَمَّتِ النُّعْمَةُ ... وَبُلِّغَتِ الرِّسَالَةُ .. وانقطع وحي السماء عن الأرض ، وَرَضِيَ اللَّهُ تعالى الإسلام ديناً لا يزيد ولا ينقص ولا يتبدل حتى يرث الله الأرض ومن عليها ....

فزمَن قِيَامِهِ ﷺ بأداء رسالته محدّدُ بدايةٍ ونهايةٍ .. وإن كانت الرسالة نفسها باقيةً إلى يوم الدين ...  
أما زمن النُّبُوَّةِ .. فأمرٌ مختلف ...

والحديث الذي ذكرناه منذ قليل وهو قول الرسول ﷺ " كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ " وكذلك قوله " كُنْتُ أَوَّلَ النَّاسِ فِي الْخَلْقِ وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ " وهما صحيحان كما ذكرنا ، يدلان دلالة واضحة على أن بداية النُّبُوَّةِ كانت قبل خلق سيدنا آدم عليه السلام ... وما كان قبل خلق آدم إلاّ الأرواح ....

---

(١) سورة المائدة آية : ٣ .

صلی اللہ علیہ وسلم

15

سی،

.۱۷

تعجب إن قلنا أن أنوار النبوة قد كست كذلك أرواح الأنبياء منذ ذلك الحين ... وكانت أشرفهم وأعلاهم .. وأرفعهم هي روح مولانا وسيدنا محمد ﷺ ... بل إنها كانت تمد بأنوارها العظيمة أرواح الأنبياء الآخرين .. وكانت لهم بمثابة الوالد المربي .. والأرواح منذ نشأتها كلها في البرزخ كما قلنا سابقاً ... درجاتها محددة .. وتروح وتجي وتزاور وتتانس ... وتتألف .. وتتألف .. كما قال ﷺ " الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف " حديث صحيح ، رواه الخمسة عن " عائشة " وعن " أبي هريرة " وعن " ابن مسعود " ... كما قال ﷺ " إن رُوحى المؤمنين تلتقى على مسيرة يومٍ وليلة ، وما رأى واحد منهم وجه صاحبه " رواه البخارى والطبرانى عن " ابن عمرو " ...

فالأرواح كما قلنا فى الباب السابق لا يحدّها زمان ولا مكان .. وقوانينها ونظامها تختلف عن قوانين ونظام عالم الملك ، الذى نعيش فيه بأجسامنا وحواسنا ...

إذاً فلا عجب أن تتصدّر روح سيدنا محمد ﷺ عالم الملكوت ... ولا عجب أن تتعرف على أرواح الأنبياء جميعاً .. وتعاملهم .. وتتألف معهم .. وتمدهم ... فإذا ما آن أوان ظهور هذا النبى أو ذاك على الأرض بجسده وروحه معاً .. فهو عارفٌ بمحمد ﷺ .. وروحه تستمد من روح محمد كما كانت فى عالم البرزخ ... وكلهم شهدوا لرسول الله ﷺ بالنبوة والرسالة ، من قبل أن يرسل ويبعث ﷺ إلى الخلق ...

فلما أراد الله تعالى لرسوله محمد ﷺ أن يظهر ويبعث فى

الأرض.. واجتمع الرُّوحُ الْمُحَمَّدِيُّ العَظِيمُ مع الجَسَدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ  
واكتملت الصورة الإنسانية في محمدٍ ﷺ ... حشر الله له جميع الأنبياءِ  
والمرسلين السابقين برسالاتهم .. وكان هو إمامهم وسيدهم في بيت  
المقدس وكانت صلاته بهم جميعاً .... ليكون هذا تقريراً واعترافاً منهم  
بإمامته لهم ...

وانظر كيف أخذ الله العهد على جميع الأنبياء والمرسلين أن  
يؤمنوا بمحمدٍ ورسالته ﷺ وهم سابقون عنه في بعثاتهم ....

يقول تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ  
كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ  
وَلَتَنْصُرُنَّهُ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۚ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ  
فَاشْهَدُوا ۚ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ ۝

فالدِّينُ عند الله هُوَ الإسلام ... وهو دينُ محمدٍ ﷺ الذي جاء  
به، و "إبراهيم" كان مسلماً ... ، و "يعقوب" كان مسلماً .. وبنوه كانوا  
مسلمين .. ، قبل بعثة محمد ﷺ .. ، وانظر الآيات الكريمة التي جاءت  
بهذا المعنى .. وما أكثرها في كتاب الله تعالى ..

أفلا يدلُّ كلُّ هذا على أنَّ بُبُوَّةَ محمدٍ ﷺ كانت سابقةً عن بعثة  
هؤلاء الرسل الكرام !! يدلُّلِ أنهم كانوا يعرفونه و يؤمنون به وهو ﷺ لم  
يُبْعَثْ بعد !! وطالما أنهم مؤمنون به ، فلا بُدَّ أن تكون روحه الشريفة كانت

---

(١) سورة آل عمران آية : ٨١ .

تُمدُّ جميع الأنبياء والمرسلين من قبل بعثته ﷺ .. وأنهم جميعاً كانوا على دينه وإسلامه !!!

وتأمل رحمك الله وإيانا الدقيقة اللطيفة التالية ....

يقول تعالى : ﴿ وَسَأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴾ (١) .

وكيف يسأل رسول الله محمد ﷺ الرسل السابقين ، وقد أفضوا إلى ربهم ، وانتقلوا إلى الدار الآخرة !!! وهو ما يزال يعيش على الأرض !!!

أليس هذا معناه أن لرسول الله ﷺ مع إخوانه من الأنبياء الرسل السابقين بعثة عنه .. علاقات ، كلاماً ، وحديثاً ، ومعايشةً أيضاً . !!!!  
أليست هذه علاقة أرواح .. وصلة أنوار .. وفيها من الأسرار ما قد يدرك وما قد لا يدرك . !!!

وما بشر الله تعالى نبي يأتي لاحقاً لنبي في حينه .. ، فما بشر آدم بنبوة نوح .. وما بشر نوحاً بنبوة ابراهيم .. وما بشر ابراهيم بنبوة موسى !!!  
ولكن الله تعالى قد بشر موسى وعيسى بنبوة محمد ﷺ .. وبينهما آلاف السنين .. وهل بشرهم به إلا ليؤمنوا به .. ويقولوا لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ... رغم أنهم سابقون عنه في البعثة إلى البشر .

---

(١) سورة الزخرف آية : ٤٥ .



يا أخى العزيز - رَحِمَكَ اللَّهُ وإيانا - نحن لم نتعسف فى شرح آية.. ، ولم نتجاوز المعانى الصريحة للأحاديث .. ، ولم نلجأ إلى رمزٍ ولا تأويلٍ .. ، بل إِنَّا لَمْ نَتَّقِدْ بِكَلَامٍ غَيْرِنَا مِنَ السَّائِقِينَ لِيَكُونَ حُجَّةً لَنَا أَوْ عَلَيْنَا .. ، بلْ إِنَّا نَخَاطِبُكَ بِالْمَنْطِقِ السَّهْلِ البسيط .. ، والمنطِقِ الْمُعْتَادِ .. ، وكلُّ أُسَاسٍ أَقْوَالُنَا وَاسْتِدْلالاتنا هِيَ آيَاتُ اللَّهِ تَعَالَى وَأَحَادِيثُ رَسُولِهِ ﷺ فى أبْسَطِ وَأَسْهَلِ مَفْهُومٍ لهما .. ، لا يَخْطِئُهُ الْمُسْلِمُ الْعَادَى .. ، فافتح عقلك وقلبك لكلامنا .. ولا تتقيدَ أَنْتَ أَيْضًا بِمَا يَكُونُ قَدْ سَبَقَ أَنْ قَرَأْتَهُ ، أَوْ سَمِعْتَهُ ، وَأَغْلَقْتَ عَلَيْهِ سَمْعَكَ وَعَقْلَكَ ، فكل كَلَامٍ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى يُوْخِذُ مِنْهُ .. ، وَيُرَدُّ عَلَيْهِ ... ، إِلَّا كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَحَادِيثَ رَسُولِهِ ، فَمَا لَنَا مِنْ دَلِيلٍ وَلَا مُرْشِدٍ سِوَاهُمَا .. ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ آيَةٍ مُخَالَفَةٍ لهما ، أَوْ شَطَطٍ عَنْهُمَا بِقَصْدٍ أَوْ بِغَيْرِ قَصْدٍ .. وَقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ شَرَّ الزَّلَّلِ وَالْبُهْتَانِ ...

ويجوز لنا أن نقول أَنَّ الرِّسَالَةَ السَّمَاوِيَّةَ بِأَنْوَارِهَا الَّتِي تَبْسُطُهَا عَلَى الْكَوْنِ .. ، وَتَعَالِيْمِهَا ، وَأَوَامِرِهَا ، وَنَوَاهِيهَا .. إِنَّمَا هِيَ مِنْ أَنْوَارِ تَجَلِّيَّاتِ اسْمِهِ تَعَالَى " الظَّاهِر " حَيْثُ بِهَا يَعِظُمُ النَّاسُ شُعَائِرُ اللَّهِ .. وَتُظْهَرُ عِبُودِيَّتُهُمْ لِحَالِقِهِمْ جَلَّ شَأْنُهُ ... أَمَّا النُّبُوَّةُ وَمَا فِيهَا مِنْ أَسْرَارٍ وَأَنْوَارٍ بَاطِنِيَّةٍ لِلنَّبِيِّ فَهِيَ مِنْ أَنْوَارِ تَجَلِّيَّاتِ اسْمِهِ تَعَالَى " الْبَاطِنِ " ...

وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ... ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَتَعَطَّلَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى فِى الْكَوْنِ أَبَدًا ، وَلَا أَنْ تَتَعَطَّلَ جَنُودُهَا ، وَأَنْوَارُهَا ، وَأَسْرَارُهَا ...

فَأَمَّا اسْتِمْرَارُ الرِّسَالَةِ وَالْأَوَامِرِ الْإِلَهِيةِ ، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَخْلُوَ الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ بِهَا ... وَلَا بُدَّ فِى كُلِّ عَصْرِ وَكُلِّ زَمَنِ أَنْ تَجِدَ مَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ

وينهى عن المنكر .. ،

وانظر إلى مؤمن آل فرعون ، وكان متخفياً ، ويدعو الناس إلى  
الايمان بالله .. ، بل إن امرأة فرعون في بيت فرعون نفسه .. كانت  
مؤمنة .. وحتى في أهل الفترات .. ، وهو ما بين الرُّسل ومبْعَثِهِمْ كانت  
الأرضُ لا تخلو من داعٍ إلى الله تعالى .. وإن لم يكن نبياً ولا رسول ... ،  
ويقول تعالى : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ  
بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

ويقول ﷺ " لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ  
اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ " وهو صحيح ، رواه الشيخان عن " المغيرة " ، وروى  
مثله الحاكم في مستدركه عن " عمر " .

فهؤلاء الفئة الظاهرة بأمر الله تعالى .. وحتى قيام الساعة هم حملة  
لواء الرسالة .. الداعون إلى الله تعالى وإلى سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ ... يقول  
ﷺ " أُمَّتِي أُمَّةٌ مُبَارَكَةٌ لَا يُدْرَى أَوَّلُهَا خَيْرٌ أَوْ آخِرُهَا " وهو حسن رواه ابن  
عساكر عن " عمرو بن عثمان " مرسلًا ...

ويقول " يُذَرِّكَنَّ الدَّجَالَ قَوْمًا ، مِثْلَكُمْ أَوْ خَيْرًا مِنْكُمْ " وهو  
صحيح ، رواه الحاكم في مستدركه عن " جبير بن نفير " ..

ويقول ﷺ " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ : اللَّهُ ..  
اللَّهُ " وهو صحيح ، رواه أحمد ومسلم والترمذي عن " أنس " ...

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٤ .

هذا أمرُ الرِّسالة ، واستمرارها حتى قيام الساعة ...  
والرِّسالة يلزمها النُّبوءة .. فلا رسول بغير نُبوءة .. والرِّسالة ظاهرة ..  
والنُّبوءة باطنة .. والرسول ﷺ ختم الرِّسالة وختم النُّبوءة .. وهو آخر  
الأنبياء والمرسلين .. فلا رسول بعده ولا نبي بعده ...

فإذا كانت أنوارُ الله الظاهرة في الرِّسالة يسرُّ اسمه تعالى  
الظاهر ، مستمرة في الخلق إلى قيام الساعة .. فبالضرورة أن تستمر الأنوار  
الباطنية للنُّبوءة كذلك حتى قيام الساعة ...

وإذا كان الله تعالى قد قضى أن تنتهي الرِّسالة .. ثم تستمر في صورة  
الدَّاعين إلى الله بها ، وهم ليسوا رسلاً بل دعاة بدعوة الرسول ﷺ ..

فكذلك تنتهي النُّبوءة بمحمد ﷺ .. ولكن تستمر أنوارها أو قل  
بعض أنوارها في قوم من أتباع محمد ﷺ .. ، وهم ليسوا بأنبياء .. ولكنهم  
يرثون بعضاً من أنوار النُّبوءة .. وهم ما يطلق عليهم مسمى الأولياء...

يقول ﷺ " ذَهَبَتِ النُّبُوءَةُ وَبَقِيَتِ الْمُبَشِّرَاتُ " وقد سبق ذكره في  
الباب السابق ، وهو صحيح ... وذكر أن الرؤية الصادقة جزء من النُّبوءة ...

ويقول ﷺ " التَّوَدُّةُ وَالْاِقْتِصَادُ وَالسَّمْتُ الْحَسَنُ جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ  
وَعِشْرِينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوءَةِ " وهو حسن ، رواه الطبراني عن " عبد الله بن  
سرجس "

ويقول عليه الصلاة والسلام " مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَاسْتَحَفَّظَهُ فَقَدْ  
اسْتَدْرَجَ النُّبُوءَةَ بَيْنَ جَنْبَيْهِ "

وبساطة شديدة نلاحظ أن النبوة وإن كانت قد خُتِمتُ بمحمدٍ ﷺ إلا أن بعض أنوارها مازالت ساريةً في خواصٍّ أُمّته... العلماء بالله تعالى ... الوارثون لنوره ﷺ ....

فإنه ﷺ كما أمدَّ الأنبياءَ بأنوارِ روحه قبل بعثته .. فإنَّ روحه الطاهرة مازالت تُمدُّ الأولياء من أُمّتهِ بالأنوارِ والأسرار بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى .. فالروح لا تموت ... ولا تتغير .. بل تزدادُ نُوراً ، ومعرفةً ، وإيماناً ، وقوةً ..

فهذا ميراثه ﷺ .. يوزع على أتباعه المخلصين المخلصين ..  
وقد سأل سيدنا زكريا عليه السلام رَبَّهُ أَنْ يَرْزُقَهُ الْوَلَدَ .. لِيَرِيَّهُ .. ،  
وَيَرِثَ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ، وما كان في آلِ يَعْقُوبَ ولا زَكْرِيَّا إِلَّا الْنُّبُوَّةُ ...  
وهؤلاء الخواصُّ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِينَ يُشَعُّ عَلَيْهِمْ أَنْوَارُ  
نُبُوَّتِهِ .. لَا بُدَّ وَأَنْ تُصَلِّهُمْ بَعْضُ الْأَسْرَارِ الْإِلَهِيةِ .. والأنوار السامية من روح  
رسول الله ، عليه أفضل الصلاة والسلام .. وكلُّ على قدره ... هم أهل  
الإحسان .. وهم الْمُقَرَّبُونَ .. وهم الْأَبْرَار .. وهم الْمُتَّقُونَ ..

وما لنا نُضَيِّقُ على أنفسنا المعنى المراد .. وهو أوسع من ذلك وأعظم !!!  
ويقول تعالى : ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا

﴿ ٤٥ ﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿ ٤٦ ﴾ 》<sup>(١)</sup>

(١) سورة الأحزاب آية : ٤٥-٤٦ .

ويقول: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (١).

فيصفُ الله تعالى رسوله في الآية الأولى بأنه السَّراجُ المنير ، وفي الآية الثَّانِيَةِ يشير إلى نوره ﷺ ، وإلى الكتابِ المبين الذي هو القرآن .. كلاهما نُورٌ مِنَ اللَّهِ ... محمدٌ ﷺ بأنوار نبوته ... والقرآنُ العظيمُ بأنوارِ رِسَالَتِهِ .. فافهم رحمك الله ...

ويقول تعالى : ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ﴾ (٢).

ويقول سبحانه : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ (٣) الَّذِي يَرِنُكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿٢١٩﴾ .

فرسول الله ﷺ " يؤمن بالله ... ويؤمن للمؤمنين " .. أى أن إيمان المؤمنين مستمدٌ من إيمانه ﷺ .. فكلُّ من يؤمن به رسولاً ونبيّاً ينال حظّه من إيمانِ روحه العظيم التى هى الأصلُ فى الإيمانِ ...

ولتتأكد من هذا المعنى انظر إلى قوله تعالى أَنَّهُ يَرَاهُ ﷺ حِينَ يَقُومُ اللَّيْلَ عَابِداً .. ذاكراً لله .... هذه واحدة .. والثانية أن الله تعالى

(٢) سورة التوبة آية : ٦١ .

(١) سورة المائدة آية : ١٥ .

(٣) سورة الشعراء آية : ٢١٧-٢١٩ .

أَيْضاً يَرَاهُ بِنُورِهِ وَنُورَ هِدَايِهِ مُتَقَلِّباً فِي كُلِّ سَاجِدٍ وَعَابِدٍ ...

فَكُلُّ عَابِدٍ وَسَاجِدٍ وَرَاكِعٍ .. ، مَا عَبْدَ اللَّهَ تَعَالَى .. ، وَمَا سَجَدَ لَهُ ، وَمَا رَكَعَ لَهُ ، إِلَّا بِسِرِّيَانِ نُورِ إِيْمَانٍ مُحَمَّدٍ ﷺ ، مِنْ مُحَمَّدٍ إِلَى قَلْبِهِ .. ، إِلَى جَوَارِحِهِ .. !!!

وَمَا لَكَ تَعْجَبُ مِنْ هَذَا الْإِيْضَاحِ وَالرَّسُولِ ﷺ يَقُولُ " إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي فِي ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِّ فِي الْعُرُوقِ " .. وَطَبْعاً لَا يَجْرِي إِبْلِيسُ إِلَّا بِالْغَوَايَةِ وَالشَّرِّ ...

وَيَقُولُ تَعَالَى : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ <sup>(١)</sup>

وَيَقُولُ : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ﴾ <sup>(٢)</sup> فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿

أَلَا تَرَى مَعِيَ أَنَّ الْمِيزَانَ فِي ابْنِ آدَمَ لَا يَتَّعَدِلُ إِلَّا إِذَا سَرَى فِيهِ نُورُ الْهِدَايَةِ أَيْضاً فِي الدَّمِّ وَالْعُرُوقِ . !!! ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الْقَلْبِ أَنْ يُصَفَّى وَيُنْقَى وَيُطَهَّرَ وَيُفْصَلَ هَذَا عَنْ ذَاكَ ، ثُمَّ يَخْتَارُ مَا يُهَيِّئُهُ اللَّهُ لَهُ مِنْ خَيْرٍ .. أَوْ غَيْرِهِ ... ثُمَّ الْجَوَارِحُ تُنْفَذُ الْأُؤَامِرَ . !!

وَمِنْ أَوَّلَى بِمُحَمَّدٍ .. وَنُورِ مُحَمَّدٍ .. وَهَدَى مُحَمَّدٍ بِالسَّرِّيَانِ فِي الْعُرُوقِ وَالِدِّمَاءِ ، بِالنُّورِ وَالْهُدَى ، لِوُجْهِهِ إِبْلِيسَ وَأَعْوَانِهِ ، فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ !!!

أَلَا يُوَافِقُ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْحَجَرَاتِ :

(٢) سورة الشمس : ٧-٨ .

(١) سورة البلد آية : ١٠ .

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ ..!! أى يسرى بالهداية فيكم . !!

وما قولك .. وماذا تفهم من قول الله تعالى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ <sup>(١)</sup> .. وما الفرق بين رسول من أنفسكم وبين رسول منكم !!!!..

وكما سبقت الإشارة إلى قوله تعالى : ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ .... وما المقصود بنحن !!! وأين هو حبل الوريد من القلب والنفس !!!

ومقصود كلامنا كله .. ونحن نقوله بحذرٍ شديدٍ .. وحرصٍ أشد .. أن أنوار نبوة رسول الله ﷺ هي السارية بالهداية فينا وحتى يوم القيامة ... وكل مؤمن يأخذ على قدره ، ما بين العامة والخاصة من أمته عليه الصلاة والسلام ... فنور روحه أمدت الأنبياء السابقين عنه بعنة ورسالة ... ونور روحه هو الساري أيضاً بالهداية فينا وفي اللاحقين من بعده....

فروح رسول الله ﷺ .. هي الروح الأعظم التي استنارت بنور الله تعالى .. وهي مهبط أسرار الله .. وكثر أنوار معرفته جل شأه ... فأمدت بأنوارها وأسرارها كل سابق أو لاحق .... وكانت ذائمه البشرية الشريفة .. هي الذات الكاملة خلقاً وخلقاً ..

---

(١) سورة التوبة آية : ١٢٨ .

وَجَمَالاً وَكَمَالاً وَجَلَالاً ... وَمَا فِيهَا لِلشَّيْطَانِ حِظٌّ وَلَا نَصِيبٌ ، حَيْثُ شَرَحَ  
اللَّهُ صَدْرَهُ .. ، وَوَضَعَ عَنْهُ وِزْرَهُ .. ، وَأَعْلَى لَهُ قَدْرُهُ ...

وعندما انْتَفَتِ الرُّوحُ الْمُحَمَّدِيَّةُ الْعَالِيَةُ بِالْجَسَدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ ..  
كَانَ الْكَمَالُ كُلُّهُ فِي الْخَلْقَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ... ، وَكَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ النَّبِيُّ  
الرَّسُولُ .. ، الْبَشَرِيُّ ، الرُّوحَانِيُّ ، هُوَ الصُّورَةُ الْمُثَلَّى لِلْإِنْسَانِ ، وَالْبَشَرِيَّةُ ،  
وَالنَّبَوَّةُ ، وَالرِّسَالَةُ ... ، فَاسْتَحَقَّ بِذَلِكَ الْخِلَافَةَ الْحَقَّةَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى فِي  
الْكُونِ .. ، بَيْنَمَا خِلَافَةُ غَيْرِهِ نَاقِصَةٌ .. ، وَهُوَ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ .. ، وَإِمَامُ  
الْمُرْسَلِينَ .. ، وَأَعْرَفَ الْخَلْقِ بِرَبِّهِ .. فَهُوَ ﷺ الْعَبْدُ .. ، النَّبِيُّ .. ،  
الرَّسُولُ .. الْكَامِلُ .....

وَإِذَا كُنَّا نَحْنُ الْبَشَرُ جَمِيعًا نَدِينُ لِأَيُّنَا آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأُبُوتِهِ لَنَا  
جَسَدًا وَمَادَةً وَبَشَرِيَّةً .. أَفَلَا نَدِينُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ بِأُبُوتِهِ الرُّوحِيَّةَ لَنَا !!!  
فَإِذَا كَانَتْ رُوحُهُ ﷺ هِيَ الَّتِي تُمِدُّ أَرْوَاحَنَا بِالْهُدَايَةِ وَالنُّورِ ، أَفَلَا يَكُونُ  
هُوَ الْأَبُ الرُّوحِيُّ لِلْخَلْقِ جَمِيعًا ...

وما معنى قوله تعالى : ﴿ اَلنَّبِيُّ اَوَّلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ اَنْفُسِهِمْ <sup>ط</sup>  
وَاَزْوَاجُهُمْ اُمَمَاتُهُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> ... فَإِذَا كَانَ أَزْوَاجُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ صَيَّرَهُنَّ  
اللَّهُ أُمَّهَاتِنَا .. أَفَلَا يَكُونُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبُونَا وَوَلِيُّنَا الرُّوحِيُّ .

يقول ﷺ " أَنَا أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ، فَمَنْ تُوَفِّيَ مِنَ  
الْمُؤْمِنِينَ فَتَرَكَ دِينًا فَعَلَىٰ قَضَائِهِ ، وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَهُوَ لِوَرَثَتِهِ " وهو صحيح ،

(١) سورة الأحزاب آية : ٦ .



رواه الخمسة عن " أبي هريرة " (والخمسة هم البخاري ومسلم وأحمد والنسائي وابن ماجه) .

أما قوله تعالى في نفس سورة الأحزاب : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (١) .

فآيات هنا تتحدث عن الأبوّة الماديّة بالمصاهرة والنسب ، وتنفي هذه البُؤوة عن المُتَّبَيِّ ، كما هو معروف في قصّة سيدنا " زيد " ، حيث كانت العرب تعتبر التَّبَيِّ مِثْلَ النَّسَبِ ، فتقولُ زيد بن محمد ، وتُحَرِّمُ مِنْهُ مَا يَحَرِّمُ مِنَ النَّسَبِ الْحَقِيقِيِّ ، فأراد الله تعالى أن يُبْطِلَ هَذِهِ الْعَادَةَ الْجَاهِلِيَّةَ .. ، ونفي هذا النَّسَبِ الْمُدَّعَى ، وَقَالَ : ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ .. وَمَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ... فهذه قضية أخرى.. فلا يحتجّ بها أحدٌ علينا عن جهلٍ منه أو لغرضٍ في نفسه ... فنحن لانتحدث عن بشرية رسول الله ﷺ .. ولكننا نتحدث عن نبوته وروحانيته عليه الصلاة والسلام.

وفي هذا القدر كفاية لمن أدركته العناية ... وما قلنا في حقّه ﷺ إلا أقلّ القليل .. وما قلنا إلا أنه عبدُ الله ورسوله ﷺ ...

والأبوّة الرُّوحِيَّةُ تستلزم مَنَّا الْبِرَّ .. والمحبة .. والتعظيم لجنابه ﷺ ... وفي هذا البر والمحبة والتعظيم سرٌّ كبيرٌ يعود بنفعه علينا... فإنك

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٤٠ .

على قدر برك بأبيك وحُبك له وتعظيمك لحضرته واقترابك منه .. يكون  
استمدادك من أسرارهِ وأنوارهِ .. والأرواح لاتجتمع إلاَّ بالمحبة .. ولا تسقى  
بعضها البعض إلا بالتألف والموودة .. وبالتألف والموودة والاجتماع يحدث  
بعض التجانس والتشابه وتزداد المحبة .. فيسرى النور بين الأرواح بالهدى  
والإيمان .. وكلما اقتربت روحك من روح رسول الله ﷺ كلما نهلت من  
مشربه .. وفزت بنواله وهداياه .. فاستنارت روحك بنور معرفة روحه بالله  
تعالى .. فاقتربت به ﷺ إلى الله تعالى ...

فمحراب الأرواح كلها .. هو روح رسول الله ﷺ ، فمنتهى سير  
الأرواح إلى روحه العلية .. ومنها إلى الله تعالى ...

تماماً كما أنك لاتعبد الله تعالى إلا بشريعته وسنة رسوله ﷺ  
ولاتصح لك عبادة إلا بما جاء به محمد من ربه .. وبينه .. وأوضحه  
لنا .... كذلك لا يصح لك إيمان بالله تعالى إلا إذا ارتبطت روحك بروحه  
ﷺ وأخذت من إيمانها وأنوارها ....

أو بمعنى أدق .. أن يكون ظاهرك مع ظاهر رسول الله ، وكذلك  
باطنك مع باطنه ﷺ ...

وما في روحه عليه الصلاة والسلام إلا الإيمان الكامل .. والأنوار  
الإلهية ... والأسرار السماوية .

يقول ﷺ " خرجت من باب الجنة ، فأثيت الميزان ، فوضعت  
في كفة وأمتى في كفة ، فرجحت بالأمة ، ثم وضع أبو بكر مكانى فرجح  
بالأمة ، ثم وضع عمر مكان أبى بكر فرجح بالأمة " رواه البخارى فى

فضائل أصحاب النبي ، وكذلك أحمد في مسنده ...

وتأمل هذه المعاني ... ميزان " عمر بن الخطاب " رجح بالامة كلها... وميزان " أبي بكر " .. رجح بالامة وبعمر .. ، وميزان رسول الله ﷺ رجح بالجميع !!!

يقول تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١) ، يمدح الله سيدنا إبراهيم عليه السلام بأنه كان أُمَّةً وَحْدَهُ ...

فإذا كان " عمر بن الخطاب " يفوق الأُمَّةَ بأسرها .. فكيف بأبي بكر الصديق .. وكيف برسول الله ﷺ !!!

ولعل قولنا أن روح رسول الله ﷺ هي الروح الأعظم يستلزم بعض الإيضاح ... فنشير إشارةً بسيطةً إلى نور روح محمد ﷺ .

---

(١) سورة النحل آية : ١٢٠ .

## • الأنوار المحمدية :

سبق القول بأنَّ النور هو وسيلة معرفة وإدراك الموجودات ،  
فكلُّ وسيلة إدراكٍ من بصرٍ وبصيرةٍ وعقلٍ وغيرهم لها نور من جنسها .. ،  
واللَّه سبحانه وتعالى أطلق اسم النور على كُلِّ أمرٍ يَهْدِي إلى الحق  
والصواب ... بل إنَّ نتيجة أعمال البرِّ والتقوى تكون لصاحبها نوراً  
وهدياً ... والضُّدُّ وهو الظلام ، قد أطلقه الله تعالى على كل عملٍ لا يرضاه  
جَلَّ شأنُهُ ...

فالذين آمنوا لهم أنوارٌ تسعى بين أيديهم وبأيامانهم ، ويقولون ربَّنَا  
أتمم لنا نورنا ... والذين كفروا في ظلماتٍ بعضها فوق بعض ... والمؤمن  
بصيرٌ والكافر أعمى .. واللَّه سبحانه وتعالى ينزِّلُ آياته وكتبه ورسله ليخرجنا  
من الظلمات إلى النور .. ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور...

وكلُّ معرفةٍ .. وهدي .. وإدراكٍ .. مردُّها في النهاية ومرجعها إلى  
الله تعالى ... فهو سبحانه خالقُ البَصْرِ والبصيرة والإدراكِ والعقلِ  
والمنطقِ .. والهدى والإيمان والأنبياء والرُّسل .. فهو سبحانه أعطى كل  
شيء خلقه ثُمَّ هَدَى ، وكما قلنا من قبل أن انبساط النور على الموجودات  
هو وسيلة معرفة وجودها .. وبدونه تكون كالعدم .. فلا تُرى ولا تُدرك ...

ثم يقول الله تعالى :

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ .. ومن أسمائه الحسنَى  
" النُّور " ... فإن قلنا أنه لا يُعرَفُ الله تعالى إلا باللَّه جَلَّ شأنُهُ ..

ولا يستطيع مخلوق أن يعرف الله تعالى إلا بنور الله فيه وإليه .. ولذلك  
فمن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .. فما قلنا إلا الحق والصواب ....  
وقول رسول الله ﷺ " إِنَّ أَنْفَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا " كما رواه  
البخارى ... يؤكد أنه ما من مخلوق في الكون كان نصيبه من النور  
الإلهي مثل محمد ﷺ ...

وقد سبق إيضاح أن روحه ﷺ هي الروح الأعظم التي كان لها  
النصيب الأوفى من نور الله تعالى ... ومنها أخذ كل كائن حظه وقدره ..  
يقول ﷺ " إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ فِي ظُلْمَةٍ ، فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ  
نُورِهِ ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ يَوْمِيذٍ اهْتَدَى ، وَمَنْ أَخْطَاهُ ضَلَّ " ، وهو  
صحيح ، رواه أحمد والترمذي والحاكم عن " ابن عمرو " ..

لذلك يقول ﷺ " السَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ  
فِي بَطْنِ أُمِّهِ " ، وهو صحيح ، رواه الطبراني عن " أبي هريرة " .

فقد سبقت الهداية من الله تعالى منذ الأزل .. ، فريق في الجنة ،  
وفريق في السعير ، وبهذا النور تعارفت الأرواح وتآلفت .. وتحابَّت  
 واجتمعت مع بعضها البعض .. وعرفت كل روح أحبابها .. وأتباعها ..  
ودرجتها وموضعها في البرزخ كما أسلفنا ...

ولاشك أن النصيب الأوفى من النور الإلهي كان للأنبياء عليهم  
السلام .. وكل على قدره .. وأعلاهم وأوفرهم وإمامهم مولانا وسيّدنا رسول  
الله صلى الله عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ....

وقد قلنا من قبل أن نور الروح قد يُحجَّبُ بِحُجْبِ النفس

وغيرها ، عندما نزلت الروح إلى الجسد ... وقلنا أن بعض هذه الحجب  
ظلمانية كونية .. وبعضها نورانية ...

ولكنَّ الأمرَ يَخْتَلِفُ إلى حدٍ كبيرٍ مع الأنبياءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ  
والسَّلَام... ذلكَ أنَّ نفوسهم نبويَّةٌ خالصةٌ لله تعالى ، لا فيها شهوةٌ دنيويَّةٌ  
ولا هوى... ولا للشيطان عليهم من سبيل ، فإنهم معصومون قبل البعثة  
وبعدها ...

لذلك فإن نورَ أرواحهم لا يُحجَبُ كثيرًا عما قد كان  
عليه .. اللهمَّ إلاَّ بمقدار ما تقتضيه بشريَّتهم التي هم فيها .. ذلكَ لأنَّه كما  
قلنا أيضًا أنَّ للبشريَّةَ ، والماديَّةَ الجسديَّةَ طاقاتها التي تتحمل بها أنوار  
الروح ...

لذلك عندما طلب سيدنا موسى عليه السلام الرؤيا .. قال له رَبُّهُ "   
لنْ تَرَانِي " فإن البشريَّةَ لاتتحمل هذا .. والدليل أن الجبلَ الراسِخَ القوي ،  
دُكَّ دَكًّا ، عندما تجلَّى رَبُّهُ له .. بل وخرَّ موسى صِعْقًا .

أما كلام الله تعالى لموسى ، فقد كان بتجهيز خاص له عليه الصَّلَاةُ  
والسَّلَام .. ، وكذلك ما حدث في الإسراءِ والمعراج لرسولنا ﷺ .. وقد  
سبقَت الإشارةُ إلى ذلك ... ومقصودنا باختصارٍ أن أنوارِ أرواحِ الأنبياء تكون  
غالبةً عليهم وهم في الصورة البشريَّةَ ، أما اذا كانت النَّفْسُ البشريَّةَ كامِلَةً  
مُكَمَّلَةً مِنْ رَبِّ العالمين ... كمالاً لا مزيدَ عَلَيْهِ كما كانت ذات محمد ﷺ ..  
فالحجاب هنا لا يكون أصلاً ، اللهمَّ إلاَّ على قدرٍ ما تسمح الطاقة البشريَّةُ  
بتحملة من الروح وأنوارها ... ، والطاقة البشريَّةُ هنا تفوق غيرها بكثير ...

ورغم هذا فعندما كان ينزل الوحيُّ على رسول الله ﷺ فإنه كان يجهد جهداً شديداً كما هو معروف ....

بينما كان رسول الله ﷺ .. وهو في حياته البشرية العادية .. ، قد يرى الجنة ، ويرى النار .. ، ويرى الملائكة .. ، ويرى الحور العين ....

يقول ﷺ " دَخَلْتُ الْجَنَّةَ الْبَارِحَةَ فَتَنَظَرْتُ فِيهَا فَإِذَا جَعْفَرُ يَطِيرُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ ، وَإِذَا حَمْرَةَ مُتَكِيٌّ عَلَى سُرِيرٍ " ، حديث صحيح ، رواه الحاكم والطبراني عن " ابن عباس "

وقال " دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْفَةً بَيْنَ يَدَيَّ ، قُلْتُ مَا هَذِهِ الْخَشْفَةُ ؟ .. فَقِيلَ هَذَا بِلَالٌ يَمْشِي أَمَامَكَ " وهو صحيح ، رواه الطبراني عن " أبي أمامة " ...

ويقول ﷺ " عُرِضَتْ عَلَيَّ أُمَّتِي الْبَارِحَةَ لَدَى هَذِهِ الْحُجْرَةِ حَتَّى لَأَنَا أَعْرِفُ بِالرَّجُلِ مِنْهُمْ مَنْ أَحَدِكُمْ بِصَاحِبِهِ صُورُوا لِي فِي الطِّينِ " ، وهو صحيح ، رواه الطبراني عن " حذيفة بن أسيد " .

والأحاديث النبوية كثيرة في هذا الشأن ...

وطالما أن الروح المحمدية أنوار تتلألأ .. والذات المحمدية نيرة بطبيعتها .. فان سُكنى الروح المحمدية في الذات المحمدية لا تكون إلا نوراً على نور ... نور إلهي خالص .. ونور محمدي .. والكل من نور الله تعالى كما أسلفنا ....

ولفتة دقيقة نذكرها هنا ....

ذلك أن الشدة التي تعرّض لها رسول الله ﷺ في سكرات الموت ،

حتى تقول السيدة " فاطمة الزهراء " رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا " واكرب أبتاه " ...  
هذه الشدة والكرب والمعاناة ما كانت إلا لشدة حب روح رسول الله ﷺ  
لجسده الشريف الطاهر المُطَهَّر .. وكذلك لشدة تعلق جسده الشريف  
بروحه العالية ...

وَمَنْ عَبْدَ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا عَبْدَهُ رَسُولُ اللَّهِ !!! ومن قام بجميع  
أوجه البر والتقوى كما قام بها رسول الله ﷺ !!! ، لذلك صعب على  
الروح أن تُفارق هذا الجسد النير !!!

وقد كان آخر ما تكلم به ﷺ " جَلالَ رَبِّي الرَّفيع . فقد بلغت "   
وكانه ﷺ خير .. فاختار الله تعالى ولقاءه ... وهو صحيح ، رواه الحاكم عن  
" أنس " ...

انظر إلى قول الله تعالى ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ  
نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا  
كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ  
يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ  
لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ  
عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ (١).

نور الذات المحمدية الطاهرة الكاملة جمالاً وجلالاً وكمالاً .. ونور

---

(١) سورة النور آية : ٣٥ .



الروح النبوي المبارك .. والنور كله من الله تعالى .. فالوحي والقرآن من أنواره ثميد النبوة بالنور ... وكله ﷺ نور على نور ...

ذكر القرطبي في تفسيره لهذه الآية المباركة ، قول "ابن عمر" رضي الله عنهما أن المشكاة هو خوف محمد ﷺ ، والزجاجة قلبه ، والمصباح النور الذي جعله الله في قلبه ، يوقد من شجرة مباركة وهي أصله سيدنا إبراهيم عليه السلام .. ، لشرقية ولاغربية .. ، أي لامسيحية ولايهودية .. بل حنيفاً مسلماً ... ، يكاد زيتها يضيئ أي من محاسن محمد ﷺ .

ويذكر "القرطبي" أيضاً قول "كعب الأحبار" و "ابن جبير" أن مثل نوره .. يعود الضمير على محمد ﷺ .. ورسول الله هو المشكاة ، والمصباح هو النبوة وأعمالها وهداها ، والزجاجة هي قلبه ، والشجرة المباركة هي الوحي ... والزيت هو الحجج والبراهين ....

وأيًا كانت التفاسير فهي لا تزيد عن إجتهدات مشكورة من ساداتنا العلماء رضي الله عنهم ...

وخلاصة كل قول هي أن رسول الله ﷺ هو نور على نور ... وحتى كمال بشريته ﷺ لم تكن لنبي قبله ...

وقد كانت "السيدة أم سليم" وهي أم "أنس بن مالك" ، تجمع العرق من جبين رسول الله ﷺ في قارورة وتطيب به .. وكان ريحها أطيب من أطيب ريح مسك ... ، وتقول أم المؤمنين "عائشة" رضي الله عنها أنها كانت تجلس مع رسول الله ﷺ ليلاً ، وهي تخط ثوباً فسقط منها المخطط .. قالت : فالتقطته على نور وجه رسول الله ﷺ ...

يقول ﷺ " مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَزَيَّ " ، صحيح ، للبخارى ومسلم عن " أبي قتادة " .

ويقول ﷺ " مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ " ، صحيح ، رواه البخارى والترمذى وأحمد عن " أنس " .

وهذه بشرى عظيمة من رسول الله ﷺ فَإِنَّ مَنْ تَشَرَّفَ بِرُؤْيَيْهِ فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَهُ حَقًّا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .. وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِهِ ﷺ ...

ولماذا لَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِرَسُولِ اللَّهِ !!! لعل الاجابة هينة ... فرسول الله ﷺ هُوَ النُّورُ الذَّاتِيُّ .. وفيه النُّورُ الْإِلَهِيُّ كَمَا أَسْلَفْنَا .. فكيف لِأَصْلِ الضَّلَالِ وَالظَّلَامِ ، وهو إبليس أَنْ يَتَمَثَّلَ فِي صُورَةِ النُّورِ !! لَا يَجْتَمِعُ الضُّدَّانِ أَبَدًا وَلَا يَسْتَطِيعُ الشَّيْطَانُ ... عنوان الضَّلَالِ وَالظَّلَامِ أَنْ يَتَمَثَّلَ فِي صُورَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، عنوان النُّورِ وَأَصْلِ الْهَدَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ عَلَى الْكَوْنِ كُلِّهِ ....

ولاداعي لِلتَّعَرُّضِ لِتَعَسُّفِ الْبَعْضِ ، الَّذِينَ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لِهَذِهِ الرَّؤْيَةِ ، سواءً لِلرَّائِي أَوْ لَصُورَتِهِ ﷺ ، حيثُ أَنْ بَعْضُهُمْ اشْتَرَطَ أَنْ تَكُونَ الصُّورَةُ الْمَحْمُودِيَّةُ ، هِيَ بِالْحَلِيَّةِ الْمَحْمُودِيَّةِ .. أَيْ بِالصُّورَةِ الْحَقِيقِيَّةِ الْبَشَرِيَّةِ لِرَسُولِ اللَّهِ !!!

وهذا وَإِنْ كَانَ مِنْ زِيَادَةِ حِرْصِهِمْ ، عَلَى الْأَيْدِي النَّاسِ رُؤْيَيْهِ ﷺ دون تحقق .. إِلَّا أَنَّا نَقُولُ وَمَنْ مِنَّا فِي هَذَا الْعَصْرِ يَعْرِفُ الْحَلِيَّةَ الْمَحْمُودِيَّةَ .. أَوْ يَعْرِفُ مَلَاحِجَ وَجْهِهِ الشَّرِيفِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ !!! وَمِنْ مِنَ الرَّائِينَ الَّذِينَ يَكْرَهُهُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِهَذِهِ الرَّؤْيَةِ الْعَظِيمَةِ ، يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَأَمَّلَ مَلِيًّا فِي نُورِ وَجْهِهِ ﷺ حَتَّى يَعْرِفَ حَلِيَّتَهُ !!!

يقول " عمرو بن العاص " : " ما كنت أطيعُ أن أملاً عيني منه  
إجلالاً، ولو سُئِلْتُ أن أصفه ما أطقْتُ " .

وما كان ينظرُ إلى وجهه الشريف غير "أبي بكرٍ و عمرَ " وبعضُ خاصّةِ  
الصّحابةِ عليهم رضوانُ الله .

ربما كان هذا الشرط يصلح للصحابة أو التابعين رَضِيَ الله  
عنهم ، الذين كانوا يعرفون الوصف الشريف جيّداً .. أما القرونُ التي  
تلت ، فلا أظن أن هذا الشرط يلزمهم ...

كما أننا سبق أن قلنا أن الرؤية قد يعتريها بعضُ عدم الوُضوح ، نظراً  
لعدم شفافية الرائي وصلاحه بالدرجة الكافية .. ، إنّما تأتي الرؤيا كفلقِ  
الصُّبحِ ، حين تكونُ جزءاً من ستة وأربعين جزءاً من النبوة .. ، أمّا غيرها  
فكثيراً ما يلزمها تأويل ...

غير أننا نطمئن المتشددّين في هذا الأمر فنقول أن رؤيته ﷺ مناماً  
ترك في الروح والنفس آثاراً روحيةً ونورانيةً ، تظهرُ على صاحبها وتؤثّر فيه  
بحيث لا تدعُ مجالاً للشك في الرؤيا .. وهذا أمر مُشاهدٌ ومشهورٌ ، وليس  
برأيّنا نحنُ فقط والحمدُ لله .....

وارجع إلى كُتب السيرة لتقرأ الكثير عن مُثل هذه الأوصاف الكريمة ..

فإذا تحدّثنا عن الأنوار المعنوية لرسول الله ﷺ ، فيجب أن نتنبّه  
إلى نورانيته في أقواله التي كان يهدي بها خلق الله تعالى ... وهي على  
ثلاثة أقسام ...

## أولاً : القرآن الكريم

وهو كما أسلفنا كلام الله القديم .. وفيه نور الله القديم ، وهو  
يتنزلُ من الله تعالى بأنواره .. وآياته .. وكلماته .. ومعانيه ..

يقول ﷺ " أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِأَلْفَى عَامٍ وَهُوَ عِنْدَ الْعَرْشِ وَأَنَّهُ أُنْزِلَ مِنْهُ آيَاتِنِ  
خَتَمَ يَهُمَا سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، وَلَا يُقْرَأُ فِي دَارٍ ثَلَاثَ لَيَالٍ ، فَيَقْرُبُهَا الشَّيْطَانُ "   
وهو حسنٌ ، رواه الترمذى والنسائى عن " النعمان بن بشير " .

فكلام الله ونوره .. يخرج من رسول الله ﷺ على ما هو عليه ..  
مكتسباً بحال روحه ، وقت نزول القرآن ما بين قبضٍ ، وبسطٍ ، وهيبةٍ ،  
وخوفٍ ، ورجاءٍ ، وشكرٍ ، وحالاتٍ أخرى لروحه ﷺ ...  
فالقرآن هو كلامُ الله .. ونورُ الله .. وكلماتُ الله ، وليس لرسول  
الله فيه إلا بعضُ أنوارِ حاله الروحى وقت نزولِ الوحي ...

## الثانى : الحديث القدسى :

وهو من نور كلام الله تعالى النازل على روح الرسول ﷺ .. ولكن  
الألفاظ والكلمات والتعبير منه ﷺ ...

لذلك يكون فيه نور الله تعالى ، مختلطاً بالنور المحمدى ... وهو  
ليس فى درجة الوحي السماوى ... ومثاله .. يقول ﷺ " قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :  
سَبَقْتُ رَحْمَتِي غَضَبِي " وهو صحيح ، رواه مسلم عن " أبى هريرة " ...

ويقول " قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي ، فَمَنْ نَازَعَنِي رِدَائِي قَصَمْتُهُ " وهو صحيح ، رواه الحاكم عن " أبي هريرة " .

ويقول " قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : عَبْدِي .. إِذَا ذَكَرْتَنِي خَالِيًا ذَكَرْتُكَ خَالِيًا ، وَإِذَا ذَكَرْتَنِي فِي مَلَأْ ذَكَرْتُكَ فِي مَلَأْ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَأَكْبَرُ " وهو صحيح ، رواه البيهقي عن " ابن عباس " .

فالحديثُ القدسيُّ هو دون الوحي .. والمعنى بأنواره من الله تعالى .. واللفظُ من رسول الله ﷺ بِأَنْوَارِهِ الدَّائِيَّةِ ...  
فنورُ الحديثِ القدسيِّ .. نورُ إلهيٍّ عارضٍ إلى ذات الرسول ﷺ ...

### الثالث : الحديث النبوي :

وهو من نور ذات رسول الله ﷺ السَّائِكِ الثَّابِتِ فِيهِ ، وهو رسول الله ﷺ ما ينطق عن الهوى أبداً ..

ولذلك يمكن أن نقول بأسلوبٍ آخر ...

أنَّ الكلامَ إذا صدر من الرسول ﷺ بوحي من السماء ونور الله القديم فيه ، وليس للرسول فيه اختيارٌ .. فهو القرآن ...

وإن كان الكلام منه ﷺ ، وسطوع الأنوار من الله تعالى وبدون وحيٍّ من سيدنا جبريل كالوحي المعروف .. فهو الحديث القدسيُّ ..

وإن كان الكلام ، والمعنى ، واللفظُ من رسول الله ﷺ

ونور ذاته ، فهو حينئذ الحديث النبوى .

والكل من عند الله تعالى ...

ولأصحاب الذوق والروحانيّة فى هذا الأمر كلامٌ كثيرٌ .....

وهنا نشير إلى لفظة دقيقة ...

فمن المعروف أن ترتيب آيات القرآن فى السُّور .. وكذلك ترتيب  
السور فى المصحف هو أمرٌ توقيفى .. بمعنى أنه أمرٌ من رسول  
الله ﷺ .. حيث كان يأمر أن توضع كلُّ آيةٍ .. وكلُّ سورةٍ فى المكان  
الذى يُحدِّده .. وهكذا كان ينلوه رسول الله ﷺ ....

ولابد أن يكون لهذا الترتيب حكمة إلهية .. ، وإلا لكانت الآيات  
وُضعت بترتيب نزولها الزمَنِى ... ، وهذا لم يحدث ...

بل إنَّ بعض السُّور تجدُّها مكيّةً ، أى نزلت فى مكة المكرمة .. ، ثم  
تجدُّ فيها آيةً مدنيّةً ، كما هو الشأن فى سورة الجاثية ، حيث كلها مكية إلا  
الآية رقم ١٤ فهى مدنية ... وهى : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا  
لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

والعلماء رضى الله عنهم ، عادةً ما يكون تفسيرهم للقرآن الكريم  
بحسب أسباب نزول كل آية ، وهذا منطقى .. ، فإنَّ مناسبة نزول كل آيةٍ  
من الأهميّة بمكان .. غير أنهم لو تعرّضوا لشرح الآيات فى سياق ترتيبها فى  
المصحف فلاشكَّ أنه سوف تظهر معانٍ جديدةٌ مضافةٌ إلى ما سبق التعرض  
له من أسباب النزول ...

وفى الحقيقة فإن معانى الآيات القرآنية وما فيها من أسرار إلهية لاتنتهى .. ورسول الله ﷺ يقول عن القرآن الكريم أنه لا يخلق على كثرة الرد .. أى لا يزال غصاً طرياً مُجدِّد المعانى مهما نهلت منه ، وقد قال الإمام على كرم الله وجهه كما سبق ذكره " إلا أن يؤتى الله عبده فهماً فى آية من آيات كتابه " .. وهذا معناه أن هناك دقائق ومنا ومنان تنزل على عباد الله المخلصين فى فهم معانى بعض الآيات الكريمة ..

وهذا أمر منطقي وبدهي ...

فالله تعالى قد أنزل القرآن ، يخاطب به كل الناس ، على اختلاف درجاتهم الإيمانية ، وعلى تباين نوعيات علمهم ، وثقافتهم ، وعقولهم .. ، ودعى الكل إلى تلاوته ، بالتدبر والاعتاظ .. ، وفى نفس الوقت فيه من الإعجاز البيانى اللغوى ما أدهش العرب أصحاب البلاغة ، والكلمة ، واللغة ... ، وهذا من الناحية اللغوية التى كان العرب أهل تميز فيها وإبداع .. ولكن القرآن إعجازه مستمر حتى قيام الساعة .. وليس إعجازه للعرب وأصحاب اللغة وأهل البلاغة فقط .. بل لابد وأن يكون فيه إعجاز لكل المؤمنين ، فمن المنطقى أن يكون فيه إعجاز علمى يناسب ما يظهر من آيات كونية مع تقدم البشرية واكتشاف أسرار الكون ... ولابد أن يكون فيه إعجاز روحى يناسب كل تال له على كل مستوى إيمانى روحى للقارئ ... ما بين الإيمان بالفطرة البسيطة .. والإيمان العقلانى العلمى .. ، ولابد أن يكون فيه لأصحاب الولاية العامة نصيب .. ، ولأصحاب الولاية الخاصة لله تعالى النصيب الأوفى ..

وسيدنا " عبد الله بن عباس " حُبُّ الأُمَّةِ .. كان يتلو الآية الكريمة ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ ۝ ﴾ <sup>(١)</sup> وكان يقف في التلاوة عند " وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم " ثم يستأنف " يقولون آمنا به " ...

وهي لفظة طيبة ، فإن الراسخين في العلم بالله هم أهل الفضل والمعرفة .. حتى قال الله عنهم : ﴿ إِنَّمَا تَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ ﴾ .. وقال : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۗ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وقال : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَالْمَلَكُ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ ۗ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

ولو كان القرآن كُلُّهُ بعيداً عن فَهْمِ البشرِ أجمعين ، وعن روحانياتهم كُلِّهِمْ ... لظلَّ كنزاً مخفياً لا يُعرفُ قدرُهُ ، ولا تُدركُ قيمَتُهُ ... ، ولكنَّ الله تعالى يريد لعباده أن يعرفوه ، كُلُّ على قدر رزقه ، .. فلا بُدَّ أن تكونَ لبعضِ خلقِهِ خصوصية فهم وإدراكٍ لبعضِ هذه الأسرارِ والأنوارِ

فالله سبحانه تعالى قد جَمَعَ في معيَّتِهِ العَلِيَّةِ أهلَ العلم به وكرَّمَهُم .. ، ولا عجب أن يُهاديهم من فضله ، ببعضِ نور أسرارِهِ ، ويطلّعهم على بعضِ تأويل آيات كتابه .. ، وهذا لا يمكن إلا لأهل العلم بالله تعالى ، الذين تسبح أرواحهم في الملكوت .. ، وتطهروا نفساً وروحاً وأصبحوا مؤهلين لهذا الشرف العالى ..

(٢) سورة المجادلة آية : ١١ .

(١) سورة آل عمران آية : ٧ .

(٣) سورة آل عمران آية : ١٨ .



فالحكمة لاتعطى لغير أهلها .. والله تعالى يخاطب الناس على قدر عقولهم .. ولذلك نقول لكل أصحاب التفاسير القرآنية ... أنهم جزأهم الله خيراً ، ما فسروا القرآن ، ولكنهم قد اجتهدوا في فهم معانيه على قدرهم .. ، وهذا هو منتهى فهمهم ، هم أنفسهم ، لكتاب الله .. ، ولانقول أن هذا هو تفسير للقرآن الكريم ..

فالله جلَّ شأنه قد جعل نور آياته في ظاهر كلامه جلَّ وعلا .. وجعل سرَّ آياته في باطن كلامه .. وهو سبحانه الأول ، والآخر ، والظاهر ، والباطن ...

فان كانت روحك تسبح في عوالم الملك والشهادة .. فقد بسط آياته لك في عالم الملك ترادها ، وتتذوقها ، وتفهم منها ما قدره الله لك ، من الأكوان الظاهرة أملك ...

وان كانت روحك تسبح في عوالم الجبروت ، فقد أشار سبحانه إلى هذا العالم ، وما فيه من موت ، وحياة ، وأنوار وتجليات وأسرار كثيرة . وإن كنت من رواد عالم الملكوت .. فهو جلَّ شأنه ينبئك إليه برمزٍ وتأويلٍ لا يلتقطه إلا أهله .. حتى لا يكون فتنة على غيرهم ...

فان كانت روحانيتك على درجة من القرب لروحانية رسول الله ﷺ .. وحبك له ظاهر باطن .. وتستمد من أنوار إيمانه كما قلنا .. فهو أعرف الخلق برَّبهم وأعلاهم فهماً لكتاب الله تعالى بلا جدال .. فهذا هو القرآن الذى أنزل على قلبه ﷺ ...

فكلما اقتربت من أنوار رسول الله ﷺ ، كلما ارتقى فهمك لآيات

اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَمَدَكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِبَعْضِ أَسْرَارِهِ فَضْلاً مِنْهُ وَكَرَمًا  
وَرَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ "عمر بن الخطاب" الذى قرأ الفاتحة على  
المَلْدُوغ فشفاه الله ... بينما المَلْدُوغ نَفْسُهُ قرأ الفاتحة فلم يَتِمَّ لَهُ الشِّفَاء ..  
فِيَنبُهُ ﷺ إِلَى هذا السِّرِّ الدَّقِيقِ بقوله " الفاتحة هِيَ الفاتحة ... ولكن أين  
عمر !!! ... " وصدق رسول الله .. أينَ رُوحُ عمر . !!!

وهذا يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ لِرُوحَانِيَةِ الْقَارِئِ لِلْقُرْآنِ ، دوراً هاماً فى  
التقاطِ أنوارِ الآياتِ القرآنية .. حتى وإن كانت ظاهرةً لعمومِ الخَلْقِ ..  
وكلهم مأمورون بتلاوتها والذِّكْرُ بِهَا .. ولكن كُلُّ رُوحٍ تَأْخُذُ عَلَى قَدْرِهَا ..  
وتسبحُ فى مستواها لاغير ...

يقول تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ  
أَقْفَالٌهَا ﴾ (١)

وَإِلَى مَنْ يَظُنُّونَ أَنَّ تَدَبُّرَ الْقُرْآنِ يَكُونُ بِالْعَقْلِ ، وَالْعِلْمِ ، وَالثَّقَافَةِ ،  
وَكثرةِ القِيلِ ، وَالْقَالَ .. أَهْدَى هَذِهِ الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ .. لِيَتَنَبَّهُوا إِلَى أَنَّ تَدَبُّرَ  
الْقُرْآنِ وَاسْتِجْلَاءَ أَنْوَارِهِ وَأَسْرَارِهِ .. إِنَّمَا يَكُونُ بِالْقَلْبِ ، وَهَدَاهُ ، وَتَقْوَاهُ ،  
وَحُبِّهِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ...

وصدق الله تعالى حيث يقول : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ط وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ (٢) ،  
وصدق رسوله ﷺ حيث يقول " مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ "  
" حديثٌ حسن ، رواه الترمذى والنسائى وابو داود عن "جندب "

(١) سورة محمد آية : ٢٤ .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٨٢ .

فليس الأمر بالرأى ، والعقل ، والعلم ، وكفى ... بل بالتقوى .. ،  
والإيمان ، ونورانية الروح القريبة من الله ورسوله ....

وهل نورانية الروح وفراصة المؤمن الذى ينظر بنور الله لاتختص  
إلا بالأمور الدنيوية الفانية !! أم أن هذه الفراسة ، وهذه الحكمة تمتد إلى  
فهم آيات الله تعالى ، وأنواره ، وأسراره !!!

وسبحان من لاتنتهى عجائبه .. ولاتفنى خرائئه .. ولامانع لما  
يعطى ...

وما قيل عن القرآن .. يُقال قريباً منه عن أحاديث  
رسول الله ﷺ ...

فالرسول ﷺ أفصح العرب وأبلغ البلغاء .. ودانت له المعانى ..  
وأوتى جوامع الكلم ﷺ ...

ثم بعد ذلك ، يخاطب الصغير ، والكبير ، والأُمى ، والمتعلم ..  
والأعراب ، وأهل الكتاب ... وهو خاتم المرسلين .. فأحاديثه يخاطب بها  
كل أنواع البشر حتى يوم الدين .. فلا بد أن تكون معانيها مناسبة لكل  
عصر .. ولكل قوم .. ولكل مؤمن .. ولكل مستوى روحى والحديث واحد ..  
والكلام واحد ... وخذ منه من المعانى الظاهرة والرمزية ما شئت ...

وقد ذكرنا لك من قبل الحديث الشريف " مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا  
فَلْيُغَيِّرْهُ " .. وَقُلْنَا أَنَّ الْأَمْرَ هُنَا بِالتَّغْيِيرِ وَلَيْسَ بِالِاسْتِنْكَارِ ، كما يفهم بعض  
الناس .. فالمطلوب التغيير ... والتغيير بالقلب ، لاشك يستلزم الدرجة  
الأقوى من الإيمان ...

كذلك قوله ﷺ : " لَقِّنُوا مَوْتَكُمْ .. لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ " وهو صحيح رواه الخمسة عن " عائشة " وعن " أبي هريرة " وعن " أبي سعيد "... يختلف فيه الشُّرَاحُ بَيْنَ مَنْ يَسْتَحْسِنُ التَّلْقِينَ وتلاوة القرآن على رأسِ المَيِّتِ ، وبين مَنْ يَسْتَنْكَرُهُ ويقولون إِنَّ المَيِّتَ إِذَا مَاتَ فَقَدْ انْقَضَى وَانْتَهَى وليس لَهُ عِنْدَنَا إِلَّا العُسْلُ والتكفين ، والصلاة ، والتشييع ، والدفن ...

ورسول الله ﷺ أفقه الناس لغة .. ويعرفُ الفرق بين الميت والمحتضر ... والحديث واضحٌ ، " لقنوا موتاكم .... "

فرسول الله ﷺ يَضَعُ الكَلِمَةَ بمعناها الصحيح في الموضع الصحيح.. ولا تغنى عنها كلمة مرادفة أخرى .. وكثيراً ما يكون في كلامه ﷺ توريةً لطيفةً كما قال لأهل بيته قبل انتقاله للرفيق الأعلى أَنَّ أَسْبَقَهُنَّ إِلَيْهِ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ هِيَ أطولهن يداً ... وكان مقصوده ﷺ أطولهن يداً في الكرم والجود والعطاء وهي بلاغة وتورية منه ﷺ ...

وهنا نقف عند نقطة لها أهميتها ....

تلك هي أن مجموع الأحاديث الواردة في الصحيحين البخاري ومسلم ، هو تقريباً ، حوالى الخمسة آلاف حديثٍ ، وذلك بحذف المكرر ، والمتشابه ، والذي رُوِيَ عن أكثر من سلسلة ... ، فإذا جمعتها كلها ، المكررة وغيرها ، تجدها حوالى عشرة آلاف حديثٍ بالتقريب ، وهى ما أجمع عليه علماء الجرح والتعديل بأنها الأحاديث الحسنة الصحيحة على شروط الشيخين .. البخارى و مُسلم ... (ذكر البخارى حوالى سبعة آلاف حديث بما فيها المكرر ، وذكر مُسلم حوالى ثلاثة آلاف حديث بخلاف المكرر فيه) .

وجزى الله عنا علماء " الجرح والتعديل " خير الجزاء ، حيث وضعوا أساس أعظم علم للتمحيص والتدقيق والتحقيق لأحاديث رسول الله ﷺ ورجال الرواية للأحاديث ... وصنفوا درجة الحديث ما بين الصحيح ، والحسن ، والمشهور ، والمتواتر ، والمرفوع ، والمرسل ... الخ ، ولكل من هذه التعبيرات درجة من درجات الصحة ...

وما أريد أن أقوله هو أن ما جمعه البخارى ومسلم على شروطهما هو ليس كل حديث رسول الله ﷺ ... فقد كان من درجات الحفاظ درجة تسمى " بالحافظ " وهو الذى يحفظ مائة ألف حديث .. وكذلك درجة "أمير المؤمنين فى الحديث " وهو الذى يحفظ أربعمائة ألف حديث .. فأين هذا العدد الضخم مما جمعه البخارى ومسلم !!!

صحيح أن البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه والسائى هم أوثق ما جمع من أحاديث رسول الله ﷺ ... ولكن مقصودنا ألا نحس أنفسنا وعقولنا عليهم .. لأن هذا تضيق لوسعة الله علينا ، وترك كذلك لما لا يجوز تركه من الأحاديث ، بحجة أنه لم يذكر فى البخارى أو مسلم ... أو بحجة أنه حديث ضعيف مثلاً ...

فأنت لاتدرى سبب ضعف هذا الحديث .. ولاحتى معنى أنه ضعيف .. وهل يؤخذ به أم لا .. وما إذا كان هناك حديث ضعيف آخر بنفس المعنى !! كل هذا له علماؤه وأهله .. فرفض العمل بالحديث لضعفه خطأ...

والعلماء يقولون مثلاً أن الأحاديث الضعيفة يؤخذ بها فى فضائل الأعمال ... ، وما أدراك أن تصنيف هذا الحديث أو ذاك أنه ضعيف مثلاً هو

أمر مقصود من الله ورسوله ، بحيث لا يعمل بهذا الحديث العامة والخاصة ...  
بل هو لأهله فقط .. الذين تلتقط روحانيتهم .. روحانية هذا الحديث ....

فإن في حديث رسول الله ﷺ نور من نور ذاته الشريفة .. وكل  
حديث بنوره الخاص .. وكل يأخذ من حديث رسول الله ﷺ على قدر  
روحانيته هو ..

وكل ما أردت قوله بحذر وإيجاز هو أن أحاديث رسول الله ﷺ  
التي لم تذكر في البخاري ومسلم ، أو لم تصنف بالصحيح ، ولا بالحسن  
ليس لنا أن نتركها ولا نعمل بها .. ، ولا ينبغي التضييق على عباد الله ، بما  
ورد عن الشيخين فقط .. ، هذا مع التزام الحذر الكافي ، والحرص اللازم  
للبعد عن الأحاديث الموضوعة ... وما أقلها .. وما أسهل أن تُعرف لمن  
يتصدى لهذا الأمر ... وقد ألف فيها " السيوطي " اللآلئ المصنوعة في  
الأحاديث الموضوعة ..... وغيره .

وليت علماء هذا الفن المبارك أن يجمعوا لنا خطب رسول الله ﷺ كل  
صلاة جمعة ، وكذلك أن يؤرخوا الأحاديث ، ليُعلم السابق من اللاحق .. فإني  
لم أعتز على هذين الأمرين ، فيما قرأت حتى الآن .. والله أعلم ....

وأحاديث رسول الله ﷺ .. هي الركن الثاني من الشريعة بعد القرآن ،  
فهي التي تُفصل ما أُجمل في كتاب الله .. وتبين دقائق الأحكام .. وكيفية  
الأفعال ، وكذلك توضح ما يعيبها ويُقصها .. أو يُفسدُها بالكلية ...

فالتشريع أساسه كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ... والرسول ﷺ  
يأمرنا أن نحفظ حديثه ، وأن ننشره بين الناس ، ويدعو لمن يفعل ذلك في

أحاديث كثيرة .. ، ومنها " نَصَرَ اللَّهُ امْرَأًا سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ ،  
فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ " وهو صحيح ، رواه أحمد والترمذي وابن  
حبان عن " ابن مسعود " ...

كما يُحَذِّرُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أشد التحذير ، ممن يتجرأ بالكذب على  
رسول الله ﷺ حيث يقول " إِنَّ كَذِبًا عَلَى لَيْسَ كَذِبٍ عَلَى  
أَحَدٍ ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَى مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ " وهو صحيح ، ذكره  
البخاري ومسلم عن " المغيرة " .

وما خرجنا به من هذه العجالة .. هو أن رسول الله ﷺ .. محمد ..  
الْعَبْدُ ... الْبَشَرِيُّ .. الرَّسُولُ .. كُلُّهُ ﷺ نُورٌ عَلَى نُورٍ .. ولا يصدر منه إِلَّا  
النُّورُ .. ، في أقواله .. ، وأفعاله .. ، وأحواله .. بل وأكثر من هذا في أهل  
بيته الكرام الْمُبَارَكِينَ .. خاصة الذين هم من نسله الشريف المبارك...  
أولاد " فاطمة الزهراء " ريحانة رسول الله عليها رضوان الله تعالى وعلى  
ذريتها إلى يوم الدين ....

وإذا كان الله تعالى قد ذكر في آياته ، إكرامه جَلَّ شَأْنُهُ لِلْأَنْبَاءِ  
بصلاح آبائهم في أكثر من موضع ... ونَبَّهَ على أن تقوى الله تعالى وحسن  
عبادته .. يكون للذرية منهما نفعٌ كبيرٌ .. وحصنٌ حصينٌ بصلاح الآباء ....  
فكيف بمن كان جَدُّهُمْ أَعْظَمَ خَلْقِ اللَّهِ .. وَسَيِّدَ وَلَدِ آدَمَ .. وإمام الأنبياءِ  
والمُرْسَلِينَ !!! ألا يكون لهم من الله عناية ورعاية بتقوى جَدِّهِمْ .. وهو  
إمام المتقين .. وأَعْرَفُ الْخَلْقِ بِرَبِّهِ .. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ  
أَجْمَعِينَ !!!

## • آلُ بَيْتِ الرُّسُولِ

يجب أن نكون على يقين بأن أوامر الله تعالى للعباد ، وكذلك أوامر رسوله ﷺ .. ، إنما هي لمصلحتهم ، ولما يصلح أحوالهم في الدنيا والآخرة .... ، وتعالى الله جلَّ وعلا أن تكون له مصلحة ولا منفعة لو كان كل خلقه على اتقى قلب عبد منهم .. أو أفجر قلب رجل منهم ...

ورسوله ﷺ قد شرح الله له صدره ، ووضع عنه وزره ، ورفع ذكره...، ويصلى عليه الله ، وملائكته دائماً أبداً .. ، وقرن الله تعالى اسمه باسمه في شهادة التوحيد ... فأى فضلٍ وأية زيادة تكون لرسول الله ﷺ ، إذا اتَّبعَهُ الخَلْقُ أو انْفَضُّوا عنه !!!

ولكن الله تعالى لا يَرْضَى لعباده الكفر ... ورحيم بهم .. ومتوود إليهم .. ولطيف بهم .. فالله تعالى يحب عباده .. وعبيده ... وحتى من كفر منهم فإنَّ السماواتِ تهْتَزُّ على من ظلمه ، ومن تكبَّرَ عليه ، أو عذَّبَه ... على كفره ، وعلى جحوده ...

والآيات كثيرةٌ في هذا الشأن .. وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة... بل إنَّ الله تعالى يفرح بتوبة عبده التائب إليه ... ومن يقصده لا يخيب أبداً .. ومن تقربَ إليه شبراً من خلقه .. تقربَ الله إليه باعاً .. ومن جاءه يمشى .. أتاه الله هرولةً ... ويبدلُ الله سيئاته حسناتٍ ... وكذب من ادَّعى أنَّه يعرفُ فضلَ الله ، وكرمَهُ ، وجُودَهُ ، وإحسانه إلى خلقه .. جلَّ جلالُ الله ...



ولكنَّ اللهَ تعالى يُبَيِّنُ لَعَبِيدِهِ مَنَافِعَ ، ومَحَاسِنَ ، وثَوَابَ ما يَدْعُوهم  
إِلَيْهِ مرةً .. ، ومَرَاتٍ لَا يُبَيِّنُ ، وَلَا يُوضِّحُ لَهُم ذَلِكَ .. حتَّى يَكُونُوا  
بَيْنَ الخَوْفِ والرَّجَاءِ ، وَبَيْنَ مَقَامِ العِبُودِيَّةِ لِلَّهِ تعالى .... وَحتَّى يَكُونُوا  
شُهَدَاءَ عَلَى أَنفُسِهِمْ .. ، وَلَا يَدَّعِي مَخْلُوقٌ مَا لَيْسَ فِيهِ ... فَيَعْرِفُ كُلُّ  
عَبْدٍ نَفْسَهُ بَيْنَ عَابِدٍ .. وَزَاهِدٍ .. وَصَابِرٍ .. وَشَاكِرٍ ... وَمَحَبٍّ .. وَعَارِفٍ  
لِلَّهِ تعالى ... وَبَيْنَ جَاهِدٍ .. وَكَافِرٍ .. وَمُنَافِقٍ .. وَمُرَاءٍ ... وَأَعْمَى لَا يَبْصُرُ نُورَ  
اللهِ تعالى ....

وَلَوْ بَيَّنَّ اللهُ تعالى ثَوَابَ كُلِّ أَمْرٍ .. وَمَنَفْعَةَ كُلِّ نَهْيٍ .. لَمَا صَارَ الْأَمْرُ  
أُلُوهِيَّةً وَعِبُودِيَّةً .... وَلَا شُكْرًا .. وَلَا مَحَبَّةً .. وَلَا تَعْظِيمًا .. وَلَا تَقْدِيرًا لِلَّهِ  
تعالى ...

بَلْ يَصْبِحُ الْأَمْرُ كُلُّهُ تِجَارَةً ... وَطَمَعًا لِغَيْرِ ... ، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ فِيهِ  
خَيْرٌ .. وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى تِجَارَةٍ مَعَهُ لَا تَبُورُ .... إِلَّا أَنْ الْأَعْلَى .. وَالْأَوْفَقُ  
لِعَظَمَةِ اللَّهِ تعالى هُوَ التَّقْدِيرُ وَالتَّسْبِيحُ وَالتَّعْظِيمُ وَالْحُبُّ لِلَّهِ تعالى ....  
لَأَنَّ الْحَالَ الْأَوَّلَ ، هُوَ طَلَبُ لِلنَّفْسِ وَنَعِيمِهَا فِي الْآخِرَةِ .. وَالْحَالَ الثَّانِي ،  
هُوَ قَصْدُ وَجْهِ اللَّهِ تعالى .. وَتَعْظِيمِهِ وَتَقْدِيرِهِ ...

كَانَ لَا بَدَ لِهَذِهِ التَّذَكُّرَةِ الْقَصِيرَةِ لِتَكُونَ مَدْخَلًا لِمَا نَحْنُ  
بَصَدَدِهِ ....

يَقُولُ اللهُ تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي

الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ﴿١﴾ ، هكذا يقول الله تعالى لرسوله محمد ﷺ ...

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ﴿٣﴾ .

وانظر إلى ما قيل على لسان الرسل ....

يقول سيدنا نوح عليه السلام: ﴿ إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿٣﴾ .

ويقول سيدنا هود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب عليهم السلام ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنِّي أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٤﴾  
ولاتعليق لنا .. فالأمر أوضح من أن يوضح ....

ويقول ﷺ ... " فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي ، يَقْبِضُنِي مَا يَقْبِضُهَا ، وَيَبْسُطُنِي مَا يَبْسُطُهَا ، وَإِنَّ الْأَنْسَابَ تَنْقَطِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غَيْرُ نَسَبِي وَسَبَبِي وَصَهْرِي " حديث حسن ، رواه أحمد والحاكم .

ويقول ﷺ " فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي ، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي " صحيح رواه البخاري.

(١) سورة الشورى آية : ٢٣ . (٢) سورة الأحزاب آية : ٣٣ .

(٣) سورة يونس آية : ٧٢ . (٤) سورة الشعراء الآيات: ١٢٧ ، ١٤٥ ، ١٦٤ ، ١٨٠ .

ويقول صلى الله عليه وسلم "فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، إِلَّا مَرْيَمَ بِنْتَ  
عِمْرَانَ" وهو صحيح ، رواه الحاكم عن "أبي سعيد" ..

ويقول لسيدنا على كرم الله وجهه "فاطمة أحبُّ إليَّ منك ، وَأَنْتِ  
أَعَزُّ إِلَيَّ مِنْهَا" وهو صحيح ، رواه الطبراني عن "أبي هريرة" .

ويذكر "ابن عابدين الحنفى" فى حاشيته المشهورة قول سيدنا "  
عمر بن الخطاب" رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ لَمَّا سَمِعَ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ  
صلى الله عليه وسلم "إِنَّ كُلَّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا سَبَبِي وَنَسَبِي" .. تزوج  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "أم كلثوم بنت الإمام على" كرم الله وجهه ليدخل فى  
هذا النسب والمصاهرة ....

وهذا الحديث صحيح ، رواه الطبرانى والحاكم والبيهقى عن  
"عمر بن الخطاب" ، كما رواه الطبرانى فى الكبير عن "ابن عباس"  
وعن "المسور" .. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جَمِيعاً ....

وتأمل هذه الأحاديث الشريفة ....

"إِنِّى تَارِكٌ فَيْكُمْ خَلِيفَتَيْنِ : كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ  
وَالْأَرْضِ ، وَعِثْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي ، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَى الْحَوْضِ"  
صحيح ، رواه أحمد والطبرانى عن "زيد بن ثابت"

"مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ : مَنْ رَكِبَهَا نَجَا ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا  
غَرِقَ" وهو حسن ، رواه البزار عن ابن عباس وعن ابن الزبير ، ورواه  
الحاكم عن "أبي ذر" ....

"مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيَ مَوْلَاهُ" ، وفي رواية "مَنْ كُنْتُ وَلِيَّهُ فَعَلِيَ وَلِيَّهُ" وهما حديثان حسان ، رواهما أحمد وابن ماجه والنسائي والترمذي والحاكم عن " البراء " ، وعن " بُرَيْدَة " ، وعن " زيد بن أرقم " ....

ومن خطبة لرسول الله ﷺ يقول في آخرها : " وَأَهْلُ بَيْتِي ، أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي ، أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي " صحيح ، رواه مسلم عن " زيد ابن أرقم "

ويقول ﷺ .. " النُّجُومُ أَمَانٌ لِأَهْلِ السَّمَاءِ ، وَأَهْلُ بَيْتِي أَمَانٌ لِأُمَّتِي " وهو حسن ، رواه أبو يعلى في مسنده عن " سلمة بن الأكوع " .

ويقول " أَنَا دَارُ الْحِكْمَةِ ... وَعَلَى بَابِهَا " وفي رواية أخرى " أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلَى بَابِهَا ، فَمَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيَأْتِ الْبَابَ " رواه الطبراني والحاكم عن " ابن عباس " وعن " جابر " رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ...

ويقول " الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ... وَأَبُوهُمَا خَيْرٌ مِنْهُمَا " وهو صحيح ، رواه ابن ماجه والحاكم عن " ابن عمر " وعن " ابن مسعود "

ويقول "مَنْ أَحَبَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَقَدْ أَحَبَّنِي ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي" وهو حسن ، رواه أحمد وابن ماجه والحاكم عن " أبي هريرة " ..  
ويقول "مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ أَحَبَّنِي ، وَمَنْ أَبْغَضَ عَلِيًّا فَقَدْ أَبْغَضَنِي" وهو صحيح ، رواه الحاكم .

ويقول " كُلُّ بَنِي آدَمَ يَنْتُمُونَ إِلَيَّ عَصَبَةٍ ، إِلَّا وَلَدُ فَاطِمَةَ ، فَأَنَا وَلِيُّهُمْ وَأَنَا عَصَبَتُهُمْ " وهو حسنٌ ، رواه الطبراني في الكبير عن "فاطمة الزهراء" .

ويقول " كُلُّ بَنِي أُتْنَى فَإِنَّ عَصَبَتَهُمْ لِأَبِيهِمْ مَا خَلَا وَلَدُ فَاطِمَةَ ، فَإِنِّي وَأَنَا عَصَبَتُهُمْ وَأَنَا أَبُوهُمْ " وهو حسنٌ ، رواه الطبراني في الكبير عن "عمر" .

ويقول عليه أفضل الصلاة والسلام " قُولُوا لِلَّهِمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ " وهو صحيحٌ ، رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه والنسائي .

ونستجلى مِنَ الآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الَّتِي ذُكِرَتْ أُمُورًا أَهْمُهَا:

- إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ كَرَّمَ وَطَهَّرَ وَبَارَكَ عَلَى آلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .
- إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَأْمُرُنَا بِحُبِّ وَمَوَدَّةِ آلِ الْبَيْتِ ، بَلْ وَيَزِيدُ فِي نَفْسِ الْآيَةِ ، أَنْ مَنْ يَمْتَثِلُ لِهَذَا الْأَمْرِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَوْفَ يَزِيدُ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ....
- تَفَرَّدَ آلُ بَيْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِهَذِهِ الْخُصُوصِيَّةِ (المودة في القربى) دُونَ عَنِ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ .
- يُوَكِّدُ الرَّسُولُ ﷺ مَحَبَّتَهُ لِابْنَتِهِ " الزَّهْرَاءِ " رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَلَوْلَدِهَا الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَنَسْلُهُمَا .

- يبين الرسول أنه هو ﷺ عَصَبَتُهُمْ ... وأبوهم .. وولِيُّهُمْ ...
- يجمع الرسول عليه الصلاة والسلام بين محبة المؤمنين له ومحبتهم لآل البيت الكرام .... ويوصي بآل بيته مودة .. وتكريماً وتعظيماً ....
- يعلمنا ﷺ كيف نذكرهم في كل صلاة ... وغير صلاةٍ بجمعهم معه في كل صلاة عليه ﷺ .

ونحن نعلم أن المقصود " بآل البيت " هم آل عليٍّ .. وآل جعفر... ، وآل عقيل ... ، وآل العباس وآل الحارث .. كما قال ﷺ ... وهم الذين لا يجوزُ لَهُمْ تَقَبُّلُ صَدَقَاتِ النَّاسِ ولا زكواتهم .....

ولكن رسول الله ﷺ يُولِي عِنَايَةً خَاصَّةً " بآل فاطمة " رَضِيَ اللَّهُ عنها ... ويؤكد علينا حُبَّهَا وَحُبَّ ذُرِّيَّتِهَا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جَمِيعاً

ولسادتنا الكرام في هذا الشأن رأى .....

فهم يذكرون قول رسول الله ﷺ بَأَنَّ الْحُبَّ يُوَرِّثُ مِنَ الْآبَاءِ إِلَى الْأَبْنَاءِ ... وأساسُ الْحُبِّ كُلِّهِ هُوَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ... فكيف لا يكون لورثته من آل بيته !! وهل وَرَثَ آلَ بَيْتِهِ إِلَّا أَنْوَارُ نُبُوَّتِهِ وَأَسْرَارُ رُوحَانِيَّتِهِ !! .

ويذكر ساداتنا قِصَّةَ سُورَةِ التَّوْبَةِ .... فقد نزلت على رسول الله ﷺ بالمدينة ، و المسلمون قد رحلوا للحجِّ ، وأميرهم ابو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عنه ... فقال ﷺ : " لَا يُبَلِّغُ عَنِّي هَذِهِ السُّورَةَ لِلْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي " ، ودعا " بعليٍّ " كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ ، وأركبه ناقته القصواء ...

وَأَمْرُهُ أَنْ يَلْحَقَ بِالْحَجِيجِ ، ويتلو عليهم السورة ....

وهي لفظة كريمة ودودة من رسول الله ﷺ إلى آل بيته المشرفين به ، وتنبيه للمسلمين على قدرهم ومكانتهم .

وكيف يتصور أحد أن ذرية رسول الله ﷺ التي هي من صلبه ودمه المبارك لا يكون فيهما ميزة وإكرام لهم !!!

حتى العلم الحديث يثبت بما يسميه " هندسة الوراثة " ، أن الأجيال لا بد وأن تحمل بصمات وطبائع من الجد الأول .. بما يسمونها علم الجينات ... والكروموسومات .. وخلافها ....

صحيح أن الله تعالى قد ضرب مثلا بسيدنا نوح وابنه .. ولكن ابن نوح كان كافرا بالله ... والكفر والعياذ بالله يقطع كل نسب .. فلا وجه للمقارنة عندنا ....

وبعض العلماء يقولون أن " آل محمد " هم كل تقى تقى ، استنادا إلى الحديث الشريف بهذا المنطوق ، والذي رواه الطبراني في الأوسط عن " أنس بن مالك " .. وهو حديث ضعيف ... واستنادا كذلك إلى الحديث الشريف " الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ " وهو ضعيف أيضا ، رواه ابن الجار عن " أنس " وكذلك ابن عدي في الكامل ...

ولكننا لا مانع أن نأخذ بهما تكريما للعلماء السائرين على نهج وسنة رسول الله ﷺ ... فإن العالم يحمل دعوة الرسول ... ويدعو إلى ما كان يدعو إليه الرسول .. وهو أمين على الدعوة ... وقائم بإبلاغها للناس .. فلا مانع من أن يقال أنه يحمل من ميراث صاحب الدعوة ... فيكون من آل

وخاصته ... ، وهو فى هذه الصفة على قدر إخلاصه ونيته لله ورسوله ...  
وحبه لله ورسوله ... ، لا يتغنى بعلمه الدنيا ولا الفخر ولا الرياسة ... وإلا فقد  
وقع فى هوى نفسه .... وأصبح من " أهل الدنيا " ... بل لنا أن نتوسع -  
وفضل الله أوسع - فنقول إن كل داعٍ إلى الله ورسوله هو من ورثة دعوة  
رسول الله ﷺ ... سواء كان عالماً بكل أمور الدعوة أو كان على قدره ...  
فى دعوته إلى أمر معين يحبُّه الله ورسوله.

ورغم هذا فنحن نتحفّظ على قولنا هذا ... وعلى قول من أطلقوا  
وصف " آل محمد " ، على كل من يدعو إلى الله بدعوة محمد ﷺ ....  
يقول ﷺ " سَلَمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ " وهو صحيح ، رواه الطبرانى  
فى الكبير والحاكم فى المستدرک عن " عمرو بن عوف " ....

والمقصود هنا هو سيدنا " سلمان الفارسي " رَضِيََ اللهُ عنه .. وهذا  
تكريم خاص من رسول الله ﷺ له ، وهو الذى عانى ما عانى فى سبيل  
الوصول إلى حيث كان رسول الله ﷺ ... لذلك ... ولحكمة أخرى يعلمها  
الله ورسوله ، شرفه رسول الله ﷺ بهذه " النسبة " .. وهى خاصة به ..

ولو كان كل تقى نقى هو مقصود رسول الله تعالى من وصف  
" آل محمد " لدخل الصحابة كلهم فى هذه النسبة ... أو على الأقل  
لدخل خيار الصحابة فيها ... وما أبقاهم .. وما أنقاهم ، وما كان أعظم حب  
رسول الله لهم ، وما كان أعظم حبهم له ﷺ ...

فاختصاص " سلمان الفارسي " بهذه النسبة ... وعدم إطلاقها على  
من هو مثله تقوى وورعاً ، يجعلنا نقصر نسبة " آل محمد " على أهل بيته



وَعِثْرَتِهِ الشَّرِيفَةِ ... وهم الذين منهم الرسولُ من قبول الصَّدَقَاتِ (الزَّكَاةِ)... وجعل الله لهم مصرفاً آخرَ ، حيثُ يقولُ جَلَّ شَأْنُهُ : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ <sup>(١)</sup> ...

فقد حدَّدَ الله تعالى هذا الخُمُسَ مِنَ الْعَنَائِمِ لرسولِ الله ﷺ وله التَّصَرُّفُ فيه لِذَوَى الْقُرْبَى وَغَيْرِهِمْ ، كما تقتضى المصلحة...

وَنَزِيدُ كَذَلِكَ ، أَنَّهُ لَوْلَا أَنَّ الْمَقْصُودَ "بَالَ مُحَمَّدٍ" هُوَ صِلَةُ النَّسَبِ والمصاهرة .. لما تزَوَّجَ "عمر بن الخطاب" من بنت الإمام عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهه ، لِيَدْخُلَ فِي هَذَا النَّسَبِ الْمُبَارَكِ ... ، وكلنا نعلم من هو "عُمَرُ" تقوى ، وورعاً ، وفهماً لِكِتَابِ اللهِ وكلامِ رسولِ الله ﷺ ...

"وابو حامد الغزالي" وغيره .. يقولون أَنَّ لِعَصْبَةِ رسولِ الله ﷺ - مهما نزلوا - حقوقٌ على غيرهم من المسلمين فى الاحترام والمحبة ، مستمدةٌ من حقوقِ جَدِّهِمُ الْأَعْلَى ﷺ .. ، حتى أَنَّهُ يُعْتَبَرُ أَنَّ مِنَ التَّكَافُؤِ فى الزواج أن يتزوج آل محمدٍ من آل محمدٍ ، فجَدُّهُمُ واحدٌ .. ، ونورهم واحدٌ .. ، فلا يعلو بعضهم على بعض ...

ومن الْمُمَكِّنِ أَنْ نَجْمَعَ كُلَّ هَذِهِ الاجتهادات فى التعريفِ معاً .. فنقولُ أَنَّ مَقْصِدَ رسولِ الله ﷺ بِأَنَّ الْعُلَمَاءَ هُمُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ .. لا بد وأنهم العلماء بالله تعالى ... العارفون بجلاله وعظمته .. وليس الْعَالِمُ من قرأ عِلْماً

---

(١) سورة الأنفال آية : ٤١ .

هنا وعِلْمًا هناك ، وَحَفِظَهُ وَقَالَ بِهِ ، وَقَلْبُهُ خَوَاءٌ ... بَلِ الْعَالَمُ هُوَ الْفَقِيه ... ،  
ولو كان فقيها حقاً ، لَزهد في الدنيا ، وأقبل على الله تعالى بقلبه وروحه ...  
وصار لله ولياً خالصاً .. وسواء كان عالماً دراسةً واجتهاداً ، أو جمعاً  
وسماعاً، فَلابدَّ أن الله يعلمه بتقواه ، ويعطيه الحكمة من عنده ...

وهذا العلم .. وهذه التقوى .. وهذه الروحانية .. لاشك انها تجد تربتها  
وبذرتها في نَسْلِ رسول الله ﷺ وآل بيته ... فَإِنَّ فِيهِمْ مِنْ نُورِ ذَاتِهِ الشَّريفة ...  
فَالله سبحانه وتعالى يجعلهم أهل اختياره واجتباؤه واصطفائه ..  
وهذا مانجده في غالب من نعرفهم من العلماء الأولياء مثل  
الشاذلي ... والبدوي .. والقناوي .. والمغربى .. والدسوقي .. والدباغ ..  
والنووي ... وغيرهم ....

وحتى من كان من العلماء ، ولا نعلم فيه هذا الانتساب الشريف ، فَإِنَّكَ  
قد تجد له زلات في علمه غير هؤلاء .. ، لأن الغالب عليهم العقلانية والتجارة  
مع الله تعالى ... ، وهو خير ، ولكن الأولون يغلب على كلامهم الروحانية  
والذوق المحمدي .... وكلاهما خير ... وكلاهما له دور يؤديه بين البشر ...  
ونشير إلى نقطة أخرى ... تلك وهي أن المعروف والمشهور أن  
العصبة تحتسب من قبل الرجال ... وليست من قبل النساء ...

ولكننا نلاحظ أن النور المحمدي يأتي إلى خلق الله أيضاً من قبل  
النساء ، فكثيراً ممن كانت أمه من الأشراف ، وأبوه ليس منسباً ... ، تجد  
فيه أثر النور المحمدي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ...  
وانظر أنت في سير وتاريخ آل البيت المحمدي .. لتجدهم جميعاً

كانوا رضى الله عنهم علماء أتقياء ... وأئمة أعلاماً ومنازل للهدى  
والنور... والتاريخ يؤكد هذا ...

ونحن حين نذكرك بالبيت رسول الله ﷺ .. ما قصدنا إلا أن تقترب  
إلى الله تعالى بحبهم .. والتودد إليهم بالدعاء .. وكثرة الصلاة على رسول الله  
ﷺ وعليهم معه .. وأن يكون لهم في قلبك من الوفاء والتبجيل ما يناسبهم ...  
وكل ذلك إكراماً لجدهم الأعلى وامثالاً لأمر المودة في القربى ..  
فإن جدهم شفيع لهم ووليهم وكفيلهم .

يقول ﷺ " أَوَّلُ مَنْ أَشْفَعُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أُمَّتِي أَهْلُ بَيْتِي "   
وهو من حديث طويل ذكره الطبراني في الكبير عن " ابن عمر " ...

ويقول الله تعالى .. ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ  
إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ  
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ (١)

فإذا كان الله تعالى قد أكرم الأنبياء وجعلهم ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ  
بَعْضٍ ... وانتهت هذه الشجرة النبوية المباركة بمبعث رسول الله خاتم  
الأنبياء والمرسلين ... وهو مصدر نورهم وهدايتهم ، أفتعجب أن يجعل الله  
تعالى له امتداداً ، في ذُرِّيَّتِهِ مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَارِ الروحية ...

وتأمل في رد الإمام على كرم الله وجهه عندما يسألونه هل

---

(١) سورة آل عمران آية : ٣٣-٣٤ .

خَصَّكُمْ الرسولُ ، أَنْتُمْ يَا آلَ الْبَيْتِ بِشَيْءٍ .... فقال : " لا ، لَمْ يَخْصَّنَا بِشَيْءٍ ،  
اللَّهُمَّ إِلَّا فَقْهًا آتَاهُ اللَّهُ عَبْدًا مِنْ عِبَادِهِ فِي كِتَابِهِ " .. وهذا ما نُريدُ  
الوصولَ إِلَيْهِ ...

فرسولُ الله لم يَخْصَّ آلَ الْبَيْتِ بِمَزِيدٍ عِلْمٍ فِي الشَّرِيعَةِ وَالرِّسَالَةِ .. ،  
بَلْ بَلَّغَ النَّاسَ كُلَّهُمَا ، وَدَعَى خَلْقَ اللَّهِ كُلَّهُمْ بِلا تَفْضِيلٍ ...

ولكن كما يقولُ الإمام "فَقْهًا آتَاهُ اللَّهُ عَبْدًا مِنْ عِبَادِهِ فِي كِتَابِهِ" ..  
هذا يَاسِيدِي أَمْرٌ آخِر ... هذا رِزْقٌ مِنَ اللَّهِ إِلَى أَصْحَابِهِ ... هذه رُوحَانِيَّةٌ  
وَنُورٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، لِأَحْبَابِهِ ، وَمَنْ يَصْطَفِيهِ مِنْ خَلْقِهِ ...

فَلَا تَخْلِطُ بَيْنَ الْمَعْنَيْنِ .. وَلَا يَأْتِينَا نِصْفُ مُتَعَلِّمٍ لِيَزْعُمَ أَنَّنا قُلْنَا أَنَّ  
رَسُولَ اللَّهِ قَدْ فَرَّقَ فِي دَعْوَتِهِ بَيْنَ آلِ بَيْتِهِ وَبَيْنَ النَّاسِ ... وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ  
هَذَا الْكَلَامِ وَأَمْثَالِهِ .. وَنَعُوذُ بِهِ تَعَالَى مِنْ عَمَى الْأَبْصَارِ وَالْبَصَائِرِ .

وَمَا ظَنِّي إِلَّا أَنَّ الَّذِينَ قَدْ يَعْترِضُونَ عَلَيَّ مِثْلَ مَا نَقُولُ ... مَا كَانَ  
اعْتِرَاضَهُمْ ، إِلَّا عَنْ جَهْلِ بَنورِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَقَامِهِ بَيْنَ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى  
جَمِيعًا ... ، وَلَوْ اقْتَرَبُوا مِنْ رُوحَانِيَّتِهِ وَأَنْوَارِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، لَاتَزَمُوا  
جَانِبَ الْحَذَرِ ، وَجَانِبَ الْأَدَبِ فِي الْحَدِيثِ عَنْهُ وَعَنْ آلِ بَيْتِهِ ...

وَمَاذَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُولَ عَنْ وَاجِبِ الْأَدَبِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ....

وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ، مِنْ كُلِّ قَوْلٍ صَدَرَ مِنِّي بِقَصْدٍ أَوْ  
بَغَيْرِ قَصْدٍ ، وَفِيهِ مَا لَا يَرْضَى عَنْهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ...

وَرَضَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْ كُلِّ آلٍ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ، وَعَنَّا  
وَعَنْ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ أَجْمَعِينَ ، مِنْ أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَأَهْلِ الْأَرْضِينَ ...

## • الأدب مع رسول الله :

الأدبُ هو حُسْنُ أداءِ حقِّ الغيرِ في معاملته بما يناسبُ مقامه وحاله....

فأنت إذا لم تعرف مقام من تعامله ، فلن تعرف حدود الاحترام الواجب عليك نحوه ... ، وكذلك إذا لم تراع حالته من رضا وغضب وظروفٍ ، فلن تعرف ما يناسبُ حالته في المعاملة.

هذا تعريف الأدب على إطلاقه ... وواضح أن له ظاهراً وهو المعاملة، وله باطنٌ وهو المحبةُ ، أو الاحترام ، أو الهيبة .... الخ.

فإذا كان الأدب هو مع رسول الله ﷺ ... ونحن لا نُدركُ علوَّ مقامه وسُمُو درجته ، فكيف يتسنى لنا الأدب مع حضرته ﷺ ...

صحيحٌ أن الله جلَّ وعلا قد علمنا ظاهر الأدب مع رسوله ... فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ (١) ،

وقال : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ (٢) ،

---

(١) سورة الحجرات آية : ٢ . (٢) سورة النور آية : ٦٣ .

وقال : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ <sup>(١)</sup>

وقال : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ <sup>(٢)</sup>

وقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلَواتٌ عَلَيْهِ وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا ﴾ <sup>(٣)</sup>

وقال : ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَبْظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِفِينَ لِخَدِيثِ ﴾ <sup>(٤)</sup>

وقال : ﴿ لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ ﴾ <sup>(٥)</sup>  
وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ <sup>(٦)</sup>

وقال : ﴿ لَا يَسْتَعِذُّكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ <sup>(٧)</sup>  
وقال : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا آنْظُرْنَا وَاسْمَعُوا ﴾ <sup>(٨)</sup>

(١) سورة الانفال آية : ٢٤ .

(٢) سورة الاحزاب آية : ٥٦ .

(٣) سورة الاحزاب آية : ٥٦ .

(٤) سورة الحجرات آية : ١ .

(٥) سورة التوبة آية : ٤٤ .

(٦) سورة البقرة آية : ١٠٤ .

(٧) سورة الاحزاب آية : ٣٦ .

(٨) سورة الاحزاب آية : ٥٣ .

لذلك فقد كان صحابةُ رسول الله ﷺ على هذه الأحوال من الأدب معه ...

- فلا يقدّمون بين يديه بالكلام ، إلا إذا أذن لهم ..
- ولا يرفعون أصواتهم في حضرته ﷺ .
- وحديثهم مع الرسول ﷺ محاط بالهيبة والجلال والوقار ...
- ويلبسون دعوته لهم ، حتى لو كانوا في الصلاة ...
- وليس لهم اختيار مع أمره ﷺ .. فلا يراجعون أوامره .
- وكانوا يصلّون عليه في حضرته .. وفي غيبته عنهم ...
- وكانت زيارتهم لبيوته ﷺ ، على قدر الضرورة والدعوة منه..

وما كان أعظم أدب رسول الله ﷺ معهم ... يباسطهم .. ويتواضع لهم ... ويشاركهم أفراحهم .... ويعزّي مُصابهم ... ويفرّش رداءه الشريف ليجلس عليه أصحابه ، ويهاديهم ... ويقبل هداياهم .. ، ويجزيهم عنها بأفضل منها ..

وما كان أعظم حياءه ﷺ .. فَيَعْلَمُ جاهلهم برفقٍ ورحمةٍ .. ويعفو عمن يخطئ في حقّه ... ويؤثّرهم على نفسه في الطعام والشراب والكساء...، ويخفف عنهم جلال هيئته ، فيجلس على الأرض ويقول " إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ بِمَكَّةَ " ... وما كان أشدّ تواضعه ﷺ ... حتى كَانَ يَأْمُرُهُمْ أَلَّا يَقُومُوا لَهُ ، إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِمْ .. ، مع أمره لهم بأن يُنْزِلُوا النَّاسَ مِنْ أَسْفَلِ ... ويقول " إِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ... "

ومع هذا ، فقد كان من الصحابة من يقبل يده الشريفة ... وكذلك قدمه الشريفة كما فعل " العاصُ بن الربيع " ... ولم يعترض رسول الله ﷺ ... بل كان يقول " أخى .. لَعَمْرِي "....

ومنهم من كان يتمسحُ بجسدهِ الشريفِ تَبَرُّكاً به ... ومنهم من جمع عرقه المبارك ، ليتطيب به ، كأمّ سليم ، ومنهم من استهداهُ عباءتَه ، لتكون له كفناً بعد موته ... ، ومنهم مَنْ شَرِبَ مِنْ دَمِهِ الشريف بعد حِجَامَةٍ له ﷺ ، وهو " عبد الله بن الزبير " ، وكذلك " مالك بن سنان " ... ومنه من شرب من بوله عليه الصلاة والسلام وهي " أم أيمن " ... وما اعترض ﷺ على أحد من كُلِّ هؤلاء..

وعندما حجَّ رسولُ الله ﷺ حَجَّةَ الوداع ، أمر الحَجَّامَ فوزَّعَ شعره الكريم على الحاضرين ، حتى كان الصحابيُّ يحتفظ بالشعرة والشعرتين في عِمَامَتِهِ كما فعل سيدنا " خالد بن الوليد " رَضِيَ الله عنه ... وكان لا يقاتل في معركة إلا بتلك العمامة ، ولهذا الأمر قصة معروفة في " موقعه اليرموك " فانظر إلى كُتُبِ التَّارِيخِ ..

ورسولُ الله ﷺ ... لم يعترض على أيٍّ من الصَّحَابَةِ الذين أظهرُوا حُبَّهُ يَهْدِيهِ الكَيْفِيَّةُ.....

نعم هو لم يأمر بها ... ، ولكنه لم يَنْهَ عنها... ، بل هو الذي أمر الحَجَّامَ بإهداءِ شَعْرِهِ للحاضرين ...

ورسولُ الله ﷺ يعرف قدر نفسه .. ، ولكنه يتواضع .. ، ويتخذ دائماً مقام العبودية فخراً له ... ، وقد خيَّره الله تعالى بين أن يكون نبياً ملكاً ،



وَأَنْ يَكُونَ نَبِيًّا عَبْدًا ... ، فَاخْتَارَ ﷺ الْعِبُودِيَّةَ لِلَّهِ تَعَالَى ...

وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِفُ أَنَّ جَاهَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ... وَبِهِ عَلَّمَ الْأَعْمَى أَنْ يَسْتَشْفِعَ بِهِ عِنْدَ رَبِّهِ ، أَنْ يَعِيدَ إِلَيْهِ بَصَرَهُ ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَالْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ عَنْ "عَثْمَانَ بْنِ حَنِيفٍ" ، حَيْثُ قَالَ لِلْأَعْمَى قُلْ "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ ، وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، يَا مُحَمَّدُ إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَيَّ رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ لِتُقْضَى لِي ، اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ" ،

وَقَدْ رَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْأَعْمَى بَصَرَهُ ، بِبَرَكَةِ هَذَا الدُّعَاءِ ...

وَيَقُولُ ﷺ " مَا اخْتَلَطَ حُبِّي بِقَلْبِ عَبْدٍ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ جَسَدَهُ عَلَى النَّارِ " وَهُوَ صَحِيحٌ ، ذَكَرَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيقَةِ عَنْ "ابْنِ عَمْرِو" .... فَهُوَ ﷺ يَعْرِفُ قَدْرَهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِلَا شَكٍّ ....

وَيَقُولُ ﷺ " إِنَّ لِي وَزِيرَيْنِ مِنَ أَهْلِ السَّمَاءِ ، وَوَزِيرَيْنِ مِنَ أَهْلِ الْأَرْضِ ، فَوَزِيرَايَ مِنَ أَهْلِ السَّمَاءِ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ ، وَوَزِيرَايَ مِنَ أَهْلِ الْأَرْضِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ " وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ ، رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ عَنْ "أَبِي سَعِيدٍ" ، كَمَا رَوَاهُ الْحَكِيمُ عَنْ "ابْنِ عَبَّاسٍ" .

فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ كَانَ وَزِيرَاهُ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ ....

إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَقْرَأَ وَنُمَحِّصَ وَنُدْرِسَ سِيرَتَهُ ﷺ ... وَسِيرَ الصَّحَابَةِ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ... لِنَتَعَلَّمَ كَيْفَ كَانُوا يَتَأَدَّبُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ... وَكَيْفَ كَانُوا يُوَقِّرُونَهُ وَيُحِبُّونَهُ ... وَيُحَوِّلُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَيِّ أَذَى قَدْ يَصِيبُهُ فِي مَعْرَكَةٍ أَوْ غَيْرِهَا ...

وعندما دخل أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غَارَ ثَوْرٍ خِلَالَ الْهَجْرَةِ .. وتقدّم رسول الله ﷺ في الدخول ، لِيُؤْمِنَ الْغَارَ مِنَ الْحَشَرَاتِ وَخَشَاشِ الْأَرْضِ... فوجدَ فِيهِ كُهُوفًا صَغِيرَةً ، فجعلَ يَمْرُقُ مِنْ ثِيَابِهِ ، ويسدُّ بها هذه الفتحات .. حتى بقيت واحدة فسدّها " أبو بكرٍ " بقدمه .. واضطجع رسول الله ، ووضع خدّه الشريف على فخذٍ " أبي بكرٍ " ... وكان في الفتحة ثعبانٌ .. ظلّ يلدغُ قدم " أبي بكرٍ " .. ، و" أبو بكرٍ " لا يحركُ ساكنًا خشية أن يستيقظ رسول الله ﷺ ...

ويبكي " أبو بكرٍ " ألمًا وحيرةً ... وتنزل دموعه على خدّ رسول الله ﷺ ، فيستيقظ ، ويعلم بما حدث .. فيتفّل على مكان لدغة الثُّعْبَانِ .. فيُشْفَى " أبو بكرٍ " .... ببركة ريق رسول الله ﷺ ...

ويحكى عن " عمر بن الخطاب " رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .. أن رجلاً أتاه شاكيًا رسول الله ﷺ ، قائلاً ألا تنصني يا عمر من صاحبك هذا ... ، قال عمر : من .. ، قال : محمد .. ، قال عمر : أَوْ قَدْ ظَلَمَكَ ؟؟ ، قال : نعم .. ، قال : فانتظر حتّى أنصفك منه ... ، ودخلَ عمر بيته ، واستل سيفه ، وضرب عنق الرجل !!.

لاشك أن " عُمَرَ " قد أدرك أن الرَّجُلَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ ، وأن نفاقه قد ظهر علانية .... ، وإلا لما اتَّهَمَ رسول الله ﷺ بِالْجَوْرِ وَالظُّلْمِ ... ولما تحدّثَ عن رسول الله بهذا الأسلوب المستهتر ..

وقد أجمع العلماء على أن من سبَّ رسول الله ﷺ قد كفرَ واستحلَّ دَمُهُ .. وحقَّ عليه القتل ...

ولا تحتجّ علىّ بالأعرابيّ الذي قال لرسول الله ﷺ "إعدل يا محمد" فاحمرّ وجهه رسول الله ﷺ ، وقال له "ويحك يا أعرابيّ .. ومن يعدل إذا لم أعدل " ، وقام الرسول ﷺ من مجلسه ..

ولا تقتل لي أنّه لم يقتل الأعرابيّ ... فهذا كان شأنُ رسول الله عليه الصلاة والسلام .. العفوُّ والرحمةُ .. وقد كان يعرف المنافقين جميعاً .. ولم يقتلهم .. ولم يؤذهم .. بل كان يستغفر لهم ، حتى أمره الله تعالى ألاّ يصلّي عليهم .. ولا يستغفر لهم ... ،

ورغم ذلك فقد ذكر "القاضي عياض" في "الشفا" أن الرسول ﷺ قد أمر بقتل "كعب بن الأشرف" و"ابن خطل" وجاريّتيه وغيرهم ممن كانوا يسبون الرسول ، وكان يقول لصحابته من يكفيني عدوّي " .. وكان القتلُ للسبِّ والأذى ، وليس للشرك فقط

أمّا أصحابه رضي الله عنهم فقد كانت غيرتهم عليه شديدة .. ولا يتجاوزون عمّن أخطأ في حقّه ﷺ ...

ومن المشهور عن "الإمام مالك" رضي الله عنه أنّه كان لا يركب في طرقات المدينة المنورة ، ويقول رضي الله تعالى عنه : أستحي من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله ﷺ بحافر دابة ...

ولفتة دقيقة أذكرها هنا ، لتعلم نور أرواح هؤلاء القوم ، عليهم رضوان الله تعالى ... ، فمن المعروف أن رسول الله ﷺ قد جُعِلَ قبره الشريف في بيته .. ، بيت "السيدة عائشة" رضي الله عنها ... ثم جُعِلَ قبرُ "أبي بكر" خلفه وعند القدمين الشريفتين ... وكانت "السيدة

عائشة " لاتستتر منهما بنقاب ولاخمار .. ، وكانت تقول : إِنَّمَا هُمَا زَوْجِي  
وَأَبِي .. ، فلما جعلوا قبر " عمر بن الخطاب " معهما .. استترت  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ....

فانظر وتأمل هذه الأرواح العالية .. والأدب الرفيع .. عسى أن  
تلتقط روحك بعض أنوار أرواحهم ....

هذه كُلُّهَا مِنْ مَظَاهِيرِ الْأَدَبِ الْوَاجِبِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ... وللأدب  
كذلك باطنٌ أَىْ أَدَبٌ بَاطِنِيٌّ .

يذكر البخارى ومسلم فى حديث صحيح ، روياه عن أبى هريرة أَنَّ  
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ " يَبْنِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَسُوقُ بَقْرَةً إِذْ رَكِبَهَا ،  
فَقَالَتِ الْبَقْرَةُ : إِنَّمَا خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ ، فَقَالَ الْقَوْمُ : سُبْحَانَ  
اللَّهِ !! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : آمَنْتُ بِهِ أَنَا ، وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ " .. وليس  
فى القوم ....

تأمل هذه الواقعة ... رسولُ اللَّهِ ﷺ يؤمن لأبى بكرٍ ولعمر .. وهما ليسا  
فى القوم .. ومقصود " أبى هريرة " هو أن الرسول ﷺ آمن لأبى بكرٍ  
ولعمر مع غيابهما عن المجلس .... أليس هو يؤمن للمؤمنين !!.

فانظر الى هذه الأرواح المؤتلفة على روح رسولِ اللَّهِ ﷺ حتى  
كأنهم روح واحدة .. غيابهم كحضورهم .. وموتهم كحياتهم ...

وصدق رسولُ اللَّهِ ﷺ حيثُ يقول " لَا تَسْبُوا أَصْحَابِي .. فَلَوْ أَنْفَقَ  
أَحَدُكُمْ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا ، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ " .

فالقضية إذا ليست قضية أفعال .. ولكن ما وفر فى قلوبهم من إيمانٍ ،

وتصديق ، ومحبة لله ، ولرسوله ، قد مَيَّرَهُمْ عَمَّنْ تلاهم من قرون ..  
ولاشك أنَّ وجودهم وقربهم المادى من رسول الله ﷺ والتَّشَرُّفَ برؤياهُ  
والحديث معه والتَّلَقَّى منه .. والتَّشَرُّفَ بلامسة جسده الشريف .. والتمتع  
بوجوده ﷺ بجسده ، وروحه ، ونفسه .. لاشك أنَّ هذا الشرف ، وهذه القوة  
الروحية لاتتكرر على مدى القرون ... ، اللَّهُمَّ إِلَّا مَنْ أكرمَهُ اللَّهُ تعالى ،  
وافاض عليه ما لانعلم من أفضاله وإنعامه .. ولا حرج على فضل الله ....  
وكان الإمام مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وغيره من المحدِّثين ..  
لا يحدثون بحديث رسول الله ﷺ ، إِلَّا وهم على وضوءٍ ، وفى زِيهم  
الكامل وعليهم الهبة والوقار ..

ويقول عبد الله بن المبارك : أنَّ عقرباً قد لدغت الإمام مالك ،  
وهو يحدث بحديث رسول الله ﷺ ، فما حرك ساكناً ، وهو يتلون وجهه  
من الألم ، حتى انتهى من الحديث وتفرَّق النَّاسُ ..  
ودعنا نتحدث دون ترتيب عن بعض أفعال الصحابة مع رسول الله  
ﷺ وكذلك آل بيته وأصحابه .

يقول عمر بن أبى سلمة : لما نزلت ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ  
عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ وذلك فى بيت  
" أمِّ سلمة " .. دعا رسول الله ﷺ فاطمة وحسناً فجلَّ لهم بكساءً ،  
و " على " خلف ظهره .. ثم قال " اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ  
الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً " .

وكان سيدنا أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول " اَرْقُبُوا مُحَمَّدًا فِي أَهْلِ بَيْتِهِ " .

وفَرَضَ " عمر بن الخطاب " في العطاء " لأسامة بن زيد " أكثر مما فرض لابنه " عبد الله " وقال له " كان زيدُ أحبَّ إلى رسولِ اللَّهِ مِنْ أَيْبِكَ ، وأسامةُ أحبُّ إِلَيْهِ مِنْكَ " .

وكان "أبو بكر الصديق " و "عمر بن الخطاب " في خلافتيهما يَقْرَبَانِ " السيدة حليلة السعدية " مرضعةَ النبي ﷺ ، ويسيطان لها ردائهما ، لتجلس عليه ، ويقضيان لها كل حاجاتها.. ، أدبًا مع رسول الله ﷺ .

ويذكر القاضي " عياض " في كتابه المَوْثِقُ " الشَّفا بتعريف حقوق المصطفى " .. أَنَّ " أبا جعفر المنصور " الخليفة العباسي عندما زار روضة رسول الله ﷺ ، سأل " الإمام مالك " رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ " يا أبا عبد الله أَسْتَقْبِلُ الْقَبْلَةَ وَأَدْعُو ، أَمْ أَسْتَقْبِلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ؟؟ " فقال " الإمام مالك " " وَلَمْ تَصْرِفْ وَجْهَكَ عَنْهُ ، وَهُوَ وَسِيلَتُكَ ، وَوَسِيلَةُ أَيْبِكَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ ، بَلْ اسْتَقْبَلْهُ وَاسْتَشْفَعْ بِهِ فَيَشْفِعَهُ اللَّهُ... " ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ (١) ، وحرمة صلى الله عليه وسلم حيًّا كحرمة ميتًا ...

وعندما احتضر سيدنا " بلال بن رباح " نادى زوجته واحزنه ...

---

(١) سورة النساء آية : ٦٤ .

فقال بلال : بل وافرحاه .. غداً ألقى الأحبة .. مُحَمَّدًا وحزبه ..

ويروى " أبو القاسم القشيري " أن " عمرو بن الليث " المشهور  
" بالصَّفَّارِ " وهو من قوَّاد جيوش خُرَّاسان قد رُؤِيَ في المنام .. فسئل ما  
فعل الله بك ؟؟ فقال .. غفر لي .. فقيل : بماذا ؟؟ قال : صعدتُ مرَّةً ذروة  
جبلٍ ، استشرف جنودى ، فأعجبتنى كثرتهم ، فتمنيت أنى حضرتُ رسولَ  
الله ﷺ فأعنته ونصرته ... فشكرَ الله لي ذلك .. فغفر لي ...

ويقول " البراء بن عازب " رَضِيَ الله عنه : " لقد كنتُ أريدُ أن  
أسأل رسول الله ﷺ عن الأمر ، فأؤخِّرُ سنيينَ من هيبته " ..

ودعنى أحدثك عن نوعيَّة هؤلاء الصحابة المباركين ... لتعرف أىَّ  
رجالٍ همَّ .. ولماذا قال عنهم رسول الله ﷺ " خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ  
يَلُونَهُمْ .. " إلى آخرِ الحديث الصحيح ، الذى رواه الحاكم والترمذى عن  
" عمران ابن حصين " ، وقد روى قريباً منه البخارى ومسلم وأحمد عن "   
ابن مسعود " وعن " عائشة أم المؤمنين " رَضِيَ الله عنهم جميعاً ...

الصحابى الجليل " ثابت بن قيس " ، استشهد فى موقعة اليمامة  
فى حربِ الرِّدَّةِ ، ورُؤِيَ فى المنام يقول لمن رآه ، أبلغ " خالد بن  
الوليد " أن درعى قد سلَّبه فلان ، وخبَّاهُ فى مكان كذا وكذا ، فاذهب  
وخذه منه ، وأبلغ " أبا بكرٍ الخليفة " بأن يبيع درعى هذا ، ويسدِّدَ دينى  
وهو كذا لفلانٍ عندى ، وأن عبدى فلان قد اعتقته ...

وأبلغ الرائي " خالد بن الوليد " .. ووجدوا الدرع كما وصف ..  
وأبلغ " أبا بكر الصديق " فسدَّدَ دينه ، واعتق عبده ...

وصية بعد الموت ينفذها " أبو بكر الصديق " !!!

يقول " الإمام مالك " رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ما أعلم وصية أوصى بها صاحبها بعد موته ، قد أُمضيت غير هذه ...

فانظر - رحمك الله تعالى وإيانا - إلى أرواح هؤلاء الصحابة...  
فالحياة والموت عندهم سواء .. أحياء دنيا وأخرى ...

وكان رسول الله ﷺ يقول عن سيدنا طلحة .. " طَلْحَةُ شَهِيدٌ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ " وقال : " طَلْحَةُ مِمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ " ، وهما حديثان صحيحان ، رواهما ابن ماجه والترمذي عن " معاوية " وعن " جابر " و " أبي هريرة " وغيرهم ...

فالأدب مع رسول الله ﷺ يستلزم بالضرورة الأدب مع آل بيته الكرام .. والأدب مع صحابته الأبرار .. وتوقيرهم .. ومحبتهم .. ولا يكون ذكرهم ، والحديث عنهم إلا بالتوقير والمحبة والاحترام .. ، ولاننظر إليهم على أنهم رجالٌ مثلنا .. أرواحهم كأرواحنا .. ونفوسهم كنفوسنا .. وعيوبهم كعيوبنا .. فهؤلاء قد فازوا بالتربية المحمدية .. وتشرفوا بالرؤية والصحبة المحمدية ، وتشبّعوا بأنوار الوحي على رسول الله ﷺ .. ونور ذاته الشريفة ، ونقلوا كتاب الله تعالى إلينا من رسول الله ﷺ نطقاً وكتابةً .. وأوصلوا إلينا أحاديثه ، وأفعاله ، وسنته .. ونشروها على الأمم .. وتركوا أموالهم وديارهم في سبيل الله ، وفي سبيل نصرته دينه .. وحاربوا على قلوبهم جيوشاً وجحافل لا قبلَ لهم بها ، لولا نصر الله لهم .. فأى فضل لهم... وأية كرامة ، نتحدث بها عنهم أكثر من ذلك .. رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى



عنهم أجمعين ، وعن عباد الله الصالحين ، ونحن معهم بفضل الله تعالى  
ورحمته ، فضلاً منه وإحساناً ....

وان كنا قد تحدثنا عن ظاهر الأدب الواجب مع رسول الله ﷺ  
فإن الحديث عن الأدب الباطن معه عليه الصلاة والسلام أجل وأخطر .. ولا  
نهاية لدرجاته ...

فإنما يكون أدبك الباطن معه ، على قدر معرفتك ، وحبك لباطن  
أنواره ﷺ ... ، وعلى قدر إحساسك ، وشعورك ، ويقينك ، بسرّان نوره عليه  
الصلاة والسلام في باطنك .. على قدر ما يكون أدبك معه ...

ولا تظنّ أنّا قد جئنا بغريب ولا شاذٍ .. ، فأنت في كل صلاة تصلى عليه  
صلاة الحاضر ، وتقول .. السلام عليك أيّها النبيّ ورحمة الله وبركاته ... ،  
وتأمل في اللفظ تفهم مقصودي ... فهل تخاطب غائباً أم حاضراً !!! .....

وإذا جاز لك أن تخاطبه ﷺ وأنت في الصلاة .. ، فهل يجوز أن  
تخاطبه في غير الصلاة !!! ... فتصلى عليه في حضرة شهوده ﷺ !!! ..

وهل حضرة شهوده تكون عند الصلاة عليه فقط ، أم عند كلّ برٍّ  
وأداء كل عملٍ من سننه وهديه ﷺ !! وهل يخلو وقتك من سنّيه وآدابه ،  
ظاهراً باطناً ، ليلاً أو نهاراً !!! ...

ونمسك هنا عن الكلام ... فليس كل علمٍ بالتعلم .. وليس كل رزق  
بالسعي إليه .. فهناك رزقٌ تسعى إليه .. وهناك رزقٌ يسعى إليك .. والله تعالى ،  
هو الرزاقُ الفّاحُ العليمُ ، وفضلُ الله واسعٌ .. وكرمه عظيمٌ .. فاقصد وجهَ الله  
يُعَلِّمَكَ .. ويفضُّ عليك ويرزقَكَ .. ويباركُ لك .. ويَزَكِّيكَ أنت ، وما تفعل ...

## • الفرح بمولده ﷺ:

بعد أن تعرضنا لنفحات أنواره ﷺ في الكون كله ، لنا ملحوظة صغيرة ....

فإن من أحبَّ شيئاً .. أكثر من ذكره .. وعظَّمه .. وعظَّم آثاره .. وأكثر الحديث عنه .. ولا يجد مناسبة للتعبير عن هذا الحبِّ إلاَّ اقتنصها...

ويوم مولد رسول الله ﷺ .. إهتزَّ له ديوان كسرى ، وتحطمت بعض شرفاته ، وانطفأت نيران المجوس ، وحُجِبَ عن الشياطين الصعود إلى السموات لاستراق السمع ، كما جاء في القرآن الكريم ، وتقول السيدة " آمنة " أنَّها رأت بمولده نوراً ، أشرق بين المشرق والمغرب...

فهذا " محمدٌ " .. سيد ولد آدم ... وإمام المرسلين ... ونور هداية الله تعالى .. وقد اكتملت الصورة المحمدية بين الروح النبوية العظمى ، وبين الذات الكاملة المطهَّرة ...

وفرحت بمولده ﷺ كلُّ الأكوان .. ، فإنه رحمة الله تعالى للعالمين .. وهو الذي كلَّمته الجمادات والحيوانات ، كما تروى السيرة ... قبل البعثة وبعدها ...

وهو محل نظر الله تعالى ، وعنايته ، منذ ولادته ﷺ .. فشَقَّ الملكُ له صدره وهو طفلٌ ، كما نعلم ... ورعاه ربُّه بالأدب ، وحَبَّاهُ بالخلق العظيم منذ الطفولة ...

ونحن المسلمون أتباع محمد ﷺ .. أوفر الناس حظاً من خيره ، وأرفع الخلق ذكراً برسائله ، ولله الحمد في الأولى والآخرة ...

وإظهار التعظيم لرسول الله ﷺ أمرٌ ضرورى ، فى حدود شرع الله  
وما أمر به رسوله ﷺ ، بحيث لا تُفَرِّطُ ولا تُفَرِّطُ ...

والسعادة والفرح بمولده ﷺ فى قلب كل مؤمن يحب محمدا  
ﷺ ... ، وسواءً أظهر هذا الفرح أم لم يظهره .. فإنه فى قلبه وروحه .. فرحٌ  
بمحمدي ﷺ .. ، نعمة الله العظمى عليه .. ورحمة الله المهداة إلينا ...

وإن تجاوزَ هذا الفرحُ والسرور قلب العبد المؤمن .. فجمع إخوانه  
وأحبائه .. وذكر الله تعالى وصلى على نبيه ﷺ .. وأطعم الطعام للفقراء  
والمحتاجين ، ووسّع على أهل بيته .. وتأسى بسيرته .. وذكر من كان ناسياً  
من المسلمين .. وجمع من كان ذاكراً .. وتعاونوا جميعاً على البر  
والتقوى... وصبغوا هذه الليلة بالذكر والصلاة على رسول الله ، والأمر  
بالمعروف ، والنهى عن المنكر .. وأطعموا الجائع .. وسترُوا العارى ..  
وجعلوا هذه الليلة ليلة من أيام الله تعالى .. بلا تجاوزٍ لأوامر الله  
ورسوله .. ولا تشبهٍ بغيرنا من الملل الأخرى .. ولا إطرأٍ خارج عما أمرنا به ..  
أفيكون هذا بدعة وضلالة ، ونية الناس وغرضهم هى التذكير  
بالله ، ورسوله ، والتأسى بسيرته وأدبه . !!!

صحيح أن المطلوب من المسلم أن يكون هذا الفرح وهذا التأسى  
برسول الله ﷺ ، والذكر ، وعبادة الله تعالى فى كل ليلة ، وفى كل  
وقت...

ولكن إذا قصرَ جهدُ المسلمين عن هذا ، وجعلوا مناسبات روحيةً ،

يستزيدون فيها من العبادة والذكر ، وتعويض ما يفوتهم من ذلك فى كُلِّ الأيام .. فهل نقول لهم ولا هذه !! ، لاتفعلوها فإنَّها مُكر .. واجعلوا يوم مولده كأي يوم من العام !!!

فبدلاً من أن نستزيد من هذه الإحتفالات ، ونجمع الناس لها .. ونأخذ بأيديهم ، ونعلِّمهم ذِكْرَ اللَّهِ تعالى .. ونذكر ناسيهم .. ونعين ضعيفهم .. ونُقَوِّي هِمَمَهُمْ ، ونزيد من حبهم لله ورسوله .. نقول لهم ، هذه بدعة فتفرقوا !!!

وهؤلاء الذين ينادون بأنها بدعة ، يطيلون فى خطبة الجمعة فى المساجد ، حتى يملَّ الناس ، فإذا سألتهم ، قالوا نحن نعلم أن السنة الشريفة تأمرُ بِقَصْرِ الخطبة .. ولكن هذه فرصتنا ، فالناس لا يحضرون المساجد إلاَّ يوم الجمعة ، فنحن نغتنم هذه الفرصة للدعوة والتعليم ...

ومعنى هذا انهم يخالفون سُنَّةَ رسول الله الصريحة الواضحة بدعوى حرصهم على الدعوة والإرشاد عندما رأوا ازدحام المساجد بالمصلين يوم الجمعة ....

فإذا كانت هذه نيَّتُهُمْ وقصدُهم ومبدؤُهم .. وهو الجمعُ على الله .. والدعوة إلى الله ... فليعمدوا إلى هذه الجموع فى المولد ، وما شابهه ويظهروها من البدع والضلالات .. ويعلموا الناس دينهم ، وما يرضى عنه الله ورسوله ...

والقائلون بأنها بدعة .. وكل بدعة ضلالة .. قد جانبهم التوفيق ...  
فإن المقصود بالبدعة الضالة هى ما كانت تَعْبُدِيَّةً ليس لها أساس

من الشرع .. وليست من جنس الأوامر الشرعية ..

وقد صَنَّفَ علماء الفقه مفهوم البدعة إلى أربعة أقسام .. ما بين الحرام .. إلى المستحبَّ المطلوب .. وكلُّها تحت مسمى البدعة ...

والاحتفال بالمولد النبوى الشريف ليس اختراعاً جديداً لعبادة ، ولكنه إظهار لمَحَبَّةِ رسول الله ﷺ ، وتذكير الناس به ، وتعظيم قدره ﷺ ، وشكر الله على هذه النعمة العظمى بالزيادة فى أوجه البرِّ والتقوى ...

وكم من بدعة ظهرت فى الإسلام منذ عهد الصحابة ، وما بعدهم .. ، وقيل عنها إنها بدعة حسنة ، باعتبار مسبباتها ، ونتائجها ... وعلى سبيل المثال :

- جمع القرآن وكتابته .. على عهد الصحابة .
  - جمع الأحاديث النبويَّة وتصنيفها وتدوينها .. على عهد بعض الصحابة والتابعين ومن تلاهم.
  - جمع المصلِّين قِيَامَ الليل فى رمضان على إمام واحد ، وقال عمر بن الخطاب " نِعِمَّتْ البدعة هذه " .
  - جمع الناس على صلاة التهجد فى عَصْرِنَا ، والصلاة جماعة بها.
  - ختم القرآن فى صلاة القيام فى رمضان ، والدعاء جماعة بعد ختمه ...
  - الدعاء جماعة ليلة القدر ، وتأمين الناس على دعاء الداعى ...
- والعلماء لم يستهجنوا هذه البدع ، ولم يرموها بالضلال والمنكر .. ،

فلماذا خُصَّ الاحتفال بالمولد الشريف بهذا الاتهام .. ، والعلماء يستطيعون أن يتخذوا منه منابر للدعوة والهدى !! فضلا عن إيقاظ همم المسلمين ، وتذكُّر ناسيهم ، وإشاعة الفرح ، والسرور ، والروحانية في الأمة الإسلامية كلها !!

والقائلون بأن هذا الأمر لم يكن على عهد رسول الله ﷺ ولا صحابته .. نشير لهم إلى أمرين :

الأول : أن رسول الله ﷺ قال عن صومه يوم الاثنين من كل أسبوع " ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ " ...

وقد خَصَّ رسول الله ﷺ " يوم عاشورا " بالصوم ، وقال " ذَاكَ يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ فِيهِ مُوسَى مِنَ الْغَرَقِ " ...

وعن تعظيم يوم الجمعة قال ﷺ " أَنْ فِيهِ تَمَّ خَلْقُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

فرسول الله ﷺ يحتفل بهذه الأيام تعظيماً لشعائر الله تعالى فيها ...

وتواضع رسول الله ﷺ معروفٌ مشهودٌ به .. فما يدعو الناس للاحتفال بمولده ﷺ .. ولكنه يحتفل به وحده ... فيصومه .. ويذكر أنه قد وُلِدَ فيه .. ويصوم ﷺ هذا اليوم .. ويتركك أنت وحبك له .. هل تجعل لهذا اليوم اعتباراً خاصاً عندك أم لا ...

تماماً كما كان يأمر أصحابه بالألّا يقوموا لمقدمه ﷺ .. وكان "حَسَّان بن ثابت " ، يقوم لقدمه عليه الصلاة والسلام .. وما نهاه الرسول ﷺ .

ويقول "حَسَّان" رضى الله عنه فى حضرة الرسول ﷺ :

قِيَامِي لِلْعَزِيزِ عَلَى فَرَضٍ      وَتَرَكْتُ الْفَرَضَ مَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ  
عَجِبْتُ لِمَنْ لَهُ عَقْلٌ وَفَهْمٌ      يَرَى هَذَا الْجَمَالَ وَلَا يَقُومُ

فلاشك أن لصيام رسول الله ﷺ ، لهذه الأيام ، إشارة الى تعظيمه عليه الصلاة والسلام ، لسيرة وأحداث من سبقه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .. فإن عَظُمْتَ أنت يوم مولده .. فما عليك من بأس .. وشكر الله لك بلاشك .

الأمر الثانى :

لقد كان حب الصحابة لرسول الله ﷺ ، يفوق الوصف والحدود وما كان يغيب عنهم ولا يغيبون عنه ، لا حياء ولا بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

وحيثهم كان على اتصال بميتهم ، وقد سبق أن ذكرنا لك أن أبا بكر الصديق قد أنفذ وصية صحابى ، وقد أوصى بها مناماً بعد موته ، وأرواحهم معلقة بالله ورسوله .. ، فمن منهم كان محتاجاً للتذكير بالله ، وجمع إخوانه ليذكرهم بمولده ﷺ !!

أولئك قوم كانت حياتهم كلها ذكر لله وصلوات وقربى ... وهذا عصر .. ، وما نحن فيه عصر آخر .. ، ونحن فى أشد الحاجة لمن يذكرنا بالله ورسوله ....

أما الذى يتمثل بقول رسول الله ﷺ " لا تُطْرُونِى كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحَ بْنَ مَرْيَمَ " وقوله ﷺ " لا تَجْعَلُوا قَبْرِى عَيْدًا " .

فقد خانه الفهم والتبس عليه الأمر ...

فمن احتفل بمولده ﷺ .. فما أطرى رسول الله كما أطر  
النصارى المسيح بن مريم .. وما قد جعل قبره عيداً ...

فما قال مسلم منذ بعثته ﷺ ، وحتى اليوم أن محمداً إله ، ولا هو  
ابن الله ، وما جعل صورة لمحمدٍ علّقها في منزله ، ولا ركع ولا سجد  
له .. ، ولا ذهب إلى قبره فسجد وركع له .. ، ولا ذبح على قبره ... ، والحمد  
لله رب العالمين ...

فالإسلام محفوظ بالله ، والإيمان في القلوب محفوظ بنور الله  
تعالى في الفطرة عند المسلمين ..

وعلى العموم : فإن الاعتراض على إقامة المولد لم يحدث إلا من  
بعض العلماء ، في القرن الثاني عشر الهجري ، بينما الاحتفال به يقام من  
قبل ذلك بقرون وقرون ، ولم يعترض عليه أحد من العلماء .. ، وهذا يلفت  
الانتباه ..

وقد ذكر "ابن تيمية الحرّاني" في كتابه " اقتضاء الصراط  
المستقيم " ما نصّه " وكذلك ما يحدثه بعض الناس إمّا مضاهاة للنصارى في  
ميلاد عيسى عليه السلام ، وإمّا محبة للنبي ﷺ وتعظيماً له ، والله قد  
يثيبهم على هذه المحبة ، والاجتهاد ، لا على البدع " ، ثم قال فتعظيم  
المولد ، واتخاذهِ موسماً قد يفعله بعض الناس ، ويكون له فيه أجرٌ عظيم ،  
لحسن قصده ، وتعظيمه لرسول الله ﷺ كما قدمته لك ...

وأول من جعل المولد النبوي احتفالاً رسمياً في دولته ، كان هو



الملك " المظفر أبو سعيد كوكبرى بن زين الدين على بن بكتكين " .

وهو أحد ملوك منطقة " إربل " ، وكان عادلاً حكيماً شجاعاً ، وله دور مشكور في تعمير الحرمين الشريفين ، وتمهيد الطريق اليهما ، وهو الذي عمّر الجامع المظفرى بسفح " قاسيون " ، وأقام دوراً للضيافة للمغتربين ، وافتك كثيراً جداً من أسرى المسلمين لدى الفرنجة ، ودفع عنهم فديتهم ..

والمؤرخون يجمعون على صلاحه وتقواه وعلمه .

وهو غير من ذكرهم " الذهبي " في " ميزان الاعتدال " بنفس الاسم وهم :

– المظفر بن أردشير الواعظ .

– المظفر بن سهل المعروف بعباد الشط .

– المظفر بن عاصم .

وكما أن بعض المحدثين لا يوافقون على إقامة المولد النبوي ، فكذلك الكثير من علماء المسلمين الأجلاء الأفاضل العارفين بالله تعالى في كافة الدول الإسلامية من المغرب إلى الهند يستحبونه ، ويؤيدونه ... ونحن مع جمهور العلماء .. لامع القلة الشاذة منهم ... ، فإن الأمة الإسلامية لا تجتمع على باطل .. كما قال بذلك رسول الله ﷺ ...

وكل اجتماع على طاعة الله تعالى ، وحُبِّ رسوله ﷺ ، فيه الالتزام بشرع الله والسنة وإظهار الفرح والسرور على المسلمين ، بما

يرضى الله ورسوله .. فنحن نرجبُ به سواءً كان مولد رسول الله ﷺ أو مولد أحد من بيت النبوة أو أحد الأولياء الصالحين ....

فما قصد المسلمون بذلك إلا وجه الله تعالى و محبة رسولهِ ومحبّة آل بيتهِ ، ومحبة الأولياء والصالحين ... وكلُّ هذا لله تعالى .. فإن اجتمعوا على ذلك ، فيجب أن نستفيد من هذا الاجتماع ونزید فی الدعوة إلى الله .. لا أن نُفرّقهم إلى اللهو في الدنيا والانشغال بالشهوات .

هذا يشرط أن نجتنب البدع فيها ، وأن يكون رائد المحتفلين هو القرآن والسنة والذكر ، وإطعام الطعام .. كما أمر الله ورسوله .

رزقنا الله تعالى وإياك حسن الأدب .. وتماّم التأدّب مع رسولهِ ﷺ وآل بيتهِ وصحابته أجمعين ... وعلمنا من فضله حقّ رسولهِ عَلَيْنَا فِي التَّعْظِيمِ والتوقيرِ ،

ورزقنا من جوده وإحسانه حقيقة محبته ظاهراً باطناً ... وجعلنا وإياكم من خيار محبيه .. ومن أصدق محبيه .. وجعلنا جميعاً في كتابهِ ﷺ صلاةً ، وتسليماتٍ ، وبركاتٍ ، ورحماتٍ ، ورضواناً .. ورضواناً من الله تعالى أكبر ، عليه وعلى آله وصحبه ، وكلّ وليٍّ ، وكلّ تقيٍّ ، وكلّ مؤمنٍ ومؤمنة .... والحمد لله ربّ العالمين ... حتى يرضى عنا .. فنكون ممن رضى الله عنهم ورضوا عنه .. وذلك هو الفوز العظيم ....

وهذا الباب لانهاية للكلام فيه .. فنكتفى بهذه الإشارات .. غير نقطة أخيرة نشير إليها باختصار ألا وهي :

## • ميراث رسول الله :

فلعل سائلاً يسأل فيقول : إن رسول الله ﷺ قد انتقل إلى الرفيق الأعلى ...، وصحابته . والتابعون .. وخير القرون قد أفضوا إلى ربهم .. وآل البيت المحمدي .. قد طال العهد بينهم وبين جدّهم ... وازدادت الفتن .. وعمّ الفساد ... فأين نحن من هذه الأنوار .. وأين هذه الأنوار منا ... !!!

نقول وبالله التوفيق :

ما كان الله تعالى ليخلي أكوأنه من ذكرٍ له حق .. وآية له بيّنة .. ولاتقوم الساعةُ وعلى الأرض من يقول الله .. الله ..

يقول ﷺ " لا تقوم الساعةُ حتّى لا يُقال في الأرض : الله .. الله .. " .. حديث صحيح ، رواه أحمد ومسلم والترمذي عن " أنس " وقال ﷺ : " ولا تزال طائفةٌ من أمتي ظاهرين حتّى يأتيهم أمرُ الله وهم ظاهرون " وهو صحيح ، رواه الشيخان عن " المغيرة " .

ويقول ﷺ : " أمتي أمةٌ مباركةٌ ، لا يدرى أولّها خيرٌ أو آخرُها " .. حديث حسن ، رواه ابن عساكر عن " عمرو بن عثمان " مرسلًا ..

ويقول ﷺ : " لن تخلو الأرضُ من أربعين رجلاً مثل خليل الرحمن : فبهم تُسقون وبهم تُنصرون ، ما مات منهم أحدٌ إلا أبدل الله مكانه آخر " .. وهو حديث حسن ، رواه الطبراني في الكبير عن " أنس " ... وفي رواية " ثلاثين رجلاً " ،

وقال : "الأبدالُ في هذه الأمة ثلاثون رجلاً .. قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن ، كلما مات رجلٌ ، أبدل الله مكانه رجلاً " وهو صحيح ، رواه أحمد في مسنده عن " عبادة ابن الصامت " .  
فلا تخلو الأرض .. ولن تخلو من موحّد .. وذاكر لله تعالى .. وداعٍ إليه جلّ شأنه ....

وقد مدح الله هذه الأمة بدعوتهم إلى الخير ونهيتهم عن المنكر ، حيث قال جل شأنه : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ <sup>(١)</sup> وقال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup>

فقارئ كتاب الله تعالى .. ، والناطق بحديث رسوله ﷺ ... ، ومعلم الناس الفقه والأحكام الشرعية .... ، وكل داعية إلى الله ورسوله .. ، وكل ناصح لله ورسوله .. ، وكل أمر بمعروف .. ، وكل ناه عن منكر ... ، كل هؤلاء هم حملة دعوة الإسلام ، ويتحدثون بميراث رسول الله ﷺ .. ، وجزاهم الله عن الإسلام خيراً ...

وكذلك كلُّ تقيٍّ نقيٍّ عابدٍ مخلصٍ ذاكرٍ مسبحٍ لله تعالى .. هو من حملة ميراث نبوة ورسالة رسول الله ﷺ ...

والصنف الأول : هم دعاة علماء بشريعة الله وسنة رسوله ،

---

(١) سورة آل عمران آية : ١١٠ . (٢) سورة التوبة آية : ١٢٢ .

وَالصَّنْفُ الثَّانِي : عُمَالُ بَكْتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ ...

وقد يجتمع الصنفان في رجل واحد ، فَيَتِمُّ اللَّهُ عَلَيْهِ نِعْمَتُهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ، فيكون عالمًا بشرع الله تعالى وعالمًا به جَلَّ شَأْنُهُ ...

وليس مقصودنا من هذا التصنيف .. أَنْ الْعَابِدَ الذَّاكِرَ لِلَّهِ تَعَالَى قَدْ يَكُونُ جَاهِلًا بِالْأَحْكَامِ ، بَلْ كِلَاهُمَا - الصَّنْفُ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي - لَا بُدَّ ، وَأَنْ يَكُونُ عَالِمًا بِحُدُودِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ ، فَلَا يَبْتَدِعُ وَلَا يُفَرِّطُ .. ، وَلَكِنْ مَقْصُودُنَا أَنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا رِسَالَةٌ ، يُتَقَبَّحُ ، وَيَدْعُو إِلَيْهَا .. فَالْعُلَمَاءُ بِالشَّرِيعَةِ يُحَدِّثُونَكَ بِالْأَسَانِيدِ وَيَقْدُونَ أَقْوَالَ الْأَئِمَّةِ وَتَصَانِفَهُمْ .. وَيَتَحَدَّثُونَ بِالْآرَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ وَهَكَذَا .... وَالْعَابِدُونَ الذَّاكِرُونَ قَدْ لَا يَكُونُ لَهُمْ بَاعٌ فِي هَذِهِ الْمَسَائِلِ ، وَإِنَّمَا هُمْ قَائِمُونَ بِدَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ، وَتَقْدِيسِهِ ، وَتَرْبِيَةِ نَفُوسِهِمْ ...

وَعَلَى آيَةٍ حَالَةٍ فَالصَّنْفَانِ لَا بُدَّ ، وَأَنْ يَكُونَ لِهَذَا مِيزَانٌ ظَاهِرٌ .. فَلَا يَتَعَدُّونَ حُدُودَ اللَّهِ تَعَالَى .. وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونُوا زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا .. خَالِصِينَ فِي سُلُوكِهِمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ... وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونُوا أَسْوَةً حَسَنَةً .. وَقُدُوةً صَالِحَةً ...

فَمَنْ ادَّعَى الْعِلْمَ ، وَلَمْ يَزْهَدْ فِي الدُّنْيَا ، وَلَا يَرَى أَنَّهَا لَا تَسْوَى عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ .. فَمَا هُوَ بِعَالِمٍ وَلَا فَقِيهٍ وَمَنْ ابْتَغَى مِنْهُمَا السُّمْعَةَ وَالشُّهْرَةَ فِي الدُّنْيَا ، فَمَا لَهُ عِنْدَ اللَّهِ وَزَنٌ وَلَا قَدْرٌ ... فَإِنَّمَا هُوَ يُطِيعُ هَوَى نَفْسِهِ لَا غَيْرَ .. وَالْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ كَمَا قَالَ ﷺ ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ

ورسوله فهِجَرْتُهُ إِلَى اللَّهِ ورسوله ، ومن كانت هِجَرْتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أو  
امْرَأَةٌ يَنْكِحُهَا ، فَهِجَرْتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ ...

وما كان كُلُّ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُفَظًا لِكُلِّ كِتَابِ اللَّهِ ، ولا  
كانوا كلهم يروون كل أحاديث رسول الله ﷺ ... وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا كُلُّهُمْ  
حَافِظِينَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَأَحْكَامِهِ ، وعاملين بسنة رسوله ﷺ .. كل على قدر  
طاقته وفهمه ...

وبعد انتقال رسول الله ﷺ إِلَى الرفيق الأعلى... ما كان يتعرض  
لِلْفُتْيَا لِلنَّاسِ ، إِلَّا أَقَلَّ الْقَلِيلِ مِنَ الصَّحَابَةِ ، بَلْ كَانُوا يَتَدَافَعُونَ الْفُتْيَا  
وَلَا يَعْرِضُونَ أَنْفُسَهُمْ لَهَا ... وذلك من شِدَّةِ خَوْفِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ..  
وَتَحَسُّبًا لِخَطِئٍ غَيْرِ مَقْصُودٍ مِنْهُمْ قَدْ يُوْدَى بِهِمْ ... وَكُلُّ هَذَا احْتِرَامًا لِكِتَابِ  
اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ ، وكان " أبو بكر " يستشير كبار الصحابة وعلى  
رَأْسِهِمْ " عمر بن الخطاب " .. كما أن " عمر " يستشير " الإمام على وابن  
عباس " وغيرهم .. وقد يحدث أن يختلفوا .. ولكن اختلافهم ، لا يزيدهم  
إِلَّا وَرَعًا واحترامًا ومحبةً لبعضهم البعض...

وعند جمع القرآن .. ما كانوا يكتبون آيةً إِلَّا بِشَاهِدَيْنِ عَدْلَيْنِ ..  
حَفَظًا وَكِتَابَةً .. حتى كانت آخر سورة التوبة التي شهد بها " خزيمة " كما  
سبق ذكره من قبل ... رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ سَادَاتِنَا الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ..

وكان هذا الحرص نفسه في تدوين أحاديث رسول الله ﷺ ..  
حتى أنهم وضعوا عِلْمًا جَدِيدًا اسْمُهُ الْجَرْحُ وَالتَّعْدِيلُ ، وذلك لتوثيق

الحديث والحكم على صِحَّتِهِ ، ومدى عدل الرواة ، وتسلسلهم ، ومن رواه لمن .. ومتى رواه .. ومتى قابله ... الخ ، ومن المعروف عن " الإمام البخاري " رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ لَا يُوثِّقُ حَدِيثًا وَلَا يُدَوِّنُهُ إِلَّا بَعْدَ التَّوَثُّيقِ الْكَامِلِ لِمَتْنِ الْحَدِيثِ ، والتأكد من أن الرواة عُذُولٌ .. ثم بعد كل هذا يصلي ركعتي الاستخارة لتدوين ذلك الحديث ....

وكذلك كَلَّفَ " الإمام علي " كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ .. " أبا الأسود الدؤلي " ، ليضع قواعد النحو والصرفِ للغة العربية ، تيسيراً للأعاجم الذين دخلوا في الإسلام ، خِلالَ الفُتُوحَاتِ الإسلامية وحفاظاً على كتاب الله تعالى تلاوةً وكتابةً ...

وبانتشار الصحابة في الأمصار المفتوحة بدأ ظهور علماء " الفقه " وبدأ تبويبه في نهضة عظيمة ... وظهر النبوغ في رجال الأمة الإسلامية ، ... وأسست المدارس والجامعات ، وكانت بدايتها كلها في المساجد سواء في المدينة المنورة أو في العراق ، والشام ، ومصر ، والمغرب ، والأندلس ..

وكان الذين يتعرضون للتدريس والتعليم يُجَازُونَ أولاً من مشايخهم في هذا الفن الذي يدرّسه كُلُّ مِنْهُمْ لتلاميذه ... فهذا في تلاوة القرآن الكريم .. وهذا في رواية الحديث عن رسول الله ﷺ .. وذاك في الفقه وأبوابه .. وآخر في اللغة وفنونها ... وكلهم يتصل بسلسلة مشايخه وأساتذته إلى رسول الله ﷺ .... فالقرآن وتلاوته إلى رسول الله .. والأحاديث ورواياتها إلى رسول الله .. والفقه وأحكامه إلى رسول

اللَّهُ ﷺ إِمَّا قَوْلًا .. وَإِمَّا فِعْلًا .. وَإِمَّا تَقْرِيرًا .. والتقرير معناه أن الرسول ﷺ  
رآه فآقره ، ولم يعترض عليه ....

فالجَمِيع شيخهم هو رسول الله ﷺ ... ومنتهى علمهم إلى رسول  
الله ﷺ ...

وهذا ميراثه ، الذى يعملون فيه وبه .. وكانوا -عليهم رِضْوَانُ  
الله - يروون الأحاديثَ النَّبَوِيَّةَ بأسانيدِها .. فيقولون حَدَّثَنَا فلان .. عن  
فلان .. عن فلان عن رسول الله ﷺ ، أنه قال أو فعل كذا وكذا .

وفى نهاية القرن الثانى الهجرى .. وكان العالم الاسلامى قد توسَّع  
واستقرَّت أركانه .. ، وازداد دخله وتوسَّع الناس فى معيشتهم ودنياهم ..  
فظهر من ينادى بالزهد ، ويتكلم فى المعارف الإلاهية والأُمُور  
التربوية النفسية ، والأنوار الروحية ، وكانوا ينتسبون فى شأنهم هذا إلى  
سلسلةٍ متصلةٍ إلى رسول الله ﷺ من خلال " أبى بكر الصديق " و "على  
بن ابى طالب " و " سلمان الفارسى " وغيرهم من الصحابة ، فلما عرفوا  
بالزهد وكثرة الذِّكْرِ المجرّد لله تعالى والورع والصَّلاح .. وكان عهد  
الصحابة قد انقضى وكذلك التابعين ، فقد أطلق الناس على أصحاب هذا  
المنهج مسمى " الصوفية " ... إِمَّا نسبةً إلى أهل الصُّفَّةِ زمن رسول الله  
ﷺ الذين كانوا شَبَّهَ متفرغين للعبادة والجهاد مع رسول الله ﷺ .. وإِمَّا  
نسبةً إلى الصفاء الروحى الذين كانوا يعيشون فيه ويتحدَّثون عنه ... ، وإِمَّا  
نسبةً إلى لباس الصوف الخشن ، الذى يُعتَبَرُ عنواناً ودليلاً على زهد لابسِهِ  
فى الدنيا وزينتها ....



وكان بينهم الحكيم "محمد بن علي الترمذى" ، و "الحسن البصرى" و "جعفر الصادق" و "موسى الكاظم" و "ابن سيرين" و "حبيب العجمى" و "داوود الطائى رفيق أبى حنيفة النعمان" و "والنون المصرى الأخميمى" و "الحارث المحاسبى" والإمام "القشيرى" و "معروف الكرخى" صاحب الإمام "أحمد بن حنبل" ،...، وغيرهم ...

ثم ظهر من أعلامهم الإمام "الجنىد" و "السهروردي الكبير والصغير" .. وبهما مع "السراج الطوسى" بدأوا فى تدوين منهجهم ليكون موثقاً لهم .... رضى الله عنهم جميعاً

ثم جاء من بعدهم من شطح فى كلامه ، وتحدث عما يقولون عنه "وحدة الوجود" و "الحلول والاتحاد" ، وأمثال هذه الفلسفات ، التى كانت سمة عصرهم ، حيث ظهر علماء الكلام .. وأهل المناظرات والجدل... فى كل نواحي الحياة الثقافية الإسلامية آنذاك .. ، مما حدا ببعض علماء عصرهم أن يحاربوا من شطح منهم ، وتعرض الكثير منهم لمحنٍ وابتلاءاتٍ ، حصداً لكلامهم ، وفلسفتهم ، ورمزيتهم فى التعبير ، وكنياتهم الخفية فى الحديث ..

فأخذ العلماء عاطلهم بباطلهم ، وهاجموا الجميع دون تفرقة بين العثِّ والثمين ، ولم يفرقوا بين طوائفهم ، وشاطحهم ، ومعتدلهم ..

وكان من المهاجمين لهم الإمام "إبن تيمية الحرانى الدمشقى" ، .. ولكن تلميذه "ابن القيم" اعتدل فى هجومه عليهم ..

وخصَّ من شطح منهم بالقول أو الفعل بالاعتراض عليه ، ووافق المعتدلين منهم ، ورأى أنَّهم هم أهل السنة والجماعة ...

ويذكر التاريخ مناظرةً مشهورةً بين " ابن تيمية الحرَّاني الدِمَشقي " و " ابن عطاء الله السكندري " بالقاهرة ... ، حيث كان اعتراض " ابن تيمية " على الانحرافات التي حدثت في بعض طوائف الصوفية ، وليست الصوفية نفسها ، وكذلك ليست كل طوائفها ... وأوضح " ابن عطاء الله " له فساد هؤلاء الشاطحين في أفعالهم ، أو أحاديثهم ، وبَيَّن " لابن تيمية " بعض مقاصد ورموز الصوفية في كلامهم ، وكيف أن لها مغزى شرعياً صحيحاً .. ، مما حدا " بابن تيمية " في النهاية بأن يسلم " لابن عطاء " بصحَّة منهجه .. وتحفظ فقط على الشاطحين من الصوفية ...

وقد كان هذا اللقاء في أواخر سنيِّ حياة " ابن تيمية " ، وبعد خروجه من السجن ... وراجع كتب التاريخ لمزيد من التفاصيل ...

وقد أنبت هذه الطائفة علماءً أجلاء ، في علوم الشريعة والحقيقة معاً ، " كابن دقيق العيد القوصي " ، و " العزُّ بن عبد السلام " ، و " ابن عطاء الله السكندري " ، و " أبي الحسن الشاذلي " ، و " الإمام الرفاعي " ، و " السيد أحمد البدوي " ، و " أبو الحجاج الأقبصري " ، و " السيد عبد الرحيم القناوي " ، و " أبي العباس المرسى " ، و " إبراهيم الدسوقي " ... وغيرهم الكثير ...

وكذلك من أشياخ الأزهر القدامى والمحدثين ومن العلماء بالدولة الإسلامية ، ومنهم " ابن عابدين الحنفى الدمشقي " ، والإمام

"النووى"، و"عمر بن الفارض" والإمام "الجوينى"، والإمام  
"مكين الدين الأسمر"، والإمام "الشعرانى"، والإمام "الفولى اليمنى"،  
والشيخ "أحمد الدردير"، ومن المحدثين مثل الشيخ "عبد الحليم  
محمود"، و"إبراهيم أبو العيون"، و"محمد أبو العيون"، و"الجعفرى"،  
و"الشرقاوى"، و"الشرراوى"، و"ابن فتح الله"، و"السبكى"  
ومن تركنا ذكرهم خوفا من الإطالة هم أضعاف من ذكرنا ....

ولكن لاحظ أن كل هؤلاء الورثة لابد وأن يكونوا مُجَازِينَ من أهل  
الإجازة... وبمعنى أدقّ.. فقد قلنا أن رواة الحديث وقارئ القرآن وأئمة  
الفقه و كل العلوم الشرعية، كانوا دائما يذكرون نسبهم الروحى وسلسلة  
أئمتهم حتى ينتهوا بها إلى سيدنا رسول الله ﷺ ..

وكذلك هذا ما يجب فى أهل الباطن وحملة الأنوار النبوية  
و مربىّ الأرواح والأنفس .. فلا بد أن تكون لهم سلسلة تنتهى بهم إلى  
رسول الله ﷺ ... بل ولا بد أن يكون لهم شاهدان عدلان على الأقل  
على صدق دعواهم ....

فليس كل من ادعى العلم نُسَلِّمُ له يُعَلِّمُهُ ... وليس كل من طلب  
الكلام فى العلم نُسَلِّمُ له يُعَلِّمُهُ وكلامه دون سند له فى علمه ...

والتربية الروحية شأنها خطير ... وخطرها جليل ... والخطأ فيها  
قاتل ومميت للنفس والروح .. فلا بد أن يكون لمدعى هذا الأمر من ثبات  
وتثبّت لا يقبل الشك .. وليس بدعواه هو فقط بل بشهادة الشهود ...

وفى النهاية كُلُّ حسابهِ على الله تعالى .. وهو أعلم بمن اتقى...  
والإشارة تغنى عن العبارة ... وأهل هذا الفن يفهمون ما أقصده .....

وقد عاصرنا بعضاً منهم - من فضل الله علينا - وكلهم رضى الله  
عنهم قد ظهرت على أيديهم كراماتٌ وفتوحات تؤيد صدق منهجهم ...  
وصدق انتسابهم الى جدّهم الأعلى سيدنا رسول الله ﷺ ... وهل هناك  
كرامةٌ لولّى أعظم من هداية الله تعالى للخلق على يديه .. وتغيير قلوبهم  
إلى حب الله ورسوله عليه الصلاة والسلام !!!

وكل هؤلاء القوم - كما سمعنا منهم أو قرأنا لهم - مذهبهم هو  
مذهب أهل السنة والجماعة .. وما كانوا يحيدون عن سنة رسول الله ﷺ  
قيد أنملة ...

ثم تميّز كُلُّ منهم بمنهج تربوى فيه ذكر الله تعالى ، وتربية النفس ،  
وتقويتها ، وتنقيتها ، وتطهيرها من أدناسها ....

رضى الله تعالى عنهم جميعاً وعنا معهم .. وألحقنا بهم على خير  
بإذنه تعالى ...

كل هذه الأصناف التى ذكرنا ومن شابههم من الرجال .. هم من  
ورثة وحملة ميراث وأمانة سيدنا رسول الله ﷺ ...

وقد كان لهذه الطرق الصوفية اليد الطولى فى نشر الإسلام فى  
الهند ، وشرق آسيا ، وأفريقيا ... ، وجهاد السادة الأدارسة والسنوسية فى  
غرب ووسط افريقيا ، وكذلك نشاط السادة القادرية .. مشهود له فى وسط  
وجنوب السودان ، بما أقاموا من خلوات فيه ، وكذلك خانقاوات للتعليم

ونشر الدين وتعليمه ، وذكر الله وعبادته ، وكذلك فى محاربة المستعمرين  
الأجانب ، وكذلك كان لهم تاريخ مشرف فى الحروب الصليبية على  
الشرق... وأرجع إلى كتب التاريخ لمعرفة التفاصيل لمن يريد المزيد ...

وإن كانت بعض هذه الطرق قد انحرفت قليلا عن مسارها الشرعى  
حديثا ... فان هذا لا يدعونا الى تعميم الحكم على الجميع ...

وما الجهل الذى أحاط ببعضهم ، إلا جزء من الجهل والفساد ،  
الذى ظهر فى الأمة الإسلامية كلها .. وهم جزء من الأمة يصيبهم ما  
أصابها ... ، وكما أن الإسلام برئ من هذه التجاوزات ، على مستوى الأمم  
والشعوب الإسلامية ... ، فكذلك الصوفية بريئة مما حدث لبعض طوائفها من  
انحراف ... فلا الإسلام نفسه مُتهم .. ولا الصوفية نفسها مُتهمة .. بل يوجه  
الإتهام لمن يقومون بالتطبيق ...

ولا تخلو الأرض .. ولن تخلو حتى قيام الساعة من أمثال هؤلاء  
الورثة .. إكراما لرسول الله ﷺ ... وتصديقا ، وتأكيدا لدوام رسالته ..  
وبركات أنواره .... ، رضى الله عنهم جميعاً .. ، وألحقنا بهم نسباً وحسباً ..  
وأمدنا بأمدادهم ، وأنوارهم ، وأسرارهم المستمدة كلها من أمداد وأنوار  
وأسرار صاحب الشريعة رسول الله ﷺ المبعوث رحمة للعالمين أجمعين ...



الباب الرابع  
الحَضَرَات الإِلَهِیَّة





## ● الحاضرة :

لا نريد الدخول فى تعريفات فلسفية .... ولا أن نتقيّد  
بكلام غيرنا ....

لذلك نقول ببساطة ، أن الحاضرة هى الحضور ... من حضر ...  
يحضر حضوراً .. فهو حاضر ونحن فى حضرته ...

والحاضر هو ضد الغائب ... فمن حُضِرَ فأنت فى حضرته .. وإن  
كان العُرف قد جرى على نسبتها إلى من هو أعلى مقاماً ... فتقول أنت فى  
حاضرة السلطان ، وليس السلطان فى حضرتك ...

وباختصار .. فكلُّ حاضرٍ أعلى منك مقاماً فأنت تكون فى  
حضرته ... وهى كذلك كلمة تعظيم .. فتقول حاضرة السلطان ..  
وحاضرة مولانا .... وهى بذلك إشارة لطيفة إلى عظمة مَنْ  
تصفه .. ذلك أن عظمة وهيبة من نتحدث عنه تتجاوز شخصه ونعم  
المجلس كله .. وتسيطر على المكان الذى يوجد هو فيه ...

وهذا التواجد لمن نعى فى مكانٍ ما .. يجعل للمكان  
والمجلس صفاتٍ وخواصاً مستمدة من صفاته ... من عظمة أو كرم  
أو علمٍ أو بأسٍ .. وغيرها ..

والغريبُ أن هذا الاحترام للسلطان ولحضرته ولمجلسه يكون في حضور السلطان أو في غيابه ... فلو دخلت قاعة الملك، ولم يكن الملكُ حاضراً فيها ، فلا يجوزُ لك أن تجلس على كرسى العرش ، ولا يجوز لك أن تعبت بممتلكاته في القاعة ... اللهم إلا في حدود ما أمر هو ، وسمح به ، لحكمةٍ هو يراها ...

والمُلك غيرُ الحضره ... فالمُلك هو كُلُّ ما بسطَ الملكُ سلطانه عليه .. ، وأنت ملزمٌ بتطبيق قوانينه وتشريعاته في مملكته .. فلا بُدَّ من طاعته .... واحترام حدوده ... فإن لم تفعل فقد دخلت تحت طائلة عقابه.

ولكن الحضرة غيرُ ذلك ....

فأنت في الحضرة مطالب بالأدب العالي الذي يناسب حال الملك، حتى تنال رضاه عنك ومحبه لك ... وهذا يستلزم منك معرفة بصفاته وخلقه .. فتعرف كيف تسترضيه إذا غضب .. ومتى وكيف تحدّثه لتستجلب كرمه وإحسانه وعفوه ... ومتى تُقدِّم ومتى تُحجِّم .. وهكذا.

فمُجالسةُ الملوك يلزمها غير اتباع الأوامر والنواهي ، الأدب العالي والذوق والحسُّ المرهف في حضرة الملك ...

والخطأ في حضرة الملك .. ليس كالخطأ بعيداً عن مجلسه ... ، فإن الصغيرة قد تودى بصاحبها إلى الهلاك .. فإن السائر على قمة جبل لا تكون زلة قدمه كالسائر على الأرض ...

وكذلك أهل حضرة المَلِكِ يكونون هم أغنى الناس بعطاياه  
وهداياه ... ويكون لهم عند المَلِكِ كلمة وشفاعة فى رعيّته .. ، وكذلك  
يكونون على خطر عظيم خوفا من أية زلّةٍ مهما صغرت ....

وخلاصة ما نعيه ، هو أن أهل حضرة السلطان هم خلاصة  
قومه .. وأهل الثقة وأصحابُ سرِّه ، وموقع نظره وكرمه ، وهم كذلك  
أهل المعاناة مع أنفسهم وأرواحهم ، للوصول إلى الأدب العالى  
اللازم للحضرة ...

هذا ما نعلمه وما جرى به العرف بين أهل الدنيا ....

وانظر إلى قوله تعالى : ﴿ يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۝ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُفُوتَهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ۝ يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ۚ إِنَّ اتَّقِيْتَنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۝ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ۚ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۝ ﴾ (١)

وواضح من هذه الآيات أنه وإن كانت هذه الآداب يجب أن تلتزم بها المرأة المسلمة على إطلاقها .. فلا تخضع بالقول ، ولا تبرج ، ويجب أن تتقى الله تعالى ، وأن تطيع الله ورسوله ، ولكنها تخص أهل بيت رسول الله ﷺ بمزيد من العناية والآداب ، ويخبرهن الله تعالى ، أنهن لسن كعامة النساء . فإنهن أهل بيت

(١) سورة الأحزاب آية : ٣٠ - ٣٣

رسول الله ﷺ ... وَيَعِشْنَ فِي حَضْرَتِهِ الدَّائِمَةُ الْمُنِيرَةُ بِنُورِ اللَّهِ  
تَعَالَى ... لِذَلِكَ فَالْثَوَابُ فِيهَا مُضَاعَفٌ وَالتَّحْذِيرُ أَشَدُّ .. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ  
تَعَالَى أَذْهَبَ عَنْهُنَّ الرِّجْسَ ، وَطَهَّرَهُنَّ تَطْهِيراً إِكْرَاماً لِمَعِيَّةِ وَحَضْرَةِ  
رَسُولِهِ ﷺ ... وَلِذَلِكَ فَهِنَّ لَسَنَ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ...

ويقول تعالى : ﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا  
تَجْهَرُوا لَهُ ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ  
وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ (١).

ويقول : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ  
بَعْضًا ﴾ (٢).

ورفع الصوت ينافى الوقار .. وكذلك من يكون في حضرة رسول  
الله ﷺ فَيَجِبُ أَنْ يَلْتَزِمَ بِالْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ وَالْأَدَبِ اللازم لحضرته ﷺ .. فلا  
يبدأه بالقول ، ولا يرفع صوته ، ولا يخاطبه مخاطبة الند للند ....  
كل هذا من آداب الحضور في مَعِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ....

ونستطيع القول بأن المجالسين لحضرة عظيم من العظماء ، يلزمهم  
الأدب العالي المناسب لمقامه .. فضلا عن أن حواسهم من سمع وبصر  
وعقل لابد وان تكون حاضرة ، لصاحب الحضرة ... أعينهم عليه ...  
وأسماعهم معه ... وعقولهم مع أحواله .. ولا يصح ولا يجوز لهم أَنْ يَنْشَغِلُوا

(١) سورة الحجرات آية : ٢ .

(٢) سورة النور آية : ٦٣ .

عنه بأى شاغلٍ سواه ، ولا أن يصرفوا أنظارهم إلى موجودٍ غيره ....  
فإذا ذكرنا أن آل بيت النبي ﷺ لهم ولهن آداب خاصة .. وأحكام  
مخصوصة لحضور حضرته ﷺ لتواجده الشريف بينهم ... فإن هذا ينطبق  
بلا شك على من فتح الله عليه ، وأكرمه برفع الحجب عنه ، واستشعر  
وجود أنوار رسول الله ﷺ معه ...

وقد سبق لنا القول بأن نور محمد ﷺ يسرى بالهداية في البشر  
أجمعين ... وأنه لا يصدر فعلٌ برٍّ من مخلوقٍ ، إلا يسريان نور محمد ﷺ فيه ...

فالذين يستشعرون هذا النور معهم ... ويتذوقون هذه المعاني العالية ..  
فهم في الحقيقة يكونون في أنوار الحضرة المحمدية .. وأسرار الحضور  
النبوي .. فيكون لهم أدبٌ خاصٌ في مجالسهم وحديثهم ومعاملاتهم ... وعلى  
قدر حضورهم في هذه المعية المباركة ... على قدر ما يكون سمو أخلاقهم ...  
وعلى قدر ما يكون سمو أخلاقهم ، على قدر ما يكون حضورهم في هذه  
المعية المباركة ... انظر إلى الواقعة المشهورة التي يذكرها كتاب السنة الشريفة  
... حيث كان " أبو بكر " جالساً في مجلس رسول الله ﷺ .. فجاء رجلٌ  
وسبَّ " أبا بكر " رضى الله عنه .. و" أبو بكر " صامت لا يردُّ .. فلما ردَّ " أبو  
بكر " على الرجل قام ﷺ وترك المجلس ، فلحق به " أبو بكر " ، سائلاً رسول  
الله ﷺ عما أقامه من مجلسه .. فقال له ﷺ : " لَقَدْ كَانَتْ الْمَلَائِكَةُ تَرُدُّ  
عَنكَ وَأَنْتَ صَامِتٌ فَلَمَّا رَدَدَتْ أَنْتَ ذَهَبَتْ الْمَلَائِكَةُ وَحَصَرَ الشَّيْطَانُ وَلَا  
أَجْلِسُ فِي مَجْلِسٍ يَخْضَرُهُ الشَّيْطَانُ " ...

فحضره رسول الله ﷺ .. هي النور .. والبر .. والطاعة لله تعالى .. والخير كله .. ولا يكون فيها الشر .. ولا يكون لإبليس فيها جلس ...

فعباد الله تعالى الخالصين المخلصين .. يعيشون في حضرة رسول الله ﷺ .. تحيطهم أنوار النبوة والرسالة .. وأنوار الهداية والطاعات ... ومن هنا كان قول كثير من الصالحين أمثال ”أبي الحسن الشاذلي“ و”أبي العباس المرسى“ وغيرهم ، ”لو غاب عنى رسول الله ﷺ طرفة عين ما عدت نفسي من المؤمنين“ ...

وكلامهم هذا ، يلتبس على بعض الناس الذين يُحَجِّرُونَ تفكيرهم وحدود عقولهم بالماديات ، وقوانين الأرض المادية .. فهم يتصورون حضوراً عادياً كحضور البشر .. ويتساءلون كيف لا يغيب عنه رسول الله .. وأين هو من رسول الله !!! مكاناً .. وعصراً !!!

ولعل الأمر الآن قد وضح للقارئ ... ومقصود القائلين قد ظهر بهذا الإيضاح ... بل أننا من حقناً أن نتمادى في شرح هذا الأمر .. فلا نحصر المعنى المقصود من ساداتنا أصحاب هذه المقولة بما قد شرحناه ..

فما المانع أن يكون لحضور رسول الله ﷺ حضوراً آخر غير حضور أنواره وأنوار هدايته .. !!

يقول ﷺ : ”مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَسِيرَانِي فِي الْيَقَظَةِ وَلَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي“، وهو حديث صحيح ، رواه البخاري ورواه مسلم ورواه أبو داود وكلهم عن ”أبي هريرة“.

فإمكانية رؤية رسول الله ﷺ يقظة أمر قائم ومحمّل بنص حديث الرسول ﷺ .. وهى بشرى منه ﷺ ما بعدها بشرى ...

ولسنا فى احتياج إلى شرحٍ ولاتأويلٍ لهذا النصِّ الصريح الواضح ... وقد ألفَ الإمام "جلال الدين السيوطي" رضى الله عنه كتاباً باسم "تنوير الحالك في إمكان رؤية النبي والمَلَك"، يمكن للقارئ الرجوع إليه .. و"الإمام السيوطي" حُجَّةٌ وثبت رضى الله عنه، ولا يَنكُرُ علمُه ولا فَضْلُه .. وقد أثبت في كتابه إمكان رؤية الملائكة والأنبياء يقظة ، وساق الكثير من الأدلة والبراهين على ذلك ...

ولاتنس أننا نتحدث عن مستوى إيماني رفيع .. وأرواح عالية طاهرة .. صَفَتْ وَتَخَلَّصَتْ من حُجُبِ النفس ، وشهوات الدنيا .. واستنارت الأرواح بنور الله تعالى ، فجازَ لها أن ترى ما لا يراه غيرها ، من البشر العاديين ، الذين لا يتورعون أن تنظر أعينهم إلى حرام .. لذلك فهم يتعاملون مع عوالم أخرى غير عالم الملك والشهادة ...

وقد رأى رسول الله ﷺ نبي الله "صالح" ونبي الله "هود" على حمارين أشهبين ، يحجَّان إلى بيت الله الحرام .. كما رأى "موسى" عليه السلام ، قائماً يصلى في قبره ..

ورسول الله الصادق المصدوق لم يُبَيِّنْ كيف رآهم .. بل ترك الكيفية لأهل مثل هذه الرؤى .. ولا بد لكل مؤمن بالله ورسوله أن يُصدِّقَ قولَ الصادق الأمين ﷺ .. ولا يَشْكُ في إثبات الرؤية له ..



ويبقى على أهل هذه الرؤى أن يشرحوها ، لمن يستوعب عقله هذه التحليلات والتفسيرات .

فنحن نقبل مقولة ساداتنا الكرام على وَجْهِ تفسيرها .. وحسابهم على الله تعالى ..

وكل ما أردنا قوله باختصار .. هو أن رُوحَ رسول الله ﷺ العالية القدر .. السامية المقام .. والتي هي ملئ الكون كله .. ومصدر النور للخلائق كلها .. لها أن تتمثل لمن أكرمهُ الله بهذا الشرف .. فيحظى بالرُّؤْيَةِ الشَّرِيفَةِ .. ورُبَّمَا بالحديث والخطاب أيضاً ..

ولسنا أولُ مَنْ قال بهذا الأمر .. بلْ هُوَ مُتَوَاتِرٌ بين الصَّالِحِينَ ، منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم وحتى يومنا هذا ...

ومن وافقنا على ما نقول فقد أصاب حقَّ الحقيقة .. ومن أنكره علينا فحسابه وحسابنا على الله تعالى ..

وخلاصة قولنا هذا هو أن لروح رسول الله ﷺ حضرةً عظيمةً في الكون كله ، تسرى بها وفيها أنوار الهداية ، والتوحيد ، والتعظيم ، والتقديس لرب العالمين جَلَّ شَأْنُهُ ..

وهذه الحضرة القائمة ، تسبح فيها الأرواحُ المُحِبَّةُ لرسول الله ﷺ .. والتي تستمدُّ أنوارها من أنوار الحضرة المُحَمَّدِيَّةِ ، والتي هي بدورها قس من نور الله تعالى ..

فمحمد ﷺ هو رحمة الله للعالمين بنص القرآن الكريم ... وهو

ﷺ .. هداية الله للعالمين .. وهو ﷺ نور الله للعالمين .. وهو ﷺ قبل هذا وبعده ، عبد الله ورسوله .. وما ذكرنا في مدحه إلا ما مدحه به رب العزة جل شأنه ، بلا إفراط ولا تفريط .. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين وعلينا وعلى عباد الله الصالحين أجمعين ، من أهل السموات وأهل الأرضين ...

● وحضار الحضرة المحمدية السنية يكتسبون أدباً عالياً .. وأخلاقاً سامية .. من هذه المعية المباركة .. فالأرواح تسقى بعضها بعضاً .. وتتألف وتتوحد .. وما في الحضرة المحمدية إلا أنوار النبوة والرسالة .. فروح رسول الله ﷺ تسقى جلاستها من هذين المعينين الصافيين .. فيصير جلساؤها من حملة ميراث النبوة والرسالة .. فهم ينهلون من معين نور رسول الله ﷺ ، ثم يشعرون بدورهم على من حولهم من الخلق .. فيصير لكل روح منهم جلساؤها أيضاً ..

وحيث أن لكل روح طاقة ... وقوة ... وصفات ذاتية لها .. لذلك يصبح لكل روح نوراً خاصاً بها ، يتلون بلون طباعها ، وطاقتها ، وقوتها ... ، مثلها كمثلي القنديل المنير فإن لونها يتلون بلون زجاجه ...

والكل مصدره رسول الله ﷺ ... وإن تباينوا في الظاهر ، واختلفوا في المشارب ... ، وتنوعوا في الأنوار ... ولكنهم يجمعهم جميعاً إطار شريعة رسول الله ﷺ ... ويحيطهم سياج سنيته المباركة .. فهم جميعاً يقتفون أثر قدم رسول الله ﷺ .. ولا يحدون عنه قيد أنملة ..

ولعل السبب في هذا التنوع في المشارب والأنوار ، هو أن روح رسول الله ﷺ وهي الروح الأعظم ، قد حوت من الأنوار والأسرار ما

لاستطيع روحٌ أُخرى أن تتحمّله ... لذلك فكلُّ روحٍ تنهل على قدرها  
وعلى قدر ما هيأها الله له ... فتتسبّب أنوار النبوة والرسالة فيهم  
أجمعين...، فيصبح لكل منها نورٌ خاص بها ... ، ولكنه في الحقيقة مستمدُّ  
من نور محمد ﷺ الجامع الشامل ...

ولأزيدك إيضاحاً ....

انظر إلى عبادة رسول الله ﷺ ... قيامٌ بالليل حتى تنفطرَ قدماه  
الشريفتان ... أدنى من ثلثي الليل .. ونصفه .. وثُلثه ... وأذكّارٌ في  
الصباح .. وأذكّارٌ في الضُحى .. وأذكّارٌ وتسبيحٌ بالعشي .. وأذكّارٌ وتسبيحٌ  
عند كل حالة من قيام ، وقعود ، ونوم ، واستيقاظ ، وسعي .. ورضا ، وغضب ،  
وشكر ، وخوف ، ورجاء .. وصحة ومرض .. ، وغنى وحاجة .. ، وغيرها .  
وفي كل حالة من هذه الحالات تجد لرسول الله ﷺ دعوات  
شتى .. وتسبيحات متنوعة ...

ولا يستطيع عابدٌ - مهما بلغ في عبادته - أن يتمثل بجميع ما كان يفعله  
رسول الله ﷺ ... لذلك أمرنا رسول الله ﷺ أن نجتنّب ما نهانا عنه .. وأن  
نكُلّف من الأعمال ما نطبق .. أي أن نأخذ من أعمال البرِّ قدر ما نستطيع ...  
هذا من جهة الأعمال والأفعال .. وناهيك بأخلاق رسول الله ﷺ  
سمواً وعلواً .. ومن منا يستطيع أن يتخلق بخلقهِ ، من قال عنه ربه  
﴿وَأَنْتَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ .. !!

فكلُّ يأخذُ من هذا الأخلاق على قدره هو .. من كرم .. ، وحياء .. ،  
وسخاء .. ، وعفو .. ، وسماحة .. ، وفتوة .. ، وحلم .. ، ورحمة .. ، وصبر .. ،

وشكر ... ، وغيرها من حسن الخلق ...

وكلُّ عملٍ برٍّ .. وكلُّ فعلٍ خيرٍ .. فإن رسول الله ﷺ قد قام به على الكمال والتمام كما يحبُّ الله تعالى ... وكلُّ خُلُقٍ سَنِيٍّ قد اكتمل في رسول الله ﷺ .. فما عند رسول الله ﷺ .. وما في رسول الله ﷺ لا يكتمل في غيره ، بل كل من سواه يأخذ منه على قدره .. سواء كان نبياً أو ولياً أو مؤمناً ...

فمن تَمَيَّزَ من البشر بِكَثْرَةِ الصلاة مثلاً .. فقد استمدَّ من رسول الله ﷺ من أنوار الصلاة .. ومن تميز بكثرة التسبيح والتقدیس لله تعالى ، فقد استمدَّ من رسول الله ﷺ بعض هذه الأنوار .. ومن تَمَيَّزَ من البشر بِكَثْرَةِ الصيام .. أو بقيام الليل .. أو بحسن الدعوة إلى الله تعالى .. فقد أخذ من هذه الأنوار في رسول الله ﷺ ..

وكذلك كل من تَخَلَّقَ بِخُلُقٍ من خُلُقِ الرسول عليه الصلاة والسلام .. أحاطته أنوار هذه الصفة من رسول الله ﷺ .. فللكريم نوره .. وللحيى نوره .. وللعالِم نوره .. وللزاهد نوره .. وللصابر نوره .. وللشاکر نوره ..

لذلك تتفاوت الأنوار وتتميز في ورثة رسول الله ﷺ .. كلُّ على قدر ذاته وأعماله وأحواله .. ولكنها كلها مُجْتَمِعَةٌ تصير إلى نور محمد ﷺ الجامع لكل هذه الأنوار ...

وقد سبقت الإشارة إلى أَنَّ النُّورَ العَادِي تراه أَنْتَ شفافاً لا لون له .. ولكنه إذا مَرَّ خِلالَ المنشور الزجاجي ، خرجت منه أنوار

ذات ألوان مختلفة منها الأصفر ، والأحمر ، والأخضر .. فإذا عدت  
وجمعتهما معا عادت نوراً لالون له ... فافهم رَحِمَكَ اللَّهُ ...

● وهنا لفظة دقيقة نذكرها ...

فمن المعلوم أن أعمال البر في الدنيا .. تترجم يوم القيامة إلى  
أنوار لأصحابها ، كما ورد في القرآن الكريم ...

وكذلك من المعلوم أن لكل عمل بر وفعل خير .. ثواب  
محدد في الجنة .. وقد وردت بهذا المعنى أحاديث نبوية كثيرة ،  
تبين ثواب هذه الأعمال .. فمن قال لا اله إلا الله ، كان له كذا  
وكذا ، ومن قال سبحان الله والحمد لله ، فله في الجنة كذا  
وكذا ، ومن صام .. ، ومن صلى .. ، ومن تزكى .. ، ومن تصدق ... ،  
وانظر إن شئت إلى كتاب " المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح "  
لمؤلفه " الحافظ الدمياطي " رضى الله عنه ..

إذا فالجنة تعمّر وتتسع وتتفرع ثمارها بأفعال البر من العباد ..  
ويبنى الله فيها العرف والقصور على قدر أفعال العباد الصالحة ...

ومن أكثر فعلاً للبر .. ومن أتم عملاً بالصالحات من رسول  
الله ﷺ !!! ومن من العباد أو الأنبياء مثله عملاً وخلقاً !!

فمن يكون له في الجنة مثل محمد ﷺ !! بل إن كل نعيم  
الجنة هو ثمرة لأفعال رسول الله ﷺ الجامعة الشاملة لعبادة الله  
تعالى حق عبادته ..

فالجنة كُلُّها وما فيها من نعيمٍ هى من نور أفعالِ رسول  
اللَّهِ ﷺ .. ، ثم يأتى بعد ذلك كلُّ نبيٍّ ، وكلُّ مُؤْمِنٍ ، وكل  
عابِدٍ ، ليأخذ قدرًا من هذا النعيم الذى أساسه وأصله هو عبادة  
رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام ..

وانظر إلى ما اكرم الله به نبيه فى مضاعفة أجر الأعمال  
وأوجه البرِّ ...

يضاعف الثواب للعاملين يوم الجمعة .. وفى رجب .. وفى  
شعبان .. وفى رمضان .. وفى العشر من ذى الحجة .. وفى أيام التشريق ..  
وفى الحجِّ .. وفى ليلة القدر التى هى خير من ألف شهرٍ ..

وكلُّ هذا الإكرام من الله تعالى هو إكرامٌ لرسوله محمد  
ﷺ .. ولأمة محمدٍ ﷺ .. فإن كانت حياة رسول الله ﷺ فى  
الدنيا قصيرة بالنسبة لطول حياة غيره من الأنبياء .. فقد بارك الله  
له فى حياته .. وفى أعماله .. وجعل كل ليلة قدرٍ تساوى ما يزيد عن  
الثمانين عامًا من حياة البشر ..

ويقولُ ﷺ "من دعا إلى هدى كان له من الأجرِ مثل أجور  
من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً " ... وهو صحيح رواه  
أحمد ومسلم وأبو داود والنسائى والترمذى وابن ماجه ، وكلهم  
عن أبى هريرة .

ومعنى هذا الحديث أن كل فعلٍ برٍّ يقوم به من تبع محمدًا ﷺ فله  
أجره من الله تعالى ، وكذلك يكون لرسول الله ﷺ مثل نفس الأجر ،

فأي أجرٍ وأى ثوابٍ يكون لرسول الله ﷺ ... !!!

وكل هذا الإكرام من الله تعالى ، ترجمته ونتيجته أن تتسع الجنة وتنوع أنوارها ويزداد جمالها .. وتعمّر بالنعيم ثواباً من الله تعالى لرسوله ﷺ .. ومن تبعه في بعض أفعاله فله في الجنة نصيبٌ ، على قدر عمله من نصيب إمامه وقدوته ﷺ ..

فإذا سمعت أيها القارئ الكريم من بعض الناس من يقول إن الجنة قد خلقت من نور الرسول ﷺ .. فلا تتعجل وتستنكر هذه المقولة .. وقد عرضنا عليك وجهاً من أوجه شرحها .. بالعقل والمنطق الذي تدين به .. وما أسرفنا وما غاليينا .. وما شطحنا ولا تجاوزنا كلام الله وحديث رسوله ...

ونعود إلى حديثنا .....

يقول ﷺ " مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَام " رواه أبو داود عن " أبي هريرة " ..

فإذا صليت أنت على رسول الله ﷺ وردَّ عليك السلام .. ألا يكون هذا حضوراً منه ﷺ !! وألا تكون أنت في حضرته ، وأنت تصلي وتسلم عليه ..!! فكيف يكون الحال وأنت وكل المسلمين تقولون في وقت كل صلاة في التشهد في الفرائض والسنن " السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته " ...! ألا يعنى هذا حضوراً روحياً دائماً لرسول الله ﷺ والكل يسلم عليه سلام الحاضر ...!!

فإن شئت أن تعرف حق الحقيقة ..

فاعلم أنَّك وكلُّ الكَوْنِ في حضرة رسول الله ﷺ ... ولا تعجب من  
هذا القول رحمك الله ...

فقد سبق القول بأن رسول الله ﷺ ، يمثل جانب الخير والنور  
والهدى من رب العالمين للعالمين .... بينما يمثلُ الشيطان جانب الشر  
والغواية للعالمين ، وأوائل جنوده النَّفْسُ والهوى ... والشيطان يسبح في  
الكون .. ويحضر كل مجلس .. ويوسوس لكل مخلوق .. ولا ينزجر إلا  
بذكر الله تعالى وحضور الملائكة في هذه المجالس ...

و ضدُّ هذا الظلام هو نور محمد ﷺ .. أفلا يكون من العدل  
والصواب أن يملأ نوره ﷺ كل الكون .. ويكون حضوره واجبا ، ليكون في  
مواجهة الشر والظلام !!

ونحن نتحدث إلى من سَمَت أنفسهم بأنوار أرواحهم إلى عوالم  
الجبروت والملكوت .. ولسنا نتحدث إلى من حبس نفسه في إطار عالم  
الملك والشهادة ، فيظن أن حضرة رسول الله ﷺ هي حضورُ ماديٍّ  
بحيث يرى كل الحاضرين صورة ويسمعون صوتا .. فهذا أمر غير وارد لدينا ،  
فإن الشيطان لا يرى بالعين .. والملائكة لا ترى بالعين .. فنحن نتحدث عن  
عوالم النفس والروح فلا يختلط كلامنا في ذهن القارئ ...

ولكى أزيدك إيضاحاً لبعض خصائص درجة قدر رسول الله الرفيعة  
العالية .. فاعلم أن رسول الله ﷺ قد وُلِدَ في الثلث الأخير من ليلة الاثنين  
كما هو معروف .. وهذا وقت مبارك في السماء والأرض ، وفي الحديث  
الشريف أن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل ،



فيقول هل من مستغفر فاغفر له ، هل من تائب فأتوب عليه ، إلى آخر ما ورد في الحديث الصحيح الذي ذكره مسلم وأحمد عن "أبي سعيد" و"أبي هريرة" معاً ...

فهذه الساعة المباركة كانت هي ساعة مولده ﷺ ....

ونحن لانزيد على كلامنا حرفاً واحداً حتى لايساء فهمه .. ولكنى أطلب من القارئ أن يتنبه إلى بركة ساعة مولده عليه الصلاة والسلام ...

ويقول ﷺ " إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا خَيْرًا إِلَّا أُعْطَاهُ إِيَّاهُ " حديث صحيح ، رواه عن "أبي هريرة" مالك ومسلم والنسائي وابن ماجه وأحمد ... وفي رواية أخرى لم يذكر في الحديث " وهو قائم يصلي " ...

وأياً ما كانت أقوال شراح هذا الحديث ، واجتهادهم في تعيين هذه الساعة المباركة فنحن نقول لقد كان رسول الله ﷺ يخطب الجمعة .. ويدعو في الخطبة الثانية منها .. أفلا تفتح أبواب السماء لدعاء رسول الله ﷺ في هذه الساعة !!! أو لا تكون هذه ساعة مباركة يستجيب الله تعالى لكل داعٍ فيها !!!

فإن قلت أن الحديث الشريف يذكر أنه لا يوافقها عبد مسلم ، وهو قائم يصلي ، ووقت الخطبة ليس وقت صلاة .. فنقول لك أن رسول الله ﷺ قد أخبرنا أيضاً أن المنتظر للصلاة كمن هو في الصلاة .. ولذلك نهى رسول الله ﷺ عن اللغو والكلام لمن

يحضر خطبة الجمعة ، بل وقال عليه الصلاة والسلام أَنَّ مَنْ عَبَثَ  
بالحصى فَقَدْ لَعَى ، وَأَنَّ مَنْ قَالَ لَجَارِهِ ، وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ  
" أَصُمْتُ " فَقَدْ لَعَى .. وهذا معناه الحضور التام ، والإنصات  
للخطبة ، وعدم الانشغال بغيرها كأنه في الصلاة ..

واعلم أَنَّهُ كما تدور ساعة الثلث الأخير من الليل على البلاد  
والقارات ، ففي وقت تكون في الحجاز مثلاً .. وتكون في مصر بعد  
ساعة .. وفي المغرب بعد ساعة أخرى ، وهكذا .. فكذلك تدور ساعة  
الجمعة المستجاب فيها الدعاء في الأقاليم والبلدان ..

وحتى بعدما انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى .. فإن  
بركة هذه الساعات ظلت في الكون تدور فيه كيفما يشاء الله تعالى ...  
كذلك ليلة نزول القرآن قد جعلها الله تعالى ليلة القدر ..  
وشرفها وأعلى ذكرها وبارك فيها .

وما ذكرنا لك هذه المعالم الروحية إِلَّا لِيَتَنَبَّهَ إِلَى عظمة  
رسول الله ﷺ وإكرام رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا لَهُ .. فساعة مولده ساعة  
مباركة .. وساعة دعائه ساعة مباركة .. وليلة نزول القرآن عليه ليلة  
مباركة .. وكل ما يتصل برسول الله ﷺ من قريبٍ أو بعيدٍ هو مباركٌ  
ميمون ، وله عند الله سِرٌّ وخصوصية ..

والله تعالى أعلى وأعلم مهما قلنا واجتهدنا ..  
ونحن نكرر ونقول أن رسول الله ﷺ هو عبدُ الله  
ورسوله .. وما تجاوزنا حقه في المدح والإطراء .. بَلْ إِنَّا لَا نُؤْفِقُهُ

حَقُّهُ الْعَظِيم .. وَلَا قَدْرَهُ الْجَلِيل عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى .. وَلَكِنَّهُ ﷺ الْعَبْدُ الْكَامِل .. وَخَيْرَ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى ..

فَانْظُرِ أَنْتِ إِلَى مَا مَيَّرَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَ خَلْقِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَغَيْرِهِمْ ... ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْلَى مِنْهُمْ قَدْرًا .. وَأَعْظَمَ مِيزَةً ... وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ .. وَإِكْرَامِهِ لَهُ ...

تَقُولُ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .. "كَانَ يَرَى بِاللَّيْلِ فِي الظُّلُمَةِ كَمَا يَرَى بِالنَّهَارِ فِي الضُّوءِ" ذَكَرَهُ ابْنُ عَدِيٍّ فِي الْكَامِلِ ، وَابْنُ بَيْهَقٍ فِي الدَّلَائِلِ عَنْ "ابْنِ عَبَّاسٍ" ، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ ...

وَيَقُولُ ﷺ "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلُمَةٍ ، فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ يَوْمَئِذٍ اهْتَدَى وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ" وَهُوَ صَحِيحٌ ، رَوَاهُ ابْنُ عَمْرٍو ، وَذَكَرَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ ، وَالْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ ، وَكَذَلِكَ التِّرْمِذِيُّ ..

وَلَا شَكَّ أَنَّ كُلَّ مَنْ أَصَابَهُ نُورُ اللَّهِ تَعَالَى ، قَدْ اهْتَدَى عَلَى قَدَرِ مَا أَصَابَهُ مِنْ هَذَا النُّورِ ، فَتَفَاوَتَتْ الْأَقْدَارُ مِنْ ذَلِكَ الْعَهْدِ ، وَظَهَرَ التَّابِعُ وَالْمَتَّبِعُ ، وَأَهْلُ النَّبُوَّةِ وَأَهْلُ الرِّسَالَةِ ، وَأَهْلُ الْوَلَايَةِ ، وَأَهْلُ التَّقْوَى ، وَأَهْلُ الْإِيمَانِ .. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ، وَيَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، وَيَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يُحِبُّ وَيَرْضَى ، وَلَا مَعْقَبَ لِحُكْمِهِ جَلَّ شَأْنُهُ ..

وَلَا زَيْدُكَ تَأْكِيدًا أَنَّكَ تَعِيشُ فِي حَضْرَاتٍ رُوحِيَّةٍ لَا تَدْرِكُهَا ، إِلَّا إِذَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَخَرَجْتَ مِنْ نِطَاقِ مَادِيَّتِكَ وَبَشَرِيَّتِكَ وَمِنْطَقِكَ الْمَادِيَّ

الترابى ، أَذْكَرُ لَكَ لَفْتَةً دَقِيقَةً ...

يقول تعالى : ﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۚ  
وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ۚ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُ  
كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (١) .

والآية معناها واضح ... كُلُّ مخلوقٍ لله تعالى يُسَبِّحُهُ جَلَّ وَعَلَا ،  
ونحن لا نفقه هذا التسبيح ولا نفهمه .. وابن آدم على إطلاقه جاهلٌ بهذا  
التسبيح .. ومقصرٌ في تسبيحه هو لله تعالى ، فمرة يذكره ، ومرة ينساه ..  
والله سبحانه حلیم على جهلنا ، وغفور لتقصيرنا ....

ثم يتساءل العلماء ويختلفون .. هل هذا التسبيح من الكائنات هو  
بلسان " الحال " أم بلسان " المقال " . !!!

والتساؤل نفسه لامجال له ، ولا معنى لمناقشته ... فما هو الحال وما  
هو المقال !! فهل كل تسبيح لله تعالى لابد وأن يكون بلسان وشفتين ،  
وكلام ككلامنا ، وأصوات كأصواتنا !!! وإذا كان لبعض الكائنات لسانٌ  
وشفتان ، فإن هذا ليس للجماد ولا للسماوات ولا للأرض ... وحتى ما كان له  
لسان وشفتان فنحن لانفهم كلامهم ، إلا إذا علمنا الله تعالى كلامهم ...

يقول سيِّدنا " سليمان " عليه السلام : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ

عُلْمَنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ ﴾ (٢) .

(١) سورة الإسراء آية : ٤٤ .

(٢) سورة النمل آية : ١٦ .

فَمَا تَكَلَّمَ "سليمان" مع الهدهد ، ولا فَهِمَ كلام النملة ، إلاّ  
بما عَلَّمَهُ اللَّهُ من منطق الطير وغيره ، فَلِكُلِّ أُمَّةٍ من الأمم المخلوقة  
لغةٌ وحديثٌ وكلامٌ وتسبيحٌ من جنس كلامهم ..

أَمَّا أَنْ نتصور أَنْ كُلَّ مُسَبِّحٍ لِلَّهِ تعالى لابد وأن يَسَبِّحَ باللغة العربية ،  
وبكلام تسمعه آذاننا ، فهذا تصور مردودٌ على صاحبه .. ولا معنى أبداً  
لمناقشة لسانِ الحالِ ولسانِ المقالِ ، فنزيد القارئين حيرةً وتساؤلاً ...

ورسول الله محمدٌ ﷺ رَوَى عَنْهُ أَنَّهُ قَدْ خَاطَبَ الضَّبَّ ، والغزاة ،  
والجمل ، والشجر ، والحجر ، وغيرهم .. وما هذا إلاّ بعلمٍ من الله تعالى  
عَلَّمَهُ إِيَّاهُ .

وكيف قال الضبُّ لرسول الله ﷺ " أَشْهَدُ أَنَّكَ عَبْدُ اللَّهِ  
ورَسُولُهُ " !!! ومن أدري الضبُّ بذلك ، وهو يعيش في الصحراء والرمال ،  
ولا يعاشر الإنس !!!

وَمَنْ أَعْلَمَ جِذْعَ النخلة الذي كان في مسجد رسول الله ﷺ ..  
وكان يستند إليه في خطبته قبل صنع المنبر ، وصار للجذع خوار سمعه  
المصلون .. حتى ضَمَّهُ رسول الله ﷺ وكَأَنَّهُ يَطْمِئُنُّهُ ويحنو عليه !!!! ..  
وكيف باضت الحمامة وكيف نسج العنكبوت على غار " ثور " ، بعد  
أَنْ دَخَلَهُ رسول الله ﷺ خلال الهجرة ، تَعْمِيَةً للكفار عن مكان رسول  
الله عليه الصلاة والسلام .. وحماية له . !!! وهل تبيض الحمامة وينسج  
العنكبوت ، إلا في مكان يكون منزلاً عن الإنسان ، وبعيداً عن الحركة أماناً  
لهما !!!

أَلَا يَدُلُّ كُلُّ هَذَا -وغيره كثير وكثير- عَلَى أَنَّ نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ  
ورسائله معلومة للخلائق كلها ، من أرض وسماء ومخلوقات فى البرارى  
والصحارى ، لم تصلها الرسالة على لسان مُبَلِّغٍ وَلَا نَاقِلٍ !!

فإن قلنا لك أن لرسول الله ، محمد ﷺ حضور وحضرة فى  
الكون كله ، تشعر به المخلوقات جمعاء ، وتتأثر بأنواره وأنوار روحه  
العلية ، عَجِبْتَ وَتَعَجَّبْتَ مِنْ قَوْلِنَا ، والآيات كلها أمامك تُحَدِّثُكَ  
وَتُعَرِّفُكَ وتشهد بذلك !! وأنت غافل عنها ...

فافتح رحمك الله وإيَّانا - بصرك وبصيرتك .. وتنبيهه إلى  
هذه المعانى ، التى ما أَلْفَنَاهَا وَلَا استحدثناها .. بل هى موجودة  
أمامك ، ومسطورة فى بطون المراجع والكتب .. وطوبى لمن  
يتأمل .. ويتفكر .. ثم يتدبر .

ومن هذه الحضرة المحمدية .. وهذا الحضور النبوى .. تلتقى  
أرواح المؤمنين بروح رسول الله ﷺ .. إِمَّا يَقْظَةُ وَإِمَّا مَنَاماً .. كُلُّ عَلَى  
قدره وقدر روحه ونفسه ، فَيَعْلَمُهُمْ ... وَيَهْدِيهِمْ .. ويأخذ بيد من يحب منهم ،  
ويجيز ﷺ مَنْ هُوَ أَهْلًا لِلْإِجَازَةِ بِالْإِرشَادِ والدعوة إلى الله تعالى ...  
وسبىحان الفتح العليم .... وسير الصالحين مليئة بهذه الأخبار الروحانية  
العالية .. إِمَّا يَقْظَةُ وَإِمَّا مَنَاماً ، وقد ذكر طرفاً منها الإمام الحكيم " محمد بن  
على الترمذى " فى كتابه الجليل " بدو شأن أبى عبد الله الترمذى " ،  
والمنشور فى بداية كتابه " ختم الأولياء " ، كما ذكر مثله الشيخ " عبد  
الوهاب الشعرانى " ، وكذلك الشيخ " عبد العزيز الدباغ المغربى " ،

وآخر من قرأت له في هذا الشأن هو الشيخ " محمد عبادة بن صالح  
الحسيني العدوي " في كتابه " البرهان والتأييد في علم التوحيد " والذي  
ألّفه عام ١٣٧١هـ / ١٩٥١م ونُشر بالقاهرة ..  
وكلّهم ذكروا بعضاً من هذه الرؤى يقظة ومناماً .... رَضِيَ  
اللّٰهُ عنهم ...

فحديثنا ليس فلسفة نظرية .. بل هو واقعٌ تؤيده الوقائع .. ولكنها  
لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد ....

• فتح اللّٰهُ علينا وعليك .. وأفاض علينا وعليكم من نور نبيه  
ﷺ ما يجعلنا أهلاً للانتساب لحضرته العلية .. وحضوره السنّي ..  
ورزقنا الأدب اللازم لهذه الحضرة المباركة ، وجمعنا على رسول  
اللّٰهِ ﷺ يقظة ومناماً .. حالاً ومآلاً .. صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ  
وصحبه والتابعين وعلينا وعلى عباد اللّٰهِ الصالحين أجمعين ، من  
أهل السموات ، وأهل الأراضين ....

## ● الحضرات الإلهية :

سبق القول بأن معنى توحيد الله تعالى وتقديسه ، هو أنه لا موجود بحق إلا الله تعالى .. فهو واجب الوجود بلا علة ولا سبب ، جلّ وعلا ... وكل ما سواه مفقود .. وكل ما سواه له وجود عارض ، له بداية وله نهاية ... وكل الذى فوق التراب .. تراب ...

وقلنا كذلك أن أفعال الله تعالى تظهر فى الكون بمخلوقاتة ... فالأفعال تنسب إليهم .. وحقيقتها من الله تعالى .... كما قلنا ان هذه الأنوار ، إنما هى نتيجة لتجليات صفات الله تعالى على الكون كله .. فجعل الله تعالى هذه الدنيا هى عالم الأسباب والنتائج .. والله سبحانه هو مسبب الأسباب وواهب النتائج ... فهذا يرزق ذاك .. وهذا يقتل ذاك .. والله فى الحقيقة هو الرزاق .. وهو المحيى المميت ....

وقلنا كذلك أن لكل صفة من صفات الله تعالى أنوار وأسرار وجنود وحضرة وتجليات ... وأن هذه التجليات على قلوب العباد وأرواحهم تكون هى المسببات الدافعة لأعمالهم .. وكل نفس وروح منهم تلتقط من هذه الحضرات ما يناسبها فى كل وقت وفى كل حال ..

فأفعال العباد ، إنما هى نتيجة لتجليات الحق سبحانه وتعالى عليهم .. وحضرات الأفعال هى نتيجة لحضرات الصفات والأسماء الإلهية ...



كما أَنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ صِفَاتَ اللَّهِ تَعَالَى لَا تَتَعَطَّلُ وَلَا تَتَوَقَّفُ أَبَدًا .. مع ملاحظة أَنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ ، غير محصورة في التسعة والتسعين اسما المذكورة في حديث " أبى هريرة " رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، الذى رواه إِبْنُ حِبَّانٍ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالحَاكِمُ وَالبَيْهَقِيُّ ، وَحَسَنُوهُ ، وهناك رَوَايَتَانِ أُخْرَيَتَانِ : رواهما " أبو هريرة " أيضاً ، وذكرهما الحَاكِمُ وَأَبُو نَعِيمٍ وَأَبُو الشَّيْخِ وَإِبْنُ مَرْدُويه وَابن ماجة ، وذكر فيهما الإسماء التالية والتي لم ترد في ما رواه أبو هريرة في الرواية الأولى .. ومنها :

الفرد	الأحد	الكافى	المنيب
المحيط	الجميل	الصادق	الدائم
القديم	الوتر	الفاطر	العلام
المليك	الأكرم	المالك	الشاكر
المدبر	الرفيع	ذو الطول	ذو المعارج
ذو الفضل	الخالق	الكفيل	البرهان
الربُّ	السامع	الأبد	العالم
المنير	التام	القديم	الوتر
القائم	المعطي	الراشد	البار
البديع	النصير	المبين	القاهر
الواقى	ذو القوة	الحافظ	الكافى

ومن أسماء الله تعالى المتداولة بيننا : الشافى ، الستار ، العاطى ، المنعم ، الجابر ، الناصر ، الرازق ، المحسن ، والجواد .. وغيرها ...

كما أن قول الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ دليلٌ على إطلاقِ أحسنِ الأسماءِ على الله تعالى .. فالأسماءُ الدالةُ على الكمالِ في أيّةِ صِفَةٍ ، تليقُ بجنابِ الله تعالى ، فلا مانع من إطلاقها على الذات الإلهية ...

وقوله ﷺ : " اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَتْ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ أُنْزِلَتْهُ فِي كِتَابٍ مِنْ كُتُبِكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ اسْتَأْثَرَتْ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ " يدلُّ على أن أسماء الله تعالى ليست كلها معلومة لدينا ، فإن منها ما استأثر الله به في علمه ، ومنها ما اختصَّ به عبداً من عباده ، ومنها ما أنزل في كتاب من كتبه ، لذلك فالإحاطة بأسماء الله تعالى وصفاته مستحيلة ، وكذلك الإحاطة بحضرات هذه الأسماء والصفات مستحيلة ، وكل مخلوق يأخذ منها على قدره ، ولا يحيط بشيء من علم الله تعالى إلا بما يشاء هو ، جلَّ شأنه ...

وتنبَّه إلى أن هذه الحضرات لا تخصُّ الإنس والجن فقط .. بل تشمل كل المخلوقات والأكوان .. من الأفلاك إلى الحوت في قاع البحر ، إلى الوحش في الفلاة ، إلى الجبال والشجر والسحاب والرياح وجميع المخلوقات .... فالله تعالى قد تجلَّى للجبل وجعله دكاً .. وَمِنَ الْجَارَةِ مَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، ويسبح الرعدُ بحمده ... ، والنجم والشجر يسجدان ، وإن من شيءٍ إلا يُسَبِّحُ بحمده جلَّ شأنه ...

كل مخلوق كما قلنا يلتقط من هذه الحضرات ما يناسب طبعه

وخلَقَتْهُ وحاله ونفسه وروحه .. وينتقل من حضرة إلى حضرة .. وتصدر منه الأفعال بما يناسب وجوده في كل حضرة ...

يقول تعالى ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ۖ ﴾ <sup>(١)</sup> ..

فطبيعة المخلوق .. وروحه ونفسه وأدبه ينقله من حضرة إلى حضرة، فتصدرُ منه الأفعال بما يناسب أنوار هذه الحضرات ... وكل هذه الحضرات مجموعة في الحضرة الكبرى الشاملة الجامعة .. وهي حضرة " الفردانية " العظمى ، وفيها ومنها تنبعث الحضرات الأخرى ..

ومن ساداتنا من يسمى الحضرة الجامعة حضرة " الواحدية " ولكني أميلُ إلى إطلاق مسمى " الفردانية " لأسباب كثيرة لامجال لذكرها هنا...

وهناك نوع من الحضرات العليا .. ذات التنزيه الخالص لله تعالى .. فالقدوس .. والرحمن مثلاً ، هي من الحضرات التنزيهية العظمى ، الشاملة داخلها للكثير من الحضرات ، ومن دخل في أنوار هذه الحضرات ، فإنه يخرج من دائرة الأكوان كُلِّهَا ، ويصبح مغيباً في الأنوار الإلهية على قدر ما تلتقط روحه ... ، وربما تذهلُ نفسه وجوارحه عن أفعاله ، حيث يتولى الله رعايته وتسديده ، وهو في هذا الحال فيحفظ عليه شرعه وشريعته ...

---

(١) سورة الإسراء آية : ٨٤ .

ونزيد أن حقيقة كل حضرة من حضرات الأسماء والصفات ليست قاصرة على أنوار هذه الصفة فقط ، ولكن المبتدئ في أول حالة يَظُنُّها كذلك ، فإذا ثبت وتعمق ، وأراد الله له المزيد - وهذه أرزاق من الله تعالى لعباده - رأى داخل حضرة الصفة الواحدة ، أنواراً تأتي من الحضرات الأخرى والصفات المتباينة .

يقول تعالى : ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَحَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۖ ﴾ (١) .

فالأمر بالقتل قد صدر إلى العبد الصالح من باب الرحمة بالوالدين ، وكذلك رحمة بالغلام فمات قبل أن يصبح مُكَلَّفًا ...  
والبلاء يُصَبُّ على المؤمن فيُثَابُ عَلَيْهِ .. غُفْرًا للذنوب ورفعاً للدرجات ..  
وظاهر الأعمال في الحالتين القُوَّةُ والبَطْش ... ومصدرها الرحمة والشفقة ...

ويقول تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى الْآلِبِ ۖ ﴾ (٢)  
وصدق الله تعالى ، فَإِنَّ الْقِصَاصَ بما فيه من ظاهر العنف والألم ، لهو كَفَّارَةٌ للذنوب كما قال جمهور العلماء ... فقد استوفى الدين حَقَّهُ ممن أقيم عليه الحد ، وصارت له بذلك حياة كريمة في الدار الآخرة ، ولو لم يقم عليه

(١) سورة الكهف آية : ٨٠ ، ٨١ . (٢) سورة البقرة آية : ١٧٩ .

هذا القصاص لَعَذَّبَ بِهِ فِي الْآخِرَةِ ....

- وبعض العلماء يُقَسِّمُ أَسْمَاءَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ :-  
الأول : مَا دَلَّ عَلَى الذَّاتِ ... مثل : الرحمن .. الحى .. القهار ..  
القيوم ... الخ .  
الثانى : مَا دَلَّ عَلَى الصِّفَاتِ ... مثل : القوى .. القادر .. اللطيف ..  
الودود ... الخ .  
الثالث : مَا دَلَّ عَلَى الْأَفْعَالِ ... مثل : المصور .. الخالق ..  
البارئ .. المنتقم ... الخ .  
الرابع : مَا دَلَّ عَلَى التَّنْزِيهِ ... مثل : العزيز .. القدوس .. السلام ..  
العلیّ ... الخ .

- وبعض العلماء يُصَنِّفُهَا إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ :  
الأول : الْأَسْمَاءُ الْجَلَالِيَّةُ ... وهى الدَّالَّةُ عَلَى الْقُوَّةِ وَالْبَطْشِ وَالْجَبْرُوتِ  
وغيرهم .  
الثانى : الْأَسْمَاءُ الْجَمَالِيَّةُ ... وهى الدَّالَّةُ عَلَى الرَّحْمَةِ وَالْفَضْلِ وَالْجُودِ ..  
وغيرهم .  
الثالث : الْأَسْمَاءُ الْكَمَالِيَّةُ ... وهى الدَّالَّةُ عَلَى التَّنْزِيهِ وَالتَّقْدِيسِ .

وَأَيًّا مَا كَانَتْ هَذِهِ التَّصَانِيفُ الْوَضْعِيَّةُ بِمَسْمِيَّاتِهَا ، فَهِيَ لَا تَفِيدُنَا فِي  
مَجَالِ حَدِيثِنَا هَذَا ، فَإِنْ اِهْتِمَامُنَا بِالْمَعْنَى وَالْجَوْهَرِ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى  
لَهُ الْجَلَالُ كُلُّهُ .. وَالْجَمَالُ كُلُّهُ .. وَالْكَمَالُ كُلُّهُ ...

وحتى من يتكرم الله عليه من عباده فيصفه بصفة من صفاته العلية  
كالمؤمن .. والولي .. والرووف .. والرحيم .. فشتان ما بين معنى هذه  
الصفات اذا ما اطلقت على المخلوق ، وبين معناها اذا اطلقت على الخالق  
جلّ وعلا ... فكلُّ على قدره ... والمخلوق عبْدُ مهما سَمَا وعلا ... والله  
جلّ جلاله ليس كمثله شيءٌ وهو العليُّ العظيم ..

● ونعود إلى حديثنا فنقول إن كلَّ الكون وكائناته هم في حضرات  
الأفعال والصفات والذات ... سواءً أدركوا هذا أم لم يدركوه ... فالله  
سُبْحَانَهُ وتعالى هو القيوم المهيمن على أجسادهم وأنفسهم وأرواحهم ..  
وكلُّ شيءٍ عنده بمقدار .. عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال .. سواءً  
منكم من أسرَّ القول ، ومن جهر به ، ومن هو مستخفٍ بالليل ، وساربٌ  
بالنهار ... فالجميع في قبضة الله تعالى .. والكلُّ تحت عظمة سطوته  
وقهره جلَّ شأنه العظيم ..

وغفلة الناس عن هذه الحضرات - رغم وجودهم فيها  
وسيطرتها عليهم - أمرٌ ليس بالعجيب ... فإنَّ العقل للإنسان هو  
وسيلة الإدراك والمعرفة .. وما خلق الله تعالى خلقاً أحبَّ إليه من  
العقل ، كما ورد في الحديث الشريف .. ولكِنَّهُ وإنْ كان وسيلة  
للإدراك والمعرفة إلاَّ أَنَّهُ أيضا حجابٌ بين العبد وبين ربِّهِ ..

ذلك أَنَّهُ بالعقل يهتدى الإنسان إلى ربِّهِ خالق السموات  
والأرض ... وبالعقل يكون التدبُّر والتفكُّر في الله تعالى .. وأهلُ  
التدبُّر والتذكُّر محمودون من الله تعالى ... ولكن هذا التدبُّر

والتفكر إذا حُجِّر على قدر العقل فقط .. وبتفكيره ومنطقه  
المادى ، فقد قَصَّر صاحبه فى حقِّ الله تعالى .. وصار عقله حجاباً  
له عن ربه .. فالله سبحانه وتعالى لا يحدُّه عقل ولا منطق .. وما عرفه  
مخلوق حق معرفته .. ولا ذكره حق ذكره ، ولا قدر الله حق قدره...  
جلَّ جلالُ الله ...

فأنت إذا عرفت الله بعقلك .. فلن تعرفه إلا على قدر عقلك  
أنت .. أما إذا عرفت الله تعالى بالله .. فحينئذ ينور الله عقلك ،  
ويزيده اتساعاً وإدراكاً ، بما لا حدود عليه منك ..

ولذلك فهناك فرق بين الشهادة والشهود ... فالشهادة  
بالبصر.. وترجمانها العقل لما يرى البصر .. أما الشهود فبالقلب  
والفؤاد ، وترجمانهما البصيرة والروح ... وقوانين البصيرة والروح ،  
غير قوانين العقل والمنطق.

ولكن اعلم أن هناك فرق بين حجاب العقل عن الله  
تعالى .. وحجاب الجهل والانشغال عن الله تعالى ... فالأول  
حجاب نورانى فيه بعض المعرفة والجهد والتفكير ... أما الثانى فهو  
حجاب ظلمانى من الأكوان والأغيار ....

ففرق بين جهل وجهل .. وفرق بين علم وعلم ...

واعلم كذلك أن حضرات الأفعال .. هى حُجُب عن  
حضرات الصفات .. كما أن حضرات الصفات هى أيضاً حُجُب عن  
حضرات الذات ... وكما سبق القول بأن حضرات الأفعال .. تعيش

فيها ببصرك وحواسك ... وحضرات الصفات تحضرها بقلبك .. أما  
حضرات الذات فلا تحضرها إلا بروحك ....

والسياحة في هذه الحضرات السنية .. منها ما هو مكتسب بجهدك  
وذكرك .. ومنها ما هو موهوب من الله تعالى بفضله وكرمه ... والفضل كله  
لله تعالى في الحالتين ، فما التوفيق والهدى إلا من الله تعالى ...  
وأما المكتسب بالجهد ، والذكر ، والإخلاص لله تعالى ، والتفكير  
والتدبر .. فان الكسب فيه يكون على قدرك .. وعلى قدر جهدك ..

أما الموهوب من الله تعالى فهو هدية من الله جل شأنه  
على قدر ما يطيقه الموهوب له .. وعطايا الملوك اكبر وأجل وأعظم  
من طلب العبيد وأمانهم .

ورغم جهدك ومجهودك وإخلاصك لله تعالى ، فإنك لا تتعدى  
حضرات الأفعال والأسماء ... أما حضرات الصفات فلا تسبح فيها إلا بفيض  
الله عليك ، وإكرامه لك ، وإعداده لقلبك ، فإن القلوب بين إصبعين من  
أصابع الرحمن .. ولا مالك للقلوب إلا الله تعالى .. فهو الذي يطهرها  
وينيرها ويهديها وينزل السكينة فيها ...

فحضورك حضرات الصفات هو حضور جبري من الله تعالى على  
قلبك .. وبهذا الحضور تفتح بصيرتك ، ويستنير فؤادك ، فتلقى من هذه  
الحضرات النورانية ....

فالذاكر لله تعالى بلسانه باسم من أسمائه تعالى ، مهما  
استغرق في هذا الذكر .. فإنه لا يتعدى حضرات الأسماء



والأفعال ... ولا ينتقل إلى حضرة الصفة لهذا الاسم ، إلا إذا نقله  
الله تعالى إليها فضلاً وكرماً ... وحينئذ يسكت لسانه .. ويسكن قلبه  
ولا ينشغل إلا بنورانية هذه الصفة .. ولا يستطيع الخروج منها  
بإرادته ... فلا الدخول فيها بإرادته ، ولا الخروج منها بإرادته ...

وتنبّه - رحمك الله وإيانا - إلى أن السابح في حضرات الصفات ..  
ليس بالضرورة أن يعلم بسبحاته هذه ... فالحدود والفواصل بين هذه  
الحضرات ليست كما يتصورها العقل البشرى .

ولكنه يجد أثراً ومذاقاً لهذه الصفة في قلبه وروحه ..  
ويشعر بسعادة غامرة قد لا يدري لها سبباً مادياً عقلياً ... وتتأثر نفسه وأفعاله  
بأنوار هذه الصفة فتفيض عليه .. ويتبدّل خُلُقُهُ إلى ما يناسب هذه الصفة  
وخصوصياتها ...

● وليس كل مستغرق في أنوار صفةٍ مثل الآخر .. بل كلُّ على  
قدره .. وعلى قدر ما كتبه الله تعالى له ..

وقد ينتقل من صفة إلى صفة .. ومن حضرة إلى حضرة ... فينهل من  
هذه ومن تلك .....

وتكون المعاناة الكبرى لمثل هؤلاء ، هي لحظة انتقالهم  
من حضرة إلى حضرة ... فقد يكون انتقاله من صفة جمالية ، إلى  
صفة جلالية .. مثل انتقاله ، من صفة المودّة والرّحمة ، إلى صفة  
الكبرياء والعظمة والقهر .. فتجهدُ روحه جهداً شديداً ، لتباين أنوار  
هذه الصفات ، وتنوّع مذاقها ، وأثرها على القلب والنفس ، وكذلك

على الجسد ، ثم على ما يصدر منه من أفعالٍ تناسب أنوار هذه  
الصفة ....

فتراه في لحظة يصول ويجول بالله تعالى .. وفي اللحظة التي  
تليها منكسراً ضعيفاً وجالاً ...

فهو بين قوله تعالى: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ <sup>(١)</sup> ،  
وبين قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ  
قُلُوبُهُمْ ﴾ <sup>(٢)</sup> ...

والله تعالى هو الذى أضحك وأبكى .. وهو جلّ شأنه أُمات  
وأحيا.. وهو المعزُّ المذلُّ ، وهو تقدّست ذاته الودود الرحيم .. ذو البطش  
الشديد ... فما جمع الأضداد في صفاته إلا الحقّ جلّ وعلا .. والعبدُ قائمٌ  
على أمر سيّده ومولاه ... ومن كان له اختيار مع الله تعالى فما دخل بعدُ  
في مقام العبودية ... وما ارتقى بعدُ إلى مقام الإحسان ..  
﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ  
لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ <sup>(٣)</sup>

فصاحب الصفة الواحدة هو صاحب " تمكين " ، وذلك  
باعتبار ثباته على صفةٍ واحدةٍ ... وصاحب الصفات المتباينة هو  
صاحب " تلوين " كما قلنا سابقاً .. وذلك باعتبار سياحته بين عدّة

---

(٢) سورة الأنفال آية : ٢ .

(١) سورة الرعد آية : ٢٨ .

(٣) سورة الأحزاب آية : ٣٦ .

صِفَاتٍ وَقَدْ يَتَلَوْنَ الْمُتَمَكِّنُ .. كَمَا يَتَمَكَّنُ الْمُتَلَوْنُ ... وَفِي الْحَالَتَيْنِ  
يَجِبُ أَنْ يَكُونَ ظَاهِرُهُ ثَابِتاً رَاسِخاً ... وَصَاحِبُ " التَّكْوِينِ " فِي  
الْحَالَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ هُوَ أَعْلَاهُمَا دَرَجَةً وَمَشْرِباً ...

وَصَاحِبُ التَّكْوِينِ -لَازِيدُكَ إِيضَاحاً - هُوَ الْمَقْصُودُ فِي الْحَدِيثِ  
الشَّرِيفِ " فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرُهُ الَّذِي  
يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدُهُ الَّتِي يَنْبِطِشُ بِهَا ، وَرِجْلُهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي  
لَأُعْطِيَنَّهُ وَإِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ " .. وَقَدْ سَبَقَ ذِكْرُ هَذَا الْحَدِيثِ ...

وَمِنْ أخطر ما يعانى السَّالِكُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ ،  
حَيْرَتُهُ بَيْنَ الْإِطْلَاقِ وَالتَّقْيِيدِ ... فَمَرَّةً يَنْظُرُ إِلَى أَفْعَالِ الْعِبَادِ فَيَرَى فِيهَا  
الْخَيْرَ وَالشَّرَّ ... فَيَنْسِبُ الْخَيْرَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَيَنْسِبُ الشَّرَّ إِلَى الْخَلْقِ  
وَنَفُوسِهِمْ .... ، ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَى الْعِبَادِ فَيَرَاهُمْ قَوَالِبَ مُجَوَّفَةٍ ، لَاحُولَ لَهُمْ  
وَلَا قُوَّةَ .. وَيَرَى اللَّهَ تَعَالَى فَعَالاً فِيهِمْ كَمَا يَرِيدُ .. فَيَنْسِبُ الْأَفْعَالَ كُلَّهَا لِلَّهِ  
تَعَالَى ، إِيمَانًا وَبَقِينًا بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَسُلْطَانِهِ ... وَلَكِنْ أَدْبَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى يَمْنَعُهُ  
مَنْ أَنْ يُنْسَبَ أَفْعَالُ الْعِبَادِ مِنَ الشَّرِّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ  
بِالْفَحْشَاءِ ﴾ .. فَيَعُودُ عَلَى الْخَلْقِ بِأَفْعَالِ الشَّرِّ مِنْهُمْ ، أَدْباً مَعَ اللَّهِ تَعَالَى ...

وَلَا يَزَالُ فِي هَذِهِ الشَّدَّةِ وَالْحَيْرَةِ .. لَا يَطْمَئِنُّ إِلَى حُكْمِهِ الْأَوَّلِ ، وَلَا  
إِلَى حُكْمِهِ الثَّانِي .. حَتَّى يَتَفَضَّلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ ، فَيُلْهِمُهُ نُورَ سِرِّ الْقَدَرِ فِي  
الْأَكْوَانِ .. فَيَهْدَأُ وَيَطْمَئِنُّ وَيَنْتَقِلَ مِنْ هَذِهِ الشَّدَّةِ الْقَاتِلَةِ ....

وَكَذَلِكَ هُوَ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ .. وَالْهَيْبَةِ وَالْأَنْسِ ... مِنَ اللَّهِ  
تَعَالَى .. وَالْخَوْفِ وَالْهَيْبَةِ يَأْتِيَانِ الْعَبْدَ مِنَ الصِّفَاتِ الْجَلَالِيَةِ ... وَالرَّجَاءِ  
وَالْأَنْسِ يَأْتِيَانِ الْعَبْدَ مِنَ الصِّفَاتِ الْجَمَالِيَةِ ، فَلَا يَقْرُّ لَهُ قَرَارٌ وَلَا تَهْدَأُ لَهُ نَفْسٌ

ولأرواح .. حتى يتفضل الله عليه ، فتأتيه البشرى من الله سبحانه وتعالى  
فيفرح بفضل الله ورحمته ...

ومن بُشِّرَ من الله تعالى فلم يفرح ولم يقبل هذه البشارة .. فقد  
أساء الأدب مع الله .... ، وكذلك من لم يُبشِّرَ من الله تعالى .. ففرح  
واطمئن .. فقد أساء الأدب مع الله تعالى .

ومرة أخرى ، أذكرُ بأننا نتحدث عن صفوة عباد الله  
المؤمنين المحسنين ، الذين تعلق قلبهم بعرش الرحمن ...  
وهامت أرواحهم إلى الله تعالى محبةً وشوقاً ... ، فهم غير ناظرين  
إلا إلى الله ، ولا يرجون من سواه مدحاً ولا يخافون ذماً ، ولا تفتنهم  
البشرى ولا يغرُّهم بالله العرُّور ... فهم مع الله حيث يُقيمهم ...  
سَلَّمُوا أمورهم إليه ، ووجَّهُوا وجوههم إليه ، وألجأوا ظهورهم إليه ،  
رهبةً ورغبةً إليه ، وخرجوا من حولهم وقوتهم ، إلى حول الله  
وقوته ، فدخلوا في مقام العبودية صادقين ... رضى الله عنهم وعنا  
بهم أجمعين ....

والحديث في هذه المعانى لا يؤدي العَرَضَ على الحقيقة .. فإنَّما  
هى مذاقات ومشارب وأنوار إلهية على الأنفس والقلوب والأرواح ...  
واللغة وبيانها قاصران عن إيضاح المعانى والتعبير عنها .. ولكننا أردنا فقط  
أن نشير إليها قدر ما نستطيع ، والله سبحانه وتعالى يمنُّ على من يشاء  
بافتح والنور والهدى ، فيدرك ما أردنا الإشارة إليه ، وعجزنا عن التعبير  
عنه ...

● وكل ما ذكرناه آنفاً كان عن حضرات الأفعال والأسماء

والصفات .... أمّا حضرات الصفات القدسية والتنزيهية المطلقة ...  
فهذه نحن أعجز وأقل من أن نتحدث عنها حتى ولا بالإشارة...  
والذين سبقوا بالكلام فى هذا الأمر ما زادونا إلا حيرة .. وجهلاً ...

ومن ذا الذى يتحدث عن قدس الله الطاهر المطهر ... ومن ذا  
الذى يتحدث عن عوالم النور والضياء والجمال المطلق ... ومن ذا الذى  
يتحدث عن الكبرياء والعظمة والجلال المطلق !!!

إنما قال كل قائل على قدره .. وعلى قدر طاقات روحه  
وإسعاه ... فما أغنوا ولا أشبعوا ... بل ما شرحوا ولا أوضحوا ..  
وسبحان ذى العزّة والجبروت .. والملك والملكوت .. والعظمة  
والكبرياء ..

وصلى الله تعالى وسلم وبارك على نبينا محمد حيث يقول  
"سُبْحَانَكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ " ... جَلَّ  
جلال الله .. وعزَّ جاهه .. وتباركت أسماؤه ...

وهذه التجليات العليا القدسية .. لاتلتقطها إلا الأرواح العلية  
السامية، والروح من أمر ربى ... وهو أعلم بها .. وهى أعلم بالله تعالى من  
النفس والقلب والفؤاد والعقل وكلّ هؤلاء ...

وللروح مقاييس تُخالف ما درجنا عليها وعلمناها بالبصر  
والتبصر ... والعقل والمنطق .. ولا يحدّها زمان ولا مكان ...

فسبحان من يتجلى عليها بعظمته وأنواره وأسراره حيث لا مكان  
ولا زمان ولا خلق ولا أكوان ...

ومن يصطفيه الله تعالى ويكرمه بالمثل في هذه الحضرات  
القدسية السنية، يُعينه عليها .. ويُعينه على استقبال بعض أنوارها وأسرارها  
ولا يرى الحاضر فيها إلا ﴿ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿ كُلُّ شَيْءٍ

هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴾<sup>(٣)</sup>

والذي تصلُ درجته إلى هذا الشرف الأعلى .. إنما يكون سيره في  
الله تعالى ، ووجوده وفناؤه في الله تعالى ، وصحوه وسكره  
في الله تعالى ...

- فهناك سائر سالك إلى الله بالله ... وهو المستعين بأوامره ونواهيه جلّ  
وعلا ...

- وهناك سائر سالك إلى الله على الله ... وهو القاصد وجه الله تعالى  
لايحيد ...

- وهناك سائر سالك إلى الله مع الله ... وهو الخارج من حوله وقوته  
إلى حول الله وقوته...

- وهناك سائر سالك إلى الله في الله ... وهو المستنير بنور  
الله تعالى .. والغارق فيه ...

والأول يعيش في عوالم الملك بالأوامر والنواهي من  
حضرات أسماء الله تعالى ....

---

(٢) سورة القصص آية : ٨٨ .

(١) سورة البقرة آية : ١١٥ .

(٣) سورة النجم آية : ٤٢ .

والثانى يعيش فى عوالم الجبروت الأدنى وحضرات أفعال  
الله تعالى ....

والثالث يعيش فى عوالم الجبروت الأعلى مع أنوار تجليات  
صفات الله تعالى ....

أما الرابع فهو يعيش مع عوالم الملكوت الأعلى وأنوار  
التجليات الإلهية عليه ....

والفروق بينهم ليست كبيرة فى اللفظ .. ولكنها عميقة المعنى ..  
مختلفة المذاق ....

والأول ... سالكٌ إلى الله تعالى خالصاً لوجهه الكريم ....

والثانى ... عارفٌ بالله جلَّ شأنه ، وخبير بالنفوس ومكائدها ....

والثالث ... ذاهلٌ عن الأكوان ، يضيئه الشوق ويقتله الوصل ...

والرابع ... كاملٌ .. ويكملُ غيره ، وعلى قدم نبيه ﷺ ...

وأهل هذه الحضرة السامية العلية .. لا يستغرقهم الحضور أكثر من  
لحظاتٍ بزماننا وتوقيتنا على الأرض ... ولكنها عندهم لا تُقاس بهذا  
الزمن .. فليس عندهم زمان ولا مكان كما سبق القول .

وانظر إلى رسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج حيث رأى قوماً  
يزرعون فى يومٍ ، ويحصدون فى يومٍ ، وكلّما حصدوا عاد كما هو ، وهم  
أهلُ الجهاد فى سبيل الله ، كما ورد فى الحديث الشريف .... وما لبث  
رسول الله ﷺ فى هذه الرؤية يومين ، بل حدثت كل هذه الرؤى  
والأحداث ، ورجع رسول الله ﷺ إلى مكانه ، وكان مازال دافئاً ....

والله سبحانه وتعالى الذى يطوى المكان لمن يحب من

عباده ، قادرٌ جَلَّ شأنه على أن يطوِيَ الزمان كذلك .. فيقدِّمه  
ويؤخِّره بقدرته جَلَّ وعلا ...

ومهما حاولنا الشرح والإيضاح فلن نستطيع تبیان هذه الأمور  
التي لاتخضع لبيان ولا لغة ...

والإشارة لأهلها .. تغنى عن العبارة ....

● ومن أهل هذه الحظوة السامية ، والإنعام السنيّ .. يكون  
" المحدثون " والذين قال فيهم رسول الله ﷺ " لَقَدْ كَانَ فِي الْأُمَمِ  
قَبْلَكُمْ مُحَدِّثُونَ .. الخ " وقد سبق ذكرُ هذا الحديث الشريف ...  
ولاتظن أن هذا الحديث للمُحدثين يَكُونُ بكلمات وحروف  
وألفاظ ... ولكنها أنوار لها معاني ، تنتقل إلى قلب وروح المُحدِّث ..  
فيعيّ الحديث ويدرك المعنى ...

وهو غير " النفث في الروع " فان الأخير خاصٌ بالأنبياء عليهم  
الصلاة والسلام .

يقول ﷺ " إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنْ نَفْسًا لَنْ  
تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا ، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا ، فَاتَّقُوا اللَّهَ  
وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ " .

رواه أبو نعيم في الحلية عن " أبي أُمّامة " ....

فالنفث في الروع .. هو غير الحديث .. وكلاهما غير الوحي .... بل  
والوحي كذلك أنواع ...

فَوَحْيُ الْأَنْبِيَاءِ .. هُوَ وَحْيٌ خَاصٌّ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالرَّسُلِ صَلَوَاتُ اللَّهِ



عليهم أجمعين ... وعادة ما يكون بنزول الملك على النبي ، وسماع  
صوته ... بكيفية لاندركها ....

ويقول تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ  
وَرَائِي حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلَى  
حَكِيمٍ مُّبِينٍ ﴾ (١).

وقد أوحى الله تعالى إلى ﴿ أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خَفَتْ  
عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ (٢) وأم موسى ليست نبي ولا رسول .

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾ (٣)

فهناك إذا :

وحي خاص للأنبياء والرسل ...

ووحى لغير النبي أو الرسول ...

ونفث في الروح ...

وحديث .... وفيه المحدث .. وفيه المحدث ...

وهؤلاء كلهم .. هم غير أهل السكينة ... وأهل الإلهام ... وأهل

الخواطر ...

---

(٢) سورة القصص آية : ٧ .

(١) سورة الشورى آية : ٥١ .

(٣) سورة النحل آية : ٦٨ .

● وفى كل طبقة من هذه الطبقات تجد داخلها درجاتٍ ومراتب ... ، والناس يتفاوتون فى أرزاقهم من الصحة ، والمال ، والبنين ، والعقل ، والحكمة ، وكلّ نِعَمِ اللَّهِ عليهم ، ومنها هذه الدرجات الروحية ، حتى وإن كانت كلُّ طبقةٍ منهم تميّزُ بميزةٍ خاصّةٍ بهذه الطبقة ، إلّا أنّ التفاوتَ يظلُّ قائماً بين أصحاب الطبقة الواحدة ، وتحت نفس المسمى ....

ولذا فقد يتعرّف بعضهم على بعض ، وقد لا يعرفون البعض وهو منهم كذلك ... بل قد يُنكر بعضهم على بعض .. لِبُعْدِ البُؤْنِ بين ما فيه هذا وما فيه ذاك ... فإنَّ من فى أسفل الدَّرَجِ لا يرى من هُوَ فى أعلى الدَّرَجِ ، وكذلك لاتساع سبحاتهم فى الصفات والأسماء المتباينة ، وحيرتهم بين الإطلاق للهِ تعالى ، والتقييد لخلقه جلَّ شأنه .. ، وهم فى ذلك تحت القانون الإلهي ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ ...

كُلُّ هذا فضلاً عن أنّهم مشغولون باللّهِ تعالى لا بخلق اللّهِ وأكوانه ، فلا يلتفتون ، إلى هذا ولا ذاك ، إلّا ما يهيئ اللّهُ لهم معرفته ...

ولكن العارف باللّهِ الكامل .. الثابت على قدم رسول اللّهِ ﷺ يكون مؤهلاً لمعرفتهم والائتناس بهم ... فهو قد مرَّ بأحوالهم ، وذاق مشاربهم ، خلال زمن تربيته واستكمالهِ ، لما صار إليه من فضل اللّهِ تعالى عليه ... ، كما أنّه قد يكون له معهم شُغلٌ وأوامرٌ وعلاقة

ما ، كَيْفَمَا يُرِيدُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ .

لذلك يقول تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ فَسَلَّ بِهِ خَيْرًا﴾ (١) .  
ويقول جلَّ شأنه : ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ (٢) .  
ويقول جلَّ شأنه : ﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (٣) .  
ويقول : ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْهُمْ﴾ (٤) .

وواضح من هذه الآيات المباركة :

\* أن الإمامة والريادة لأهل الخير والصلاح مستحبة عند الله تعالى .  
\* أن الإمام الداعي للخير في الدنيا ، مسئول عمن اتبعه يوم القيامة .  
\* أن الهدى كله من الله تعالى .. للإمام وأتباعه .. ، ومن لم يكتب الله له هدى منه - والعياذ بالله - فلن يجدى معه ولي ولا مرشد ولا إمام ..

\* أن لله تعالى في خلقه أئمة داعين إليه ، عارفين بالله تعالى أكثر من غيرهم ، وهم الخبراء الحكماء الدالون على الله بالله ، السائرون بعباد الله إليه ....

يقول ﷺ "حَبُّوا اللَّهَ إِلَى عِبَادِهِ يُحِبُّكُمْ اللَّهُ" وهو صحيح ، رواه الطبراني في الكبير ، وكذلك الضياء عن "أبي أمانة" ...

(٢) سورة الكهف آية : ١٧ .

(١) سورة الفرقان آية : ٥٩ .

(٤) سورة الإسراء آية : ٧١ .

(٣) سورة الفرقان آية : ٧٤ .

وَدَقَّقُ فِي مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيف .... فَلَيْسَ فِيهِ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ  
وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلَكِنَّهُ أَمْرٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِجَمْعِ الْخَلْقِ عَلَى  
مَحَبَّةِ رَبِّهِمْ .. وَهَلْ يَكُونُ هَذَا إِلَّا بِتَعْرِيفِ الْخَلْقِ بِصِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى  
وَتَذَكِيرِهِمْ بِرَحْمَتِهِ .. وَلُطْفِهِ .. وَوَدِّهِ .. وَرَأْفَتِهِ .. وَعَفْوِهِ .. وَفَضْلِهِ ... وَسِتْرِهِ ..  
وَقُرْبِهِ .. وَإِحْسَانِهِ .. وَجُودِهِ .. وَكَرَمِهِ .. وَعَظَمَتِهِ .. وَقُدْسِهِ .. وَنُورِهِ وَكَمَالِهِ  
وَجَلَالِهِ وَجَمَالِهِ !!!

وَهَلْ يَدْعُو إِلَى هَذَا إِلَّا مَنْ كَانَ عَارِفًا بِاللَّهِ تَعَالَى .. مَتَذَوِّقًا سَائِحًا  
فِي أَنْوَارِ هَذِهِ الصِّفَاتِ السَّنِيَةِ الْقُدْسِيَةِ الْمُطَهَّرَةِ !!!

وَهَذَا شَأْنُهُ غَيْرُ شَأْنِ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ  
وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، بِالترغيب والترهيب .

وَكُلَاهُمَا خَيْرٌ ... وَكُلَاهُمَا مَطْلُوبٌ .. وَلَكِنْ لِكُلِّ مِنْهُمَا  
وَسَائِلُهُ .. وَخَزَائِنُهُ .. وَنَتَائِجُهُ ...

● وَالْأَنْوَارُ الْإِلَاحِيَّةُ ، وَالتَّجَلِّيَّاتُ الرَّبَّانِيَّةُ ، وَالْحَضَرَاتُ الْقُدْسِيَّةُ ،  
يَكُونُ لَهَا عَلَى النَّفْسِ وَالرُّوحِ ثِقْلٌ مَادِيٌّ يَسْرِي أَثَرُهُ إِلَى الْجَسَدِ ، وَيَخْتَلِفُ  
قُوَّةُ وَضْعًا وَزَمَنًا .. وَهُوَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ لَا يَشْعُرُ شُعُورًا كَامِلًا بِمَا هُوَ فِيهِ مِنْ  
حَيَاتِهِ الْعَادِيَّةِ .. بَلْ تَرَاهُ كَالْمَبْهُوتِ .. يَمِيلُ لِلْعَزَلَةِ عَنِ الْخَلْقِ .. دَائِمِ  
الصَّمْتِ .. طَوِيلِ الْحَزَنِ .. غَرِيبًا عَنِ الْخَلْقِ ، لَا يَسَايِرُهُمْ ، إِلَّا عَلَى قَدَرِ  
الضَّرُورَةِ ..

وَهُوَ عَادَةً لَا يَعْرِفُ سُبْحَاتِهِ وَلَا أَيْنَ اسْتِغْرَاقَهُ .. إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَعُودَ إِلَى مَا  
كَانَ فِيهِ .. فَيَجِدُ فِي قَلْبِهِ وَرُوحِهِ وَنَفْسِهِ مَعَانٍ وَإِدْرَاكَاتٍ جَدِيدَةً يَسْتَتْبِعُهَا

تغيير في خُلُقِهِ وأدبه مع الله تعالى ومع عباد الله ...

فهو كالغواص في البحر يجمع الصدف ولا يعرف ما فيه ، إلا بعد أن يعود إلى الشط ... ذلك أن هذه السَّبَحات هي للقلب والروح .. والتجليات إنما تكون عليهما .. فيطبع سبحانه وتعالى فيهما ما قضاه أزلًا .. حتى إذا قضى الله تعالى أمره ، ظهر الأثر على الجوارح والحس والشعور ... ولأقرب لك المعنى أقول ..

عندما نادى " عمر بن الخطاب " رضى الله عنه ، وهو يخطب الجمعة بالمدينة المنورة " الجبل يا سارية الجبل " فى القصة المعروفة عنه ، سأله الصحابة بعد الخطبة ماذا فعلت وماذا قلت ، فقال رضى الله عنه " ما أدرى ولكنى أبصرت سارية وجيشه ، والعدو يلتف حولهم ، ورأيت أن منجاتهم إلى الجبل فناديت " ...

" فعمر " لا يدري كيف جاءته هذه الرؤيا .. ولا كيف ينادى على "سارية" من المدينة ليرسمه وهو خلف أرض العراق !!.. ما كان هذا بعقله ولا تفكيره ...

و " أم موسى " عليه السلام ... ما كانت لتلقى وليدها فى اليم بين الأسماك والوحوش البحرية والأمواج والتيارات المائية وغيرها .. وهى فى كامل وعيها الدنيوى ... ولذلك بعد أن فعلت ذلك - وحيًا من السماء - وعادت إلى منطقتها وشعورها البشرى المعتاد .. يقول القرآن الكريم : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدَىٰ بِهِ ۖ لَوْلَا

أَنْ رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا ﴿١﴾ .

فهى قد أنفذت أمر الله إليها ، بإلقاء ابنها فى النيل ، دون تفكير ولا تدبر بل بالأمر والوحى .. حتى وإن كان يخالف العقل البشرى ..

فوقت اتصال الأنوار الإلهية بالقلب البشرى ، يكون وقتاً عصبياً بالنسبة للجسم .. وتتفاوت هذه المعاناة على قدر هذه التجليات ، وكذلك على قدر تحمل الجسم المادى .... يقول تعالى : ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ۚ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقُّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ ﴿٢﴾ .

ولذلك فإن الذين يُصَنَّفُونَ عِبَادَ اللَّهِ .. ، فيقولون هذا فى مقام كذا ، وذلك فى مقام كذا .. قد جانبهم التوفيق ، وما حكموا إلا بما علموا ، من ظواهرهم ومظاهرهم التى يرونها منهم .. وهى ليست مقياساً صحيحاً للحكم والتصنيف .

وأصحاب هذه السِّبَحَاتِ نادراً ما يتحدثون عنها ، وإن تحدثوا فرمزاً وإشارة .. ، وما استفادوه من هذه الفيوضات لا ينقل إلى غيرهم من تلاميذ بالكلام والحديث ، بل تفيض بهذا قلوبهم وأرواحهم ، فتلقى هذه الفيوضات الأرواح التى تحبهم ، والقلوب التى تتألف معهم ... لا بالحديث والكلام .. ، بل بالمحبة الخالصة

(١) سورة القصص آية : ١٠ .

(٢) سورة سبأ آية : ٢٣ .

لِلَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ وَالسَّارِيَةِ بَيْنَ أَرْوَاحِهِمْ .. وَالْأُبُوءِ وَالْبُنُوءِ الرُّوحِيَةِ  
الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ بَيْنَهُمْ ... وَلَا يَوْرَثُ الْمَوْرَثُ إِلَّا وَرَثَتُهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ ..  
وَقَدْ يَتَصَدَّقُ عَلَى مَنْ يَحِبُّ ...

فَالَّذِينَ وَقَعُوا فِي هَذَا التَّجَاوُزِ فِي التَّصْنِيفِ لِعِبَادِ اللَّهِ ، هُمُ  
الَّذِينَ حَدَّدُوا مَوَاصِفَاتٍ لِلْبَوَارِقِ وَاللَّوَامِعِ وَالْأَحْوَالِ وَالْمَقَامَاتِ  
حَسَبِهَا سَمِعُوا ، وَظَنُوا أَنَّهُمْ فَهَمُوا وَأَدْرَكُوا .... أَوْ حَسَبِهَا ذَاقُوا  
وَعَرَفُوا عَلَى قَدَرِهِمْ .. فَوَضَعُوا الْقَوَاعِدَ وَالْأَسْسَ عَلَى قَدَرٍ مَا رَأَوْا  
وَذَاقُوا ... وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ ....

وَنَحْنُ مَا قَصَدْنَا مِنْ حَدِيثِنَا فِي هَذِهِ الْأُمُورِ إِلَّا لَفَتِ النَّظَرَ  
إِلَى الْجَانِبِ الرُّوحِيِّ الْعَظِيمِ الْقَدْرِ ، الْخَطِيرِ الْأَثَرِ فِي عَالَمِ الْأَرْوَاحِ  
وَالْأَجْسَادِ .. وَحَتَّى يَخْرُجَ النَّاسُ مِنْ مَادِيَّتِهِمْ وَقَوَانِينِهَا .. إِلَى  
قَوَانِينِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَسَعَةِ رَحْمَتِهِ ، وَعَظِيمِ مَنِّهِ وَفَضْلِهِ ... وَحَتَّى  
يَتَنَافَسَ الْمُتَنَافِسُونَ ... وَيَفْرَحَ الْفَارُوقُونَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ .. وَتَنْبِيهَا  
لَهُمْ لِمَا قَدْ يَنْتَظِرُهُمْ مِنْ أَنْوَارٍ وَتَجَلِّيَّاتٍ ، إِذَا أَخْلَصُوا لِلَّهِ تَعَالَى فِي  
سَيْرِهِمْ وَسُلُوكِهِمْ ... وَأَلَّا تَلْتَبَسَ عَلَيْهِمْ أَحْوَالُ غَيْرِهِمْ ، مِنْ  
الْمُخْلَطِينَ وَأَصْحَابِ الْبَدْعِ وَالرِّيَاضَاتِ ....

وَكُلُّ مَا قَلْنَاهُ وَنَقُولُهُ إِنَّمَا هُوَ عَلَى قَدَرِ مَا عَلِمْنَا ... وَمَا أَقْلَهُ  
وَمَا أَصْغَرَهُ .. بَلْ إِنَّهُ وَاللَّهُ إِلَى الْجَهْلِ ، أَقْرَبُ مِنْهُ إِلَى الْعِلْمِ .. وَكُلُّ  
مَا نَقُولُ ، وَمَا نَفْعَلُ لَا يَسُودُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحُ بَعُوضَةٍ .. وَمَا حَجَرْنَا  
فَضْلَ اللَّهِ الْوَاسِعَ عَلَى عِبَادِهِ .. وَلَا أَلْزَمْنَاهُمْ بِكَلَامِنَا .. وَلَا حِسَابَنَاهُمْ  
عَلَى عِلْمِنَا ... بَلْ لِلَّهِ تَعَالَى الْأَمْرُ كُلُّهُ .. وَالْحُكْمُ كُلُّهُ .. وَلَا يُسْأَلُ

عمّا يفعل .. وليس كلام أحد من خلقه حُجّة عليه سبحانه .. وهو  
الفعّال لما يريد ولا معقّب لحُكمه جل وعلا ...

وكما أن حضرات الله تعالى لا تنتهى .. فكذلك الكلام  
عنها لا ينتهى .. وعجائبها لا تنقضى ، وكلُّ من ذاقها وتشرف بها أدلى  
بدلوه .. وتحدث عما رأى وكابد ... ولا حاكم على الجميع إلا  
أحكام الشريعة المحمدية .. والحقيقة النبوية .. وكل من يخالفها قيد  
أنملة فلا نسمع له ... والشريعة هى باطن الحقيقة ، وليست الحقيقة  
هى باطن الشريعة كما يقولون .. فكل حقيقة يصل إليها العبد إن لم  
يكن لبُّها ومنبعها الشريعة فلا يُعتدُّ بها .. فكل أمرٍ باطنى يأتيك ..  
وكل معنى باطنى تصل إليه ، إن لم يكن مؤكداً ومؤيداً بأحكام  
الشريعة فلا وزن له ....

وإلى من يتحدّثون فى هذا الأمر .. نقول لهم أن ظاهر ما فعّله  
العبدُ الصالح بقتل الغلام كان مخالفاً للشرع .. وهو ملتزم بالحقيقة كما  
يقولون ، ولولا أنّه صدرَ إليه أمرٌ باطنى بالقتل .. لما قُتل ....

إذا فالحقيقة عنده كان باطنها الشريعة .. فالأمرُ صدرَ إليه  
بالقتل ، وهذا هو الشريعة فى باطن الحقيقة .. هذا ما قصدنا ....

ونكتفى بما قدمنا فى هذا الحديث ، حتى لانطيل على  
القارئ ، وما لم نذكره أضعاف أضعاف ما ذكرناه ، وعلى الله القبول  
والنفع ، بما نعلم لكاتبه وقارئه ....



واستغفر الله وأتوبُ إليه من كل قول يخالف شرعهُ وسنَّةَ  
رسوله ﷺ بقصدٍ أو بغير قصدٍ ، وأرجوه المغفرة والعفو ، عن كل  
معنى فهمه قارئ ، يخالف ما رجوت أن يصل إليه رمزاً أو إشارة ،  
ويكون فيه ما لا يرضى عنه الله ورسوله ... فما قصدنا إلا وجه الله  
تعالى ورضاه ... ، وما رجونا إلا محبة رسولهِ ﷺ وشفاعته .

## • الحب الإلهي :

وَرَدَ الْحُبُّ الْإِلَهِيُّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَى صَوْرتَيْنِ ...

الأولى : حُبُّ اللَّهِ لعباده ...

والثانية : حُبُّ الْعِبَادِ لِلَّهِ تَعَالَى ...

وَمِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى حُبِّ اللَّهِ لِعِبَادِهِ :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١)

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٢)

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٣)

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (٤)

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (٥)

﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ (٦)

وَمِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى عَدَمِ حُبِّ اللَّهِ لِبَعْضِ عِبِيدِهِ وَأَفْعَالِهِمْ :

﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسَادَ ﴾ (٧)

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (٨)

---

(١) سورة البقرة آية : ١٩٥

(٢) سورة آل عمران آية : ٧٦

(٣) سورة المائدة آية : ٤٢

(٤) سورة البقرة آية : ٢٠٥

(٥) سورة البقرة آية : ٢٢٢

(٦) سورة آل عمران آية : ١٥٩

(٧) سورة آل عمران آية : ١٤٦

(٨) سورة البقرة آية : ١٩٠

﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ (١).

﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢).

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (٣).

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ (٤).

﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (٥).

﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ (٦).

ومن الآيات الدالة على حب العباد لله تعالى :

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (٧).

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ (٨).

﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ (٩).

وقال ﷺ " لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ  
وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ " وهو صحيح ، رواه البخارى ومسلم والنسائى  
وابن ماجة عن " أنس " .

● والحبُّ هو الميل الطبيعي من المحبِّ إلى المحبوب،

(١) سورة البقرة آية : ٢٧٦ .

(٢) سورة النساء آية : ٣٦ .

(٣) سورة الأنعام آية : ١٤١ .

(٤) سورة آل عمران آية : ٣١ .

(٥) سورة المائدة آية : ٥٤ .

(٦) سورة آل عمران آية : ١٦٥ .

(٧) سورة النحل آية : ٢٣ .

(٨) سورة البقرة آية : ١٧٥ .

(٩) سورة آل عمران آية : ١٠٧ .

والأئتناس به ... ، بحيث لا يجد سعادته وراحته إلا بمعرفة .. أو وصل .. أو امتلاك للمحبيب ...

الحب يلزمه مُحبٌ ومحبيبٌ .. فالمُحبُّ بدون المحبوب .. ناقصٌ .. مغترَّبٌ .. وحيدٌ ...

والحب مكانه القلب كما نعلم ... والقلب محل التقاء النفس بالروح .. لذلك يأتي الحب على أنواع :

- حُبُّ نَفْسِي مَادِيٍّ أَوْ مَعْنَوِيٍّ ...

- حُبُّ قَلْبِي نَفْسِي ...

- حُبُّ قَلْبِي رُوحِي ...

- والأول حُبُّ نَفْسِيٍّ مَادِيٍّ أَوْ مَعْنَوِيٍّ ... مثاله الحُبُّ بين العوامِّ ... فالنفس تميل إلى قضاء شهوتها ولذتها .. ووسيلتها في ذلك الجسد ... فتتعلق النفس بالمحبيب ، حيث تقضى حاجتها منه ، وتنال بذلك سعادتها ...

وكذلك تتعلق النفس بما يرفع شأنها بين الناس ، فتحب الرياسة والجاه والسلطان والمال والعلم أيضا .. وبهذا تنال شرف الرياسة بين الخلق ...

- والثاني : حُبُّ قَلْبِي نَفْسِيٍّ ، اختلطت فيه بعض أنوار الروح بالنفس فاعتدلت الأخيرة .. وتعلقت بالمحبيب من باب الأنس ، والتآلف ، والمماثلة ، والتجانس ، وصارت سعادتها في التشبه والتخلق بأخلاق وصفات المحبوب والأنس به ..

- والثالث : حُبُّ قلبيُّ رُوحِي ، طَعْتُ فيه أنوار الروح على القلب .. فصار هَمُّهُ وهَمُّهَا الرىِّ والسُّقيا وزيادة الأنوار والتجليات عليهما ...

والحُبُّ لا يكون لمجهول تماماً .. بل لابد من نظر أو سماع بداية .. فيتكونُ في الخيال صورةً لما رأى أو سمع ... وتَدَفَّعُهُ هذه الصورة المتخيَّلة إلى استجلاء الحقيقة فيما سمع أو رأى .. وبذلك يحدث التعلُّقُ .. والشوق ... فاذا اقترب منه المحبوب ، فوجده كما كان يتصور في خياله ، ازداد له حباً ... وكان الوصل له شفاءً وسعادة ... فينشأ فيه بعد ذلك الاشتياق ...

إذاً فالحب ميلٌ وطلبٌ لشيءٍ ليس بالمعلوم كليةً ولا بالمجهول كليةً ...

ويليه الشوق إلى المحبوب للارتواء منه والراحة والسعادة معه .. وهو منه بعيد ....

ويليه الوصل بالمحبوب لتمام سعادته .

ويليه الاشتياق للمحبوب .. ويكون في حالة القرب ، وبعد الوصال ...

والعشق هو شدة الحب ... والولهُ هو شِدَّةُ العِشْقِ .. ومن كان الوصلُ له دواءً وشفاءً .. فإنَّ هذا لِنَقْصٍ فيه أو في محبوبه ... فان المحب الصادق لا يشبع .. ولا يزيد الوصل إلا اشتياقاً وحُباً ... فهو لا محالة مقتولٌ بين البُعدِ والهَجْرِ بِشَوْقِهِ .. وبين القُربِ والوصلِ بِاشْتِياقِهِ ...

- لذلك نحن نقول لمن يقول أنه شرب كأساً من الحب فاطفأت  
ظمأه وسعد بها وارتوى واكتفى ... يا مسكين .. ما عرفت الحب  
ولا المحبين ...  
فوالله لو شرب المحب بحاراً تلتها بحاراً من المحبوب .. ما  
ارتوى .. ولا اكتفى ...  
فإذا تكلمنا عن الحب الإلهي وتعلق الروح به سُبْحَانَهُ ..  
فماذا نقول .. !!!

● لقد ضرب الله لنا في حياتنا أمثلة لكل شهوة ولذة  
ترتوى بها النفس وتسعد بها .. والدنيا ترابية فانية .. ناقصة لا أمان لها  
ولا فيها .. ولكن الله تعالى يقرب إلينا المعاني العلوية السامية حتى  
ندركها بأرواحنا العالية ...  
راحة النفس في الدنيا .. بالأمن والأمان ... والله تعالى هو  
المؤمن .. السلام ...  
وسعادة النفس في الدنيا .. بدوامها بالشراب والطعام ... وفي الجنة  
طعام وشراب ...  
وسعادتها في الدنيا .. بالزواج والنكاح .. فجعل الحور  
العين في الجنة ....  
وسعادتها في تمام صحتها وأنسها .. وجعل نعيم الآخرة ليس فيه  
نصب ولا عُوب ...  
وراحتها في حب الامتلاك والغنى .. فأغناها الله في الجنة ومَلَكَهَا  
من نعيمه ...

فكل شهوة لها في الدنيا ... وعدّها الله بمثلها في الآخرة ....

وكل ما تكرهه في الدنيا ... أمّنها الله منه في الآخرة ...

ولكن ما أبعد الفرق بين سعادة النفس في الدنيا الفانية الزائلة .. وبين سعادتها في الآخرة .. وبما وعدّها الله به ، من نعيم مقيم من أنوار الله تعالى الدائمة العليّة .... فنحن إذا تكلمنا عن الحبّ للأنفس .. وكان هذا الحبّ لمخلوق أيّا كان ... وهو ترابيّ فإن .. ما بين زوجة .. أو ولد .. أو أى حبّ دنيوى ... وما يجده المحب من لوعة وشوق يعذبّه ويضنيه ، وبين وصلٍ يُسعدّه .. ورضاً من المحبوب يرضيه وينعمّه .. ولكِنَّه في النّهاية حبّ ليس بالدائم .. ووصلٌ ليس بالمطمئنّ إليه .. ومحبوبٌ فإن مآله إلى تراب .

فكيف إذا تعلقّت النفس والقلب بالجمال كلّ .. والكمال كلّ .. والطهر كلّ والعظمة كلّها .. والأزلية المطلقة .. والأمن والأنس الدائم .. والسلام الذى ليس بعده خوف ولا نصب !!!

يقول تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (١)

فالله سبحانه وتعالى ضرب لك مثلاً لحبك وسعادتك بما وبمن تحب في الدنيا ، ولكنه يرفعك من الترابية الفانية .. إلى الأنوار القدسية الخالدة الخالية من كل عيب .. الكاملة في صفاتها وسعادتها ...

---

(١) سورة التوبة آية : ٢٤ .

وهذا التعلق للأرواح برَّبِّها وحبها له ، قد نشأ منذ أن خلقها الله تعالى وخاطبها " أَلست بربكم " يوم العهد والميثاق الأول ...

والله سبحانه وتعالى كلامه مَنَزَّةٌ عن الصوت والحرف والكلمة بمفهومنا .. فالكيفية مجهولة ، ونحن نسلم بها إيماناً وتصديقاً ...

ولكنَّ الله تعالى الجميل .. خالق النعيم .. ورب النعم .. فيه الجمال كله والجلال كله .. والكمال كله .. فاهتزت الأرواح طَرَباً وسعادة بهذا النداء العلوى المقدس .. فبدأ عندها الحب والشوق ، وتمنى الوصال والسقيا من هذه الأنوار القدسية والجمال الأبدى ....

ثم كانت الحجب فى البرزخ .. وفى الأرض .. فصارت الأرواح أشد شوقاً ومحبة لله تعالى ... وعلمت النفس معنى الحُبِّ والأنس والسعادة ...

ولكن النفس لها وجه إلى الروح أو القلب .. ولها وجه إلى الجسد الترابي .. فجعلت النفس تبحث عن سعادتها .. ووسيلتها فى ذلك الجسد ... وتفكيرها محصور فى عالم المادَّة ، التى تعيش فيها... فبدأت تُمارِسُ ألواناً من الحُبِّ بحواسِّ الجسدِ ومشاعره ، لِمَا وَمَن حوله من الكائنات ..

ولكنها فى النهاية سوف تَجِدُ أَنَّ حُبَّهَا للدنيا وما فيها هو كالسرَّاب .. وما فيه من حقيقة ولا خلود ...

فإذا ارتفعت النفس بأنوار الروح ، ومالت عن عالم الجسد .. بدأت تبحث عن سعادتها بالأنس والائتلاف بالأرواح الأخرى



المتشابهة معها ... وظهر نوع من الحب أسمى من الأول ، لخروجه من عالم المادة ...

فإذا ما كشفت الروح عن بعض حُجُبِهَا .. وصُقِلَت النفس بأنوارها .. علمت النفس حقيقةً أنَّه لا محبوب يستحق المحبة .. وتجد به سعادتها وسلامها وأمنها .. إلا الله تعالى .. الجمال والجلال والكمال المطلق .. وجلَّ جلال الله ، وعزَّ جاهُهُ ، وتقدست أسماؤه وصفاته ....

● ولحب الإلهي درجتان .. كما أن للعبودية درجتان ....

فالعبودية إما أن تكون " عبودية افتقار " وهي التي تكون بين الخوف والرجاء .. وإما أن تكون " عبودية اختيار " .. وهي التي تكون لعظمة الله تعالى وتقديسه ومحَبَّتِهِ ..

وكذلك الحُبُّ لله تعالى ....

فإما أن يكون حُباً لله تعالى ... لِمَا يَفْضِلُ الله به تعالى على عباده مِن نِعَمٍ وَأَفْضَالٍ ...

وإما أن يكون حُباً لجميل صفاته .. وطُهرِ قدسه .. وعظيم كماله .... والفرق بينهما واضح ... فان الأول معلول .. وللنفس فيه نصيبٌ وطلبٌ ... أمَّا الثاني فهو حب تنزيه للروح وبالروح .

والأول للعموم .. والثاني للخصوص النادر ... والنادر لاحكم له .. ولا يقدر عليه كل البشر ..

ولذلك يخاطب رسول الله ﷺ عموم المسلمين والمؤمنين

ويعلمهم حب الله وحب رسوله ، بقوله ﷺ " أَحِبُّوا اللَّهَ تَعَالَى لِمَا يَغْذُوكُمْ بِهِ مِنْ نِعْمَةٍ ، وَأَحِبُّونِي لِحُبِّ اللَّهِ ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي " وهو صحيح ، رواه الترمذى والحاكم فى مستدركه عن " ابن عباس " .

فرسول الله ﷺ يُذَكِّرُ النَّاسَ بِأَفْضَالِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ .. وَنِعْمِهِ عَلَيْهِمْ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً .. ويدعوهم إلى محبة الله تعالى صاحب الفضل والمِنَّةِ عليهم ... ، تَمَامًا كَمَا يدعوهم إلى العمل الصالح ، والترغيب فيه بحسن الجزاء من الله تعالى ، ويخوِّفهم بعذابه وعقابه .. ، وهذا حال عموم الخلق ... يرجون ويرهبون ... ويتاجرون وينتظرون المكسب والربح ... فحبهم الله تعالى إلى ذلك .. وبشرهم بأنها تجارة لا تبور أبداً ...

أما الحب الخالص لله تعالى .. ولكماله ولجماله ولعظمته .. فذلك تجده مُغْلَفًا بِالْإِشَارَةِ إِلَيْهِ ، لا يدركه إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ تعالى لَهُ أَنْ يَلْتَقِطَ هَذَا المعنى السامى والإحساس العالى ...

يقول ﷺ " إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ " وهو صحيح رواه مسلم والترمذى عن " ابن مسعود " ، والطبرانى عن " أبى امامة " ، والحاكم عن " ابن عمر " وغيرهم ..

وَمَنْ مِنَ الْخَلْقِ لَا يُحِبُّ الْجَمَالَ !! وَمِنْهُمْ لَا يُحِبُّ الْكَمَالَ !!

● ومن خواص المحبين أَنْ يعللوا أفعال محبوبهم بأحسن تعليل ... ويقبلون منه كل ما يقول ويفعل .. فهو عن محبوبه راضٍ دائماً .. وفى شوق إليه مستمر .. ولله سبحانه المثل الأعلى .. فمن أحب الله تعالى ، رَضِيَ بِكُلِّ قَضَائِهِ وَقَدْرِهِ ... لا استسلاماً لقضائه وحكمه .. بل رَضًا ومحبةً .. وما

رأى فى قضاء الله تعالى إلا الجمال والكمال .. فكان من العبد الشكر  
والرضا بأفعال ربّه ....

يقول تعالى : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ <sup>(١)</sup> .

ويقول : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

ومن أحب الله تعالى .. أحب عباده .. وأحب خلقه ..  
وأحب كل شيء يذكره بمحبوبه .. هو يحب ذكر الله تعالى ..  
ويحب كل من أحب الله تعالى من الصالحين وعباد الله ... وكل  
ما فى الكون يذكره بمحبوبه .. ويعظمته .. وصفاته .. لذلك تراه  
مُنْفَعِلًا بالكون وبالمخلوقات .. ويرى فيهم أثر محبوبه ، وقدرته ،  
ولطفه ، وصفاته العلية كلها ....

ويحق عليه قول ربنا : ﴿ فَأَيِّنَّمَا تُولُؤُوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

أى ترى أثراً لقُدْرَةِ الله .. ورحمة الله .. ولطف الله .. وصفات  
الله جمعاء ...

فإذا رأيت الآثار .. فكأنك أدركت الصفات .. وإذا عشت فى  
الصفات .. فأنت فى حضرتها .. وكذلك حضرة صاحبها جلّ وعلا ...

(٢) سورة سبأ آية : ١٣ .

(١) سورة البينة آية : ٨ .

(٣) سورة البقرة آية : ١١٥ .

- والآية الكريمة التي ذكرناها الحين : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ

مُحِبِّهِمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ .. فيها صنفان من أهل المحبة الإلهية ...

الأول : مُحِبُّ لِلَّهِ تعالى ...

الثاني : محبوب عند الله جَلَّ شَأْنُهُ ...

والأول : صاحب جهدٍ .. وسعيٍ .. وَتَقَرُّبٍ .. وانتظارٍ وَتَرَقُّبٍ ...

والثاني : صاحب رضا .. وإشراق ... وإنعام سَنَى عليه من الله

سبحانه ... فَإِنَّ صَارَ الْعَبْدُ مِمَّنْ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ .. فذلك من درجات

الكمال ....

وقد سبق ذكر الحديث القدسي أَنَّ اللَّهَ تعالى إذا أحب

عبدًا صار يده التي يبطش بها .. ورجله التي يمشي بها ... الى آخر

هذا الحديث ...

وهذا معناه أَنَّ اللَّهَ تعالى يُلْقَى على من يحبه من الخلق

بعض صفاته العلية ، على قدر ما يطيق هذا العبد ... فَيَتَخَلَّقُ

بصفات سيده التي هي للتَخَلُّقِ .. ويزداد حبًّا وتقديسًا لصفات سيده

التي هي للتعلُّق ... وصارت له عند الله كرامة وإكرامًا .. فاذا سأل

الله تعالى .. أعطاه من فضله .. وقضى حاجته ...

وعلى الجانب الآخر فان العبد إذا وصل الى هذه المرتبة

السنية .. فَإِنَّهُ يَسْتَحْيِ مِنَ اللَّهِ تعالى حقَّ الحياءِ .. ويغلبه أدبه على

حاله وحاجته .. فلا يطلب من الله ، إِلَّا مَا يَرْضَى الله . ولا يسأل

الله الأشياءَ ، إِلَّا إِذَا عَرَفَ أَنَّهُ مَأْذُونٌ لَهُ بالسؤال ، ويحقق قوله

تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ <sup>(١)</sup> ..  
فمشيئة العبد حينذاك هي تحت مشيئة الله تعالى .. وبتوجيه الله  
تعالى له ...

ولا تقل لى كيف ... فنحن نتحدث عن أهل الدرجات العليا  
عند الله تعالى .. أهل الإحسان وأهل الرؤيا .. وأهل السكينة ..  
وأهل التأيد ...

يقول رسول الله ﷺ " مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ ،  
وَأَعْطَى لِلَّهِ ، وَمَنَعَ لِلَّهِ ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ " وهو صحيح ،  
رواه أبو داود والضياء عن " أبى أمانة " ...

ومن استكمل الإيمان فقد أتقنه وأحسنه .. ودخل فى مقام  
الإحسان .. ومقام القربة إلى الله جلَّ شأنه .. الذين يقول الله فيهم ﴿ هُمْ  
مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ <sup>(٢)</sup> ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿

ولعل سائلاً يسأل لماذا لم يظهر هذا الحب الإلهى مع  
الصحابة و التابعين ولماذا لم يتحدثوا به !!..

أما الجواب عن الشق الأول ...

فانظر إلى أفعال الصحابة رضى الله عنهم وحبهم لرسول الله ﷺ  
وحبهم للجهاد لإعلاء كلمة التوحيد ،

---

(١) سورة التكوين آية : ٢٩ . (٢) سورة الزمر آية : ٣٤ .

وانظر للمهاجرين كيف تركوا أموالهم وديارهم ..  
وانظر الى الأنصار كيف أَحَبُّوهُمْ وبذلوا لهم أموالهم وديارهم ...  
وانظر كيف كانوا يغدون رسول الله ﷺ بأرواحهم وأنفسهم ، في  
الغزوات وغيرها ..

وانظر كيف كانوا يتدافعون ، لينالوا من بركته عليه الصلاة  
والسلام ، ومن آثاره وآثار جسده الشريفة ، من شعيرات أو قلامَة ظُفْرٍ أو قطعةٍ  
من ثوبٍ أو غيرها ...

وكيف كانوا يلجأون إليه عليه الصلاة والسلام ، في كل شئونها ،  
لجوء الإبن إلى أبيه .. والمُحِبِّ إلى حبيبه ، شوقاً ولهفةً واعظاماً وإكباراً ....  
في حياته وبعد انتقاله للرفيق الأعلى ....

وانظر إلى ما ذكره المؤرخون وأصحاب السير عن الصحابة  
والتابعين ، وكيف كان حبهم لرسول الله ﷺ ومنها على سبيل  
المثال لا الحصر :

يقول " السمهودي " في وَفَا الْوَفَا " لَمَّا قَدِمَ " بلال " رضى  
الله عنه ، من الشام ، لزيارة رسول الله ﷺ أتى القبر  
الشريف ، فجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه " ...

ويذكر " ابن عساكر " في تحفته " قال على ابن أبي طالب :  
لَمَّا رُمِسَ رسول الله ﷺ جاءت فاطمة رضى الله عنها فوقفت على  
قبره ﷺ وأخذت قبضة من تراب القبر ، ووضعت على عينها  
وبكت " ...

ويذكر الحافظ " الزبيدي " فى شرح الإحياء (الجزء العاشر) ، أن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها ، عندما حضرته الوفاة ، دعت بخرقه من قميص رسول الله ﷺ وقالت " ضعوا هذه على صدرى ، وادفنها معى ، لعلى أنجو بها من عذاب القبر " ....

وذكر فى كتاب كشف الأستار عن زوائد البزّار (الجزء الأول) أن " أنس بن مالك " رضى الله عنه ، كانت عنده عصية لرسول الله ﷺ فلما مات ، دفنت عصاه بين جيبه وقميصه ....

ويذكر الحافظ الزبيدي فى " الإتحاف " (الجزء العاشر) بأن " معاوية بن أبى سفيان " كان يحتفظ فى خزانته بقميص لرسول الله ﷺ وقُرَاضَةٍ من شعره وأظفاره ، فأمر عند وفاته بأن يجعلوا كُلَّ هذا فى كفنه ، وعلى جسده مباشرة ....

ويذكر "ابن كثير" فى البداية والنهاية (الجزء العاشر) أن الإمام "أحمد بن حنبل" كان يحتفظ بشعيرات لرسول الله ﷺ مصرورة فى ثوبه ...

ويذكر الذهبى فى كتاب السير (الجزء الحادى عشر) . قول " عبد الله بن أحمد بن حنبل " : رأيت أبى يأخذ شعرة من شعر النبى ﷺ فيضعها على فيه ويُقَبِّلُهَا ، ويضعها على عينيه ، ويغمسها فى الماء ويشربه ويستشفى به ...

وقد قال " ابن تيمية " فى كتابه " اقتضاء الصراط المستقيم " ما نصّه : فقد رَخَّصَ أحمد بن حنبل ، وغيره فى التمسُّح بالمنبر ، والرمانة التى هى موضع مقعد النبى ﷺ ويده .

وراجع كتاب " المقالات السنّية " للحافظ المعاصر " عبد الله الهرري " ، وكذلك مؤلفات الحافظ المعاصر " العُمَارِي المَعْرِي " ، وكذلك أمّهات الكتب والمراجع التي صدرت في القرون الهجرية الأوائل بعد القرن الثالث ....

وذكر " ابن كثير " في موسوعته البداية والنهاية - الجزء السابع - ما رواه البيهقي بإسناد صحيح قال : " أصاب الناس قحطٌ في زمان عمر بن الخطاب ، فجاء رجلٌ إلى قبر رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا " ، فرأى الرجلُ رسول الله ﷺ في المنام وقال له " أقرئ عمر السلام وأخبره أنهم يسقون ، وقل له عليك الكيس الكيس " فأتى الرجلُ " عمر " فأخبره فبكى " عمر " وقال : " ياربّ ما ءالوا إلا ما عَجَزْتُ "

وهذا الصحابي هو " بلال بن الحارث المزني "

وقد ذكر مثله في " فتح الباري - الجزء الثاني " وقد رواه " ابن أبي شيبة " عن " أبي صالح السمان " عن " مالك البزار " خازن " عمر بن الخطاب " .

وقد ذكر القصة " سيف بن عمر " عن " سهل بن يوسف السلمي " عن " عبد الرحمن بن كعب بن مالك " ، وزاد عليها أن ذلك كان عام الرمادة ، في أواخر عام ١٧ هـ ، وبداية عام ١٨ هـ ، وأن " بلال بن الحارث المزني " قال لعمر بن الخطاب " أنا رسولُ رسولِ الله إليك ، يقول لك رسولُ الله ﷺ " لقد عهدتكم كَيْسًا ، وما زلت على ذلك ، فما شأئك "



فدعا عمر إلى صلاة الاستسقاء ... واستغاث بالأمصار للعون  
بالمؤونة ...

وذكر "الحافظ بن الجوزي" في كتاب "الوفا بأحوال  
المصطفى" .. عن "أبي بكر المُنْقَرِي" الرواية التالية ، وكذلك  
ذكرها الحافظ "الضياء المقدسي" :

قال المُنْقَرِي : كنت أنا والطبراني وأبو الشيخ في حرم  
رسول الله ﷺ ، وكنا على حالة ، فأثر فينا الجوع ، وواصلنا فما  
أكلنا ، فلما كان وقت العشاء حضرت قبر النبي ﷺ فقلت : يا رسول  
الله .. الجوع .. الجوع .. وانصرفت .. والطبراني جالسٌ ينظرُ في  
شيء .. فحضر عَلَوِيٌّ ، ومعه غلامان ، ومع كلٍّ غلامٌ زنبيلٌ فيه طعام ..  
فجلس وأكلنا .. وترك ما تبقى منا ...

فلما فرغنا قال العَلَوِيُّ " يا قوم أشكوتكم إلى رسول الله  
ﷺ ؟؟ فإنني رأيت رسول الله ﷺ في المنام ، فأمرني أن أحملَ  
بشيءٍ إليكم " ..

فهل تدلُّ كل هذه الروايات وأمثالها إلا على شِدَّةِ الحُبِّ  
لرسول الله ﷺ وشِدَّةِ الحُبِّ لله تعالى !!!

فكل هذه الوقائع وغيرها صدرت منهم من باب الحُبِّ  
والمحبة .. وليست من باب الأمر والنهي .. ولا من باب العبادة  
وانتظار الجزاء ...

أما لماذا لم يتحدث الصحابة والتابعون عن هذا الحب

الإلهى .. وهو الشقُّ الثانى من السؤال .. فالجواب عنه ..

أنهم كلهم كانوا كذلك .. فمع من يتحدثون !! ولمن  
يشرحون !!! وكلهم أصحاب حب ومذاق ورؤية وإحسان !!! ..

ولم يكن فى ذلك الزمان مجالس متخصصة فى تفسير  
القرآن .. وأخرى فى الفقه .. وغيره .. بل كان همهم ذكر الله  
تعالى .. ومجالس علم يتذاكرون فيها حديث رسول الله ﷺ  
ويجمعون الحديث .. ويدوّنونه ويوثقونه ويستنبطون الأحكام ،  
ويجيبون كل سائل عن مسأله .. وجلُّ الصحابة قد انتشروا فى  
الأمصار يجاهدون فى سبيل الله ...

وما ظهر تنوع المدارس والمجالس ، إلا بعد أن صنفَ " أبو حنيفة "  
والإمام "مالك " رضى الله عنهما ، أسس علم الفقه .. وكان ذلك فى  
أواخر القرن الثانى الهجرى .. ، وتبعهما " الشافعى " و "ابن حنبل "  
 وغيرهم ... وبدأت مصنفات الحديث النبوى تظهر كذلك .... وبدأ تنوع  
المجالس مع بداية القرن الثالث ... ومن أوائل من تكلم فى هذا الفن ..  
الإمام الحكيم "الترمذى" رضى الله عنه .. وكذلك " أبو طالب المكى "

– ونعود إلى حديثنا فنقول :

إن المحبوب عند الله تعالى وعند رسوله .. لا يعلم أنه  
محبوب .. اللهم إلا إذا بُشِّرَ بذلك ... فمن بَشَرَهُ اللهُ ورسوله بهذا  
المقام .. فليس له أن ينكره ... ومن لم تَصِلْهُ البُشْرَى .. فليس له أن  
يتطلع الى هذه المرتبة ....

ولنا فى صحابة رسول الله ﷺ الأسوة والقُدوة ... فلا شك

أنهم خيار خلق الله تعالى ، وخير القرون ... ومن بَشَرَهُمْ رسول الله ﷺ بأنهم من أهل الجنة ، فقد سَعِدُوا وفازوا .. وليس لهم أن يردوا هذه البُشْرَى ، بدعوى التواضع أو إنكار الذات .. أو الخوف من الله تعالى .. فهذه عَطِيَّةٌ وَهْدِيَّةٌ من المَلِكِ .. وليس من الأدب رَدُّهَا .... ومن لم يبشر بها .. فليس له أن يدَّعيها .. وَحَقُّ له أن يتطلع إليها ...

وأما قول سيدنا " أبى بكر الصديق " رضى الله عنه : " لو أن إحدى قدميَّ داخل الجنة ، والأخرى خارجها ما أمنت مكر الله " فهذا قول - إن صحَّ عن " أبى بكر الصديق " - فلا يحمل أبداً على معنى المكر ، الذى يفهمه الناس ..

فالله تعالى ليس "بماكر" .. فإن المكر من الصفات الذميمة.. وحاشى لله تعالى أن تُنسَبَ إِلَيْهِ ... ولكن المكر الذى نَسَبَهُ اللهُ تعالى إلى نفسه فى القرآن الكريم ، هو غير المعنى الذى نفهمه وإِنَّمَا يَمَكُرُ الْعَبِيدُ بَأَنْفُسِهِمْ .. ﴿ وَلَا تَحْقِقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ <sup>(١)</sup> .. كما قال القرآن الكريم ..

وذلك قريب من قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿ <sup>(٢)</sup> ، فما كاد الكفار إِلَّا لأنفسهم وهم لا يشعرون .. وما كان كيد الله تعالى ، إِلَّا عين كيدهم لأنفسهم بجهالتهم وكفرهم ...

---

(١) سورة فاطر آية : ٤٣ . (٢) سورة الطارق آية : ١٥-١٦ .

هذا عن المحبوب عند الله تعالى ... أمّا المحبُّ لله تعالى، فقد يعلم ويشعرُ بحُبِّه لله تعالى ولرسوله ... إذا عرف كيف لا يُخسرُ الميزان ...

ومقصودنا بالميزان هنا .. هو ألا يخلط بين قيامه لله تعالى بما يجب ، وبين ميل قلبه وروحه وذاته لله ولرسوله .. صحيحٌ أن في كِلا الأمرين خير .. ولكن لكلٍّ منهما أدبٌ وحالٌ مع الله تعالى .... ولكننا نتساءل وماذا يفيدُه أن يعرف أو لا يعرف !!! إنما هو خاضع لله سبحانه في كل أحواله .. وراضٍ بكلِّ تجليات مولاه عليه .. فيُقيمه حيث يُقيمه ...

- وحقيقة الحُبِّ أنّه هَدْيَةٌ مِنَ اللَّهِ تعالى للعبد .. فهو في الحقيقة لا يستطيع أن يصنعه أو يقصده ، فيحقِّقه لنفسه وذاته ... بل هو واقفٌ مع ربِّه في مقام العبوديّة .. مستشرفٌ لأنواره وتجليّاته وصدقاته وإحسانه .. مفتقراً .. خاضعاً راضياً ...

والمولى جلّ وعلا يقول : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾ .. فَمَنْ جَاءَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بنفسه وما فيها من هوى واختيار ... فما وقف موقف الفقراء ولا المحتاجين ولا المساكين ...،

ومن جاءه جلّ وعلا بعمله وحسناته معتمداً عليها .. فقد مَنْ عَلَى اللَّهِ بعمله وبرِّه .. وهذا منه سبحانه حقّاً ويقيناً ... وما جاءه مفتقراً ....

أما من جاءه سبحانه قاصداً وجهه .. منتظراً عطاياه وهداياه وفضله ورحمته بتسليم مطلق .. ورضاً كاملاً ، مُسَبِّحاً .. مُقَدِّساً

عظيم صفاته .. متعلقاً بها .. دائراً فى كمالها .... فقد عَرَضَ نفسه  
للنفحات .. ولخزائن الملك الوهاب ...

والمحب دائماً ذاكرٌ لحبيبه .. يشعر به فى غيابه .. فما بالك  
إذا كان المحبوب لا يغيب .. وحضراته لا تنقضى ... وصفاته تملأ  
الأكوان !!!

والمحب غيورٌ .. يغارُ على من يحب .. فلا يسمح لمن لا يعرفه حق  
المعرفة أن يتحدث عنه .. فقد يصدر فى حديثه نقصٌ لا يليق بمحبوبه .. أو  
لا يستطيع أن يوفيه حقَّه من الإجلال والتعظيم ...

لذلك فالمحب يغار على حبيبه مِمَّنْ جَهِلُوهُ .. ويغارُ عليه  
كذلك مِمَّنْ يُحِبُّوْهُ .. أَمَّا إِنْ كَانَ حُبُّهُمْ لِحَبِيْبِهِ كَحُبِّهِ هَوْلَهُ ..  
حينذاك يَأْتِنِسُ بِهِمْ .. ويميل إِلَيْهِمْ ... ويشكو بعضهم إلى بعض ..  
ويناجى بعضهم بعضاً على ذكر حبيبهم ....

- والحقيقة أن كُلَّ خَلْقِ اللَّهِ محبوبون من الله تعالى ..  
فكل صانع يُحِبُّ صنْعته .. واللهُ سبحانه وتعالى بلطفه ورحمته  
وَنِعَمِهِ يدعُوهم الى دار السلام .. ويدعوهم الى خَيْرِ الدنْيا  
والآخرة .. ويرزقهم على كفرهم وجحودهم وإشراكهم .. فان رجعوا  
إليه فرح بهم وغفر لهم .. فما أبعد العباد عن ربهم إِلَّا الْحُبُّ  
الظلمانية والنورانية ... فاذا ما بدأت هذه الْحُبُّ فى الزوال ،  
وازدادت معرفة العبدِ بِرَبِّهِ .. فَلأَبَدٍ أَنْ يُحِبَّهُ ... وعلى قدر معرفته  
بِرَبِّهِ سبحانه على قدر ما يكون حُبُّهُ لسيده ...

فما عرف الله تعالى من لم يحبه .... وما أحبه من لم يعرفه ....  
وما نبت شوق في قلب العبد إلى الله تعالى إلا من باب بعض  
معرفته بربه جلّ وعلا ... وما كان اشتياق من العبد إلى ربه إلا بعد أن ذاق  
من أنوار جماله وجلاله وكماله ... وانتشى بها .. وغاب فيها .  
وخلاصة ما نقول أن المَجِبَّ لله تعالى .. غارق في أنواره  
تعالى وأنوار صفاته وأسمائه ... لا يقع نظره من الكون كله إلا ويرى  
فيه لله تعالى أثراً ، وحكمة ، ولطفاً ، وقدرة ...  
يُخَيِّيه إشراق الأنوار عليه ، ويقتله حجاب الأكوان وغيرها  
عن الله تعالى ... غير طالب لدرجة ولا مرتبة ... يضيق بجسده  
ونفسه ، لأنهما له سجن عن الملكوت الأوسع ...  
أنسه بالله تعالى ... مستوحش من كل من وما سواه ... متذل  
على الاعتاب ... إن قرب تأدب ... وإن أبعد تقرب ... وبين الوصل والبعد  
لا يهدأ ولا يطمئن .. ولا يرتوى من فضل الله تعالى ...

## ● الشعر في الحب الإلهي :

الشعر في اللغة العربية هو أرقى تعبير عن الإحساس والوجدان ،  
فاللغة العربية تعتزُّ بالشعر وشعرائها ، وتتغنى بأشعارها ...

وقول الله تعالى : ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ ٢٢٤ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ  
فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ ٢٢٥ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ ٢٢٦  
إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ  
بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ ٢٢٧ (١)،  
إنَّما يتحدث عن شعراء الصنعة من مدحٍ وهجاءٍ وفخرٍ وغيرهم ، ممَّا  
كان عليه العرب آنذاك والذين كانوا يقولون " إِنَّ أبلغ الشعر أكذبه " .  
ورغما عن ذلك ، فقد استثنت الآية الكريمة من الشعراء أولئك  
الذين آمنوا منهم وعملوا الصالحات .

أمَّا قوله تعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا  
ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾ ٢٢ (٢) إِنَّمَا تنفى عن سيدنا رسول الله ﷺ هذه  
الصناعة والفن ، ذلك لأن انبهار العرب ببلاغة القرآن الكريم جعلت  
بعضهم يتهم القرآن بأنه قول شاعرٍ مبدعٍ عظيم ، حيث كان الشعر كما  
قلت عندهم هو أبداع ما يقال في اللغة العربية ..

(٢) سورة يس آية : ٦٩ .

(١) سورة الشعراء آية : ٢٢٤ - ٢٢٧ .

فنفى الله تعالى عن رسوله ﷺ هذا الاتهام ، وبين سبحانه أنه قرآن كريم ، ليس بالشعر ... وأن رسوله ﷺ ما ينبغي له أن يقول الشعر ، كما أنه ﷺ أراد له سبحانه أن يكون أمياً ، لا يقرأ ولا يكتب .. فما علمه ربُّه القراءة ، ولا الكتابة ، ولا فن الشعر...

وما علَّمه إلا من عنده تعالى .. وما أقرأه سبحانه إلا ما شاء له من الآيات والذكر الحكيم ....

يقول ﷺ " إِنْ مِنْ الْبَيَانِ سِحْرًا ، وَإِنْ مِنْ الشَّعْرِ حِكْمًا " ، رواه أحمد في مسنده وأبو داود عن " ابن عباس " .

ومنذ القدم ، والشعراء يتغنون بالحبيب ... ويعبرون عما في قلوبهم من شوقٍ ولهفةٍ بالشعر ...

وقد كان الشعراء زمن رسول الله ﷺ يتبارون في مدحه ، والدفاع عن الإسلام ، والرّد على المشركين ، وكان رسول الله ﷺ يستمع إليهم ، ويدعو الناس إلى استماعهم ، ويكرّمهم بالعطايا والهبات ويدعو لهم .... وكان يضع "الحسان بن ثابت " كرسيًا يجلسُ عليه في المسجد ، وهو يقولُ شعره .

وممن أنشد الشعر بين يدي رسول الله ﷺ وفي مسجده وفي غير مسجده ، " حَسَّان بن ثابت " و " عبد الله بن رواحة " و "كعب بن زهير " و " العباس بن عبد المطلب " و " عمرو بن سالم الخزاعي " و " فَضَالَةُ الليثي " و " العباس بن كرداس " ، " كُلَيْبُ بن أسيد الحضرمي " و " مَالِكُ بن النَّمْط " و " قُرَّة بن هُبَيْرَة "



و"قَيْلَة بنت الحارث " أخت " النضر بن الحارث " .

وممن رثا رسول الله ﷺ من الصحابة شعرا بعد انتقاله إلى  
الرفيق الأعلى - وهم أكثر من أن يُحصوا :-

"أبو بكر الصديق " و "عمر بن الخطاب " و "عثمان بن  
عَفَّان " و "علي بن أبي طالب " ، و "السيدة فاطمة الزهراء " و "السيدة  
صفية بنت عبد المطلب " و "أبوسفيان بن الحارث بن عبد المطلب " ...  
وانظر إلى سير الصحابة لتعرف المزيد...

وميزة الشعر هي القدرة على التعبير المعجز المقتصر للمعاني  
العريضة .. ، وكذلك موسيقاه الداخلية والخارجية وما يحتويه من  
فنون التعبير من تورية .. واستعارات وكنيات وغيرها . كل هذا فضلاً  
عن تقبُّل الناس للشعر والتَّعَيُّ به ، مما يؤثِّر في الإحساس والوجدان  
والقلب والروح .. ويجعله محبوباً ، سريع الانتشار بين الناس ..

وقد جرى أهل العشق الإلهي على هذا النمط .. وانتَحَوْا هذا  
المنحى .. فصارت لهم خزائنهم الشعرية ... وثروتهم الروحية ...

ويلجأ شعراء هذا الفن إلى رموز وإشارات متداولة بينهم في  
أشعارهم حتى لا يدركها إلا أهلها وأصحابها ...

وجميعهم تقريباً يتحدثون عن " ليلي " ... وإشراقها .. وحجابها ..  
وبرقها .. وخمارها .. وعيونها .. وسهم لحظها ... وشرابها .. وكأسها ..  
ووصلها .. وهجرها ....

وهم فى كل هذه العبارات يشيرون إلى الأنوار الإلهية .  
والإشراقات العالية .. وحضرات الأسماء والأفعال والصفات والذات ..  
وما يمرُّ بهم من حالات الحضور ، والغيبة عن الأكوان .. ويصفون  
إحساسهم ومشاعرهم ، خلال كل هذه المراحل ...

ولا يخلو بعض شعرهم من " شَطْحٍ " عندما يغلبهم حال من  
هذه الأحوال ، فيستغرقون فيه .. فتضيق بهم أنفسهم وذواتهم ..  
فينطلقون بأرواحهم ، متحررين من قيودهم ...

فلا يخلو شعرهم من بعض المبالغة ، على قدر ما يشعرون به ....  
وقد يكون سبب هذه المبالغة والشطح ، هو عجزهم عن  
التعبير الدقيق ، لتصوير ما هم فيه ، وما يكابدونه ويعانونه ....  
وجمال الشعر عموماً فى صُورِهِ وكنائياته واستعاراته ... فهذا  
الأمر لا يؤخذ عليهم ، ممن يستشعر ، ما هم فيه ...

ولا يجوز لنا أن نأخذ شعرهم على ظاهر معناه .. بل كما قلنا إنما هي  
كنايات واستعارات ... ولذلك وقع الكثير فى سوء فهم أشعارهم ، وحملها  
على محمل بعيدٍ كُلِّ البُعْدِ عن مقصد من يقولونه ...

والشعر عموماً هو مَلَكَةٌ فى النفس المرهفة الحساسة ، تليها  
قدرة على التعبير الموسيقى المنتظم ...

فليس كُلُّ من قرأ شِعْراً يستطيع أن ينظّمَهُ ، وليس كُلُّ من  
قرأ شِعْراً يستطيع أن يفهمَهُ ...

فلا يجب أن يكون حكمنا على الشعر حكماً عقلاً محضاً .. بينما هو أصله ومصدره الإحساس والشعور ....

- أما لماذا يلجأ هؤلاء الشعراء إلى هذه الكنايات والاستعارات بالذات وهي أمثال " ليلي " .. والخمر .. والكأس .. وغيرها !!

- نقول أن كل مُحب في الكون مهما كان مستوى حُبِّه مادياً أو معنوياً - هو في الحقيقة ما أحبَّ إلا وجهاً من أوجه خلق الله تعالى .. وفيه أثر قدرته وأثر عظمته جلَّ شأنه ...

وكل خلق الله تعالى لا يصلون إلى الكمال .. ولا بد أن يكون فيهم نقص ما ... - وإن لم يكن فيهم نقص جِداً - فإنهم فانون .. ترايون ..

والكمال كله لله تعالى ... وما كَمَلَ من خلقه إلا محمد ﷺ ....

وقد جرى عُرفُ الناس وقانون الطبيعة البشرية ، على أن يكون بين الرجل والمرأة جذبة طبيعية ، واحتياجٌ شديدٌ ، يتم بهما لقاءهما .. ولو لم يتم هذا الالتقاء لانتهت الحياة البشرية .. وفنى الجنس البشرى كله ...

فهذه العلاقة هي أصل الحياة على الأرض ... وفيها الأخذ والعطاء .. وفيها السالب والموجب .. وفيها الفعل والانفعال .. وفيها التكامل والتوازن .... فالشاعر عندما يلجأ إلى الرمز بليلى وغيرها .. فما هذا إلا تعبير منه عن شوقه وانفعاله .. وسكنه ... وأنسه .. وغير ذلك مما يجرى على ألسنة المحبين ...

وكذلك ما يكون في المرأة من جمال .. ودلال .. وحجاب .. ونقاب

وغيرهم ، يساعد الشاعر على استعارة هذه المسميات لِمَا يَمُرُّ به من حَجَبٍ  
وَمَحَبَّةٍ وغيرهما .

ولو سمعنا شاعراً رجُلًا يَتَغَزَّلُ فى رجلٍ مثله لاستهجناه ،  
وَعَبْنَا عليه شعره !!!

وكذلك شعر الشعراء عن الخمر والكأس والشراب ....

فالخمر يصل بالشارب إلى السكر .. والنشوة .. وينسى ما هو فيه من  
أحواله ... وما يعانیه فى واقعه ... فالخمر يذهب العقل .. ويطيش بالفؤاد ...  
وما علم الشعراء مُسْكِرًا آخَرَ غير الخمر يفعل بهم هذا ... وهم  
ما أرادوا من تشبيحاتهم هذه ، إلا أن يوصلوا للقارئ والسماع مدى  
نشوتهم .. وغيبتهم بالأنوار عما هم فيه من واقعهم ... وهم ما شربوا  
الخمر ولا مدحوها كما يفهم بعض الناس ....

وهذا ليس دفاعاً عنهم .. ولكنه فهمٌ وإدراكٌ لما قصدوه .. وهم ما  
مدحوا امرأة .. ولا شكروا فى الخمر المعروف ... إِنَّمَا هو خيال الشعراء  
وإحساسهم .... وأسلوب تعبيرهم رمزاً وكناية لا غير ....

وعلى العموم لَوْ خَلَا شعرهم من هذه المشبهات لكان أفضل لهم ..  
بدلاً من تحمُّلهم لغمز الغامزين .. وقدح القادحين ...

ونختتم كلامنا بشعر " لبید " وبیت الشعر الذى كان يتمثل به  
رسول الله ﷺ كثيراً ويقول أَنَّهُ أَصْدَقُ مَا قَالَهُ الشعراء .. ألا وهو :

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ .: وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ

فسبحان من حياة كُلِّ شَيْءٍ بتسبيحه ... ودوامُ كُلِّ حَيٍّ بِتَقْدِيرِهِ

سبحانه وتعالى لانحصى ثناء عليه ...

وله الحمد في الأولى والآخرة

والحمد لله رب

العالمين

وبعد ...

فقد عَرَجْنَا فِي ملكوتِ السموات والأرض .. وَسَمَوْنَا عَنْ عوالم  
الْحُجُبِ ... وَسَبَّحْنَا فِي بُحُورِ التَّوْحِيدِ ... وَتَعَرَّضْنَا لِنَفَحَاتِ اللَّهِ تَعَالَى  
وَأَنْوَارِهِ ... وَخَضْنَا فِي عوالمِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ ... وَطَقْنَا حَوْلَ أَنْوَارِ  
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ... مُحَاوِلِينَ جَاهِدِينَ أَنْ يَكُونَ لَنَا شَرَفُ الْإِنْتِهَالِ مِنْ  
هَذَا الْمَعِينِ الَّذِي لَا يَنْضُبُ ... عَسَى أَنْ يَكُونَ لِقَارْنِهِ دَلِيلًا لَهُ إِلَى رَبِّهِ ..  
وَعَسَى أَنْ يَكُونَ لِقَارْنِهِ خَيْرًا مِمَّا كَانَ لِكَاتِبِهِ ...

وَيَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّنَا مَا قَصَدْنَا إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا كَتَبْنَا ..  
وَلَوْلَا الْأَمْرُ مَا سَطَرْنَا مِنْهُ حَرْقًا .. وَاللَّهُ عَلَى مَا أَقُولُ وَكِيلٌ ...

وَوَقَفْنَا عَلَى أَبْوَابِ الْكَرِيمِ .. بِلا عِلْمٍ وَلَا عَمَلٍ وَلَا حَوْلٍ  
وَلَا قُوَّةٍ ... وَقِفَّةَ الْحَائِرِ .. الْفَقِيرِ .. الْعَاجِزِ .. الْمُسْتَجِيرِ .. اللَّاجِئِ إِلَى  
اللَّهِ بِاللَّهِ .. الْعَائِذُ بِاللَّهِ مِنَ اللَّهِ ... الْمُسْتَشْفِعُ إِلَى اللَّهِ  
بِحَبِيبِ اللَّهِ " مُحَمَّد " ﷺ أَشْرَفَ خَلْقِ اللَّهِ .. وَأَكْرَمَهُمْ عَلَى  
اللَّهِ ....

رَاجِيًا عَفْوَ اللَّهِ عَنْ ذُنُوبِ نَعْلَمُهَا وَلَا نَعْلَمُهَا .. مِنْ فَعْلٍ ، أَوْ  
قَوْلٍ أَوْ نِيَّةٍ لَا تُرْضَى اللَّهُ ...

تَائِبًا إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ .. عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ ....

نَادِمًا مُسْتَغْفِرًا عَنْ كُلِّ لَحْظَةٍ شَغَلْنَا عَنْهُ بِغَيْرِهِ جَلَّ شَأْنُهُ ....  
وَمُسْتَجِيرًا بِهِ سُبْحَانَهُ عَنْ كُلِّ قَاطِعٍ عَنْهُ سِوَاهُ ...

مُعْتَرِفًا مُقَرَّرًا لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِجَهْلِيَّ وَتَقْصِيرِي وَعِجْزِي وَظُلْمِي  
وَوَغْفَلَتِي ...

غير يائس من رحمته التى وسعت كل شئ ... وغير قانط من  
فضله الذى غمر كل شئ ...

قصدتُ وجهك العظيم ... ورجوت فضلك العظيم .. بحق صفاتك  
العظمى ... وحق أسمائك الحسنى .. وحق طهر قدسك الأقدس .. ونور  
نبيك الأعظم ..

أن تجذبني إليك جذبة لا أفيق منها حتى ألقاك .. وأن تُمدني  
بأنوار ذاتك القدسية وأنوار حبيبك النبوية ..

تنير بها ذاتي ونفسي وروحي .. وأن تجعلني نورا بين خلقك وعند  
موتى .. وفي قبري .. وعند حشري ..

وفي معيتك ومعيت رسولك عليه الصلاة والسلام ، وألا تحجبني  
عن مقام كرمته فيه .. وأنعمت عليه به ..

يا أعظم من سئل .. ويا أكرم من أجاب ..

ولك الحمد فى الأولى والآخرة .. ولك الحكم وإليك يرجع الأمر  
كله .. وإليك المنتهى ولا حول ولا قوة إلا بك ..

وأشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله و الحمد  
لله رب العالمين .

عبد الله /

صلاح الدين القوصى







## الجزء الثالث



# محتويات الكتاب

أولاً	: تقديم هام	صفحة : ٢١
السير والسلوك		٢٣
الصادقون والصدّيقون		٣٦
ثانياً	: الباب الأول : الإحسان	صفحة : ٤٣
الإحسان والعبودية		٤٥
الصادق والصدّيق		٥٢
الكون وعوالمه		٦٧
عالم الملك		
عالم الجبروت		
عالم الملكوت		
ثالثاً	: الباب الثاني : الحجابُ والرؤيا	صفحة : ١٠٧
النور		١١٤
الكشف		١٢٣
الاستدراج		١٢٤
الفتح		١٢٤
الرؤية		١٤٦

رابعاً : الباب الثالث : حول نبوة رسول الله ﷺ صفحة : ١٦٥

١٦٩	كان خلقه القرآن
١٧٧	القرآن
١٨٦	التكوين
١٩٦	النبوة والرسالة
٢٢٠	الأنوار المحمدية
٢٤٠	آل بيت الرسول
٢٥٣	الأدب مع رسول الله
٢٦٦	الفرح بمولده ﷺ
٢٧٥	ميراث رسول الله

خامساً : الباب الرابع : الحضرات الإلهية صفحة : ٢٨٧

٢٨٩	الحضرة
٢٩٢	الحضرة المحمدية
٣١٢	الحضرات الإلهية
٣٣٨	الحب الإلهي
٣٥٩	الشعر في الحب الإلهي

## صَدَرَ لِلْمُؤَلَّفِ

### أولاً : المؤلفات

#### ١- أركان الإسلام (دليل العبادات)

طبعة أولى ١٩٧٣م  
طبعة خامسة جماد ثانی ١٤٢٨هـ يونیه ٢٠٠٧م  
موافقة الأزهر برقم ٥٤٨٦ بتاريخ ٢٠٠٤/١٠/٢م

#### ٢- قواعد الإيمان (تهذيب النفس)

طبعة أولى محرم ١٣٩٧هـ أغسطس ١٩٩٠م  
طبعة رابعة غرة جماد ثانی ١٤٢٩هـ يونیه ٢٠٠٨م  
موافقة الأزهر برقم ٥٤٨٣ بتاريخ ٢٠٠٤/١٠/٢م

#### ٣- مقدمة أصول الوصول

طبعة أولى شعبان ١٤١٦هـ يناير ١٩٩٦م  
طبعة رابعة رمضان ١٤٢٥هـ نوفمبر ٢٠٠٤م

#### ٤- أنوار الإحسان (أصول الوصول)

طبعة أولى رمضان ١٤١٨هـ يناير ١٩٩٨م  
طبعة ثانية غرة جماد ثانی ١٤٢٩هـ يونیه ٢٠٠٨م  
موافقة الأزهر برقم ٥٤٨٥ بتاريخ ٢٠٠٤/١٠/٢م

#### ٥- محمد نبی الرحمة

طبعة أولى ربيع أول ١٤٢٤هـ مايو ٢٠٠٣م  
طبعة خامسة صفر ١٤٢٨هـ مارس ٢٠٠٧م  
موافقة الأزهر برقم ٥٤٨٤ بتاريخ ٢٠٠٤/١٠/٢م  
و في طبعته الثالثة قدم له فضيلة شيخ الجامع الأزهر ونشره  
مجمع البحوث الإسلامية

#### ٦- محمد مشكاة الأنوار (قطوف محمدية)

طبعة أولى غرة ربيع أول ١٤٢٨هـ مارس ٢٠٠٧م  
طبعة ثانية غرة رجب ١٤٢٨هـ يوليو ٢٠٠٧م

## ثانيا : الشعر

### ١- ديوان الأسير

طبعة أولى جماد آخر ١٤١١هـ يناير ١٩٩٢م  
موافقة الأزهر برقم ٥٧٥٢ بتاريخ ١٠/٨/٢٠٠٤م

### ٢- ديوان العتيق

طبعة أولى المحرم ١٤١٦هـ يونية ١٩٩٥م

### ٣- ديوان الطليق

طبعة أولى رمضان ١٤١٩هـ يناير ١٩٩٩م

### ٤- ديوان الغريق

طبعة أولى شوال ١٤٢٠هـ يناير ٢٠٠٠م

### ٥- ديوان الرفيق

طبعة أولى المحرم ١٤٢٢هـ مارس ٢٠٠١م

### ٦- ديوان الحقيق

طبعة أولى رمضان ١٤٢٢هـ نوفمبر ٢٠٠١م

### ٧- ديوان العقيق

طبعة أولى المحرم ١٤٢٣هـ مارس ٢٠٠٢م

### ٨- ديوان الوثيق

طبعة أولى رمضان ١٤٢٣هـ نوفمبر ٢٠٠٢م

### ٩- ديوان الرّحيق

طبعة أولى غرة المحرم ١٤٢٤هـ مارس ٢٠٠٣م

### ١٠- ديوان البريق

طبعة أولى غرة المحرم ١٤٢٥هـ فبراير ٢٠٠٤م

**١١- ديوان ألفية محمد ( صلى الله عليه و سلم )**

طبعة أولى	غرة ربيع أول ١٤٢٥ هـ	أبريل ٢٠٠٤ م
طبعة ثانية	غرة جماد ثانى ١٤٢٩ هـ	يونية ٢٠٠٨ م

**١٢- ديوان محمد الإمام المبين ( صلى الله عليه و سلم )**

طبعة أولى	رمضان ١٤٢٥ هـ	نوفمبر ٢٠٠٤ م
-----------	---------------	---------------

**١٣- ديوان العشيق**

طبعة أولى	غرة رمضان ١٤٢٦ هـ	أكتوبر ٢٠٠٥ م
-----------	-------------------	---------------

**١٤- ديوان الرشيق**

طبعة أولى	غرة رمضان ١٤٢٧ هـ	سبتمبر ٢٠٠٦ م
-----------	-------------------	---------------

**١٥- ديوان الرقيق**

طبعة أولى	غرة شهر النور ربيع الأول ١٤٢٨ هـ	مارس ٢٠٠٧ م
-----------	----------------------------------	-------------

**١٦- ديوان المفيق**

طبعة أولى	غرة رمضان ١٤٢٨ هـ	سبتمبر ٢٠٠٧ م
-----------	-------------------	---------------

**١٧- ديوان العريق**

طبعة أولى	غرة المحرم ١٤٢٩ هـ	يناير ٢٠٠٨ م
-----------	--------------------	--------------

**١٨- ديوان الفريق**

طبعة أولى	يوم المولد ربيع أول ١٤٢٩ هـ	مارس ٢٠٠٨ م
-----------	-----------------------------	-------------

**ثالثا : الأوراد والأذكار**

**أ- الحضرة**

طبعة أولى	رجب ١٤١٥ هـ	٤ ديسمبر ١٩٩٤ م
طبعة ثامنة وعشرون	غرة ربيع أول ١٤٢٩ هـ	مارس ٢٠٠٨ م

**ب- راتب الاسم الأول**

طبعة أولى	رجب ١٤١٥ هـ	٤ ديسمبر ١٩٩٤ م
طبعة رابعة	ربيع أول ١٤١٨ هـ	يوليو ١٩٩٧ م

### ج- راتب الاسم الثاني

طبعة أولى	رجب ١٤١٥ هـ	٤ ديسمبر ١٩٩٤ م
طبعة خامسة	ربيع أول ١٤٢١ هـ	يونيو ٢٠٠٠ م

### د- راتب الاسم الثالث

طبعة أولى	رجب ١٤١٥ هـ	٤ ديسمبر ١٩٩٤ م
طبعة خامسة	ربيع أول ١٤٢٢ هـ	يونيو ٢٠٠١ م

### رابعاً : الصوتيات :

مجموعة كبيرة من تسجيلات صوتية وإنشاد في حب الرسول صلى الله عليه وسلم والعشق الإلهي ووصف حالات ومقامات أهل الله الروحية.

### مواقعنا:

WWW.ALABD.COM,

WWW.القوصى.COM,

WWW.ALASHRAF-ALMAHDIA.COM

E-mail : alabd@hotmail.com



## رابعاً : الصوتيات

رقم الشريط	القصيدة	الديوان	رقم الشريط	القصيدة	الديوان
تابع ٣	مكشوفة الأسرار	الأسير	١	الطور	الطليق
	الأفضال-الغوئية	العتيق		المعراج	الطليق
٤	آل البيت ياسادتي	الأسير		السلطان	الطليق
	الحسينية	الأسير		مرآة قلب	الأسير
	النفيسية	الطليق		الظلال	الأسير
	الزنبية	الأسير		أفديه روى	العتيق
	الفاطمية	الأسير	٢	لا أبالي	الطليق
	الزنية	الطليق		صلوا عليه	الأسير
	السكنية	الطليق		أحبك يارسول الله	العتيق
	العيونية	الأسير		ربي	الطليق
٥	الختم- الغوئية	العتيق		سبحانك	الأسير
	الرجاء- الغوئية	العتيق	٢ مكرر	أحب محمداً	الطليق
	الحجاب- الغوئية	العتيق		لا أبالي	الطليق
	الغوئية- الأفضال	العتيق		صلوا عليه	الأسير
	أفديه روى (جزء)	العتيق		صلي عليك الله (ياسيد السادات)	الأسير
٦	حديث للمؤلف		٣	الختم-الغوئية	العتيق
	العهد	الغريق		أحب محمداً (جزء)	الطليق
				ذكر الحبيب	الأسير
				ياسيد السادات	الأسير
				الختم-الغوئية	العتيق

رقم الشريط	القصيدة	الديوان
١٣	البرزخ	الغريق
	حديث للمؤلف	
١٤	حديث للمؤلف	
	النور	الغريق
	الرفيق	الرفيق
	الأحوال	الرفيق
١٥	الحضرة	
	الأدب	الرفيق
	إهداء الأسير	الأسير
	إهداء العتيق	العتيق
	أحب محمدا	الطليق
١٦	إشهدوا	الرفيق
	الفداء	الرفيق
١٧	النجم	الرفيق
	العفو	الطليق
	النفيسية	الطليق
	الزينية	الأسير
١٨	الحبيب	الرفيق
	الفداء	الرفيق
	دعاء للمؤلف	
	ليلي	الرفيق
	الحصاد	الرفيق
١٩	أحب محمدا (جزء)	الطليق

رقم الشريط	القصيدة	الديوان
تابع ١	أحب محمدا	الطليق
٧	توحيد- تسبيح- ذكر- صلوات	
	الغوثية- الأفضال	العتيق
	لا أبالي	الطليق
	سيد السادات	الأسير
	رسول الله	الأسير
	أحب محمدا (جزء)	الطليق
	سبحانك	الأسير
	المولد (الرشد)	الغريق
٨	حديث للمؤلف	
	الرؤيا	الغريق
	ليلة القدر	الأسير
٩	الحديث	الغريق
	الرؤيا	الغريق
١٠	يا سادتي	الأسير
	النفيسية	الطليق
	الكوثر	الغريق
	أحب محمدا	الطليق
	حديث للمؤلف	
١١	حديث للمؤلف	
	الغريق (السر)	الغريق
	الحي	الغريق
	دعاء للمؤلف	

رقم الشريط	القصيدة	الديوان
٢٠	الرضا	الرفيق
٤٠٠	الرؤيا	الغريق
٧٠٠	الكوثر	الغريق
٨٠٠	المولد	الغريق
٩٠٠	ليلى	الرفيق
١٠٠٠	الحصاد	الرفيق
١١٠٠	الرضا	الرفيق
١٢٠٠	حقيقتى	الحقيق
١٣٠٠	شيخى	الحقيق
١٤٠٠	المبشرات	العقيق
١٥٠٠	الجوار	العقيق
١٦٠٠	الخاتم	العقيق
١٧٠٠	هويتى	العقيق
١٨٠٠	القاسم	العقيق
١٩٠٠	حامل النعلين	العقيق
٢٠٠٠	أحب محمدا	الطليق
	جزء من (المولد)	الغريق
	جزء من (الطور)	الطليق
	جزء من (الحديث)	الغريق
٢٠٠١	جزء من (الحى)	الغريق
	يا سيد السادات	الأسير
	الفداء	الرفيق
	الحبيب	الرفيق
رقم الشريط	القصيدة	الديوان
تابع ٢٠٠٢	الفداء	الرفيق
	الحرم	الرفيق
٢٠٠٣	لا أبالى	الطليق
	النفيسية	الطليق
	الزينية	الطليق
٢٠٠٤	الجلالة	الرفيق
٢٠٠٥	حبيب الله	الحقيق
	محمد	الحقيق
٢٠٠٦	سبحانك	الأسير
	نبي الرحمة	العقيق
	الحسينية	الأسير
٢٠٠٧	رحمكا	العقيق
٢٠٠٨	رسول الله	الوثيق
	أحب محمدا	الطليق
٢٠٠٩	الظلال	الأسير
	رسول الله	الوثيق
	العبد	العقيق
٢٠١٠	خذ بيدى (دعبدالعزیزسلام)	محمد الإمام المبين
	خذ بيدى (إبراهيم شهاب)	
٢٠١١		
٢٠١٢	"صلوات عظمى" مختارات من العشيق ودواوين أخرى	

رقم الشريط	القصيدة	الديوان
٢٨٠٠	التاج الأعظم	الوثيق
٢٩٠٠	العبد	الوثيق
	البزوغ	الوثيق
٣٠٠٠	الشروق	الوثيق
٣١٠٠	الإمام (الإعداد)	الوثيق
٣٢٠٠	الجمال	الرحيق
٣٣٠٠	الإهداء	الرحيق
٣٤٠٠	الحسين	البريق
٣٥٠٠	الشرح	البريق
٣٦٠٠	المحراب	البريق
٣٧٠٠	القبة الخضراء	البريق
٣٨٠٠	الجمع الأعظم	البريق
٣٩٠٠	حبيبي	البريق
٤٠٠٠	أمي	البريق
٤١٠٠	المعبد	البريق
٤٢٠٠	أشهد	البريق
٤٣٠٠	الوشاح	الإمام المبين
٤٤٠٠	السلم	الإمام المبين
٤٥٠٠	مشكاة الأنوار	الفية
٤٦٠٠	الخضر	محمد
٤٧٠٠	الإهداء	الفية
	القدس	محمد
٤٨٠٠	البيان (ثلاثة أجزاء)	الإمام المبين

رقم الشريط	القصيدة	الديوان
٢٠١٣	"مقتطفات في حب رسول الله"	
٢٠١٤	الجلالة (إبراهيم شهاب)	الرفيق
٢٠١٥	صلوات "المن- الصمد- الأوفى" من الحضرة (إبراهيم شهاب)	مقتطفات
٢٠١٦	يا رسول الله (عبدالعزیز سلام)	قصيدة غلاف كتاب محمد مشكاة الأنوار
٢٠١٧	نور من نور (مدوح سعيد)	
٢٠١٨	صلواتي- الصلاة الآمنة	المفريق
٢٠١٩	البلسم (مدوح سعيد)	
٢٠٢٠	صلاة السكرة وصلاة الطهور	العريق
٢١٠٠	مقتضى الذات	العقيق
٢٢٠٠	الشهود	العقيق
٢٣٠٠	رحماكا	العقيق
	تهانينا	العقيق
٢٤٠٠	حالي	الوثيق
٢٥٠٠	البيعة	الوثيق
٢٦٠٠	الفلک	الوثيق
	ربيع النور	الوثيق
٢٧٠٠	المنثلث	الوثيق

رقم الشريط	القصيدة	الديوان
٧٠٠٠	الصور	الرفيق
٧١٠٠	الحلاج	المفيع
٧٢٠٠	الخليل	المفيع
٧٣٠٠	العطايا	المفيع
٧٤٠٠	الهيمان	المفيع
٧٥٠٠	آمنة النور	المفيع
٧٦٠٠	العروج	المفيع
٧٧٠٠	العباس	المفيع
٧٨٠٠	إيليس بشهد	المفيع
٧٩٠٠	يوسف الصديق	العريق
٨٠٠٠	الرجيل	الأسير
٨١٠٠	من الروح	الرفيق
٨٢٠٠	حب النبي	العريق
٨٣٠٠	لن الخيار!!	العريق
٨٤٠٠	لقنت شيخى	الرفيق
٨٥٠٠	و الضحى!!	الرفيق
الحضرة		

حفلات دار الاوبرا المصرية  
بالحن وانشاد حسام صقر و فرقة  
الانشاد الدينى بالأوبرا

- مسرح الجمهورية نصف شعبان  
١٤٢٧هـ
- المسرح الصغير بالأوبرا رمضان  
١٤٢٧هـ
- بيت السحيمى ١٤٢٧هـ

رقم الشريط	القصيدة	الديوان
٤٩٠٠	جبل النور	العشيق
٥٠٠٠	النجم الثاقب	العشيق
٥١٠٠	ظل النور	العشيق
٥٢٠٠	الميراث	العشيق
٥٣٠٠	الفيض	الرشيق
٥٤٠٠	النجى	العشيق
٥٥٠٠	لا .. لا	العشيق
	تقديم	العشيق
٥٦٠٠	المؤمن	العشيق
٥٧٠٠	الهجرة	العشيق
	الرجاء	الإمام المبين
٥٨٠٠	الكتاب	الرحيق
٥٩٠٠	الدائرة	الحقيق
٦٠٠٠	صلوات الأعلى	الرشيق
٦١٠٠	الساقية	الحقيق
٦٢٠٠	الضيف	الرفيق
٦٣٠٠	لبيك	الطليق
٦٤٠٠	الزينة، الأربعون، القدس	الطليق
٦٥٠٠	تقديم ، مولاى	الرشيق
٦٦٠٠	من أنفسكم	الرشيق
٦٧٠٠	علمنى الحمد	الرفيق
٦٨٠٠	الصمد	الرفيق
٦٩٠٠	الصلوات الأوفى	الرفيق

- مسرح المنسترلى ١٤٢٧هـ
- مسرح الجمهورية رأس السنة الهجرية ١٤٢٨هـ
- مسرح الجمهورية ربيع أول ١٤٢٨هـ
- مسرح سيد درويش بالأسكندرية ربيع أول ١٤٢٨هـ
- مسرح الجمهورية ربيع أول ١٤٢٩هـ
- مسرح نجم ربيع أول ١٤٢٩هـ
- و فيها تم إلقاء و انشاد مقتطفات شعرية من ( اشهدوا- المولد - صلاة اللواء - صلاة الميزان - خذ بيدى - صلاة الإمام - أحب محمدا- الفداء - حامل النعلين - صلاة حراء- صلاة الدهر - قصيدة الشهود- رسول الله يا نعم الولي..... - صلاة البشارة - قصيدة الحرم - قصيدة النجى- صلوات عظمى - صلاة الكوثر - لا أبالي - صلاة السدرة... وغيرها).

و للمؤلف ما يزيد على ثلاثمائة شريط صوتى مسجلة على مدى زمنى يزيد على الثلاثين عاماً تناول موضوعات متنوعة وكلها منهجها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال فهم راق مُقَرَّبٍ لسننه القولية والفعلية والتقريرية والأحواله صلى الله عليه وسلم وذلك فى مناسبات مختلفة مثل الحج والاحتفال بالمولد النبوى فى شهر ربيع النور وموالد آل البيت وشهر رمضان المعظم وغيرها من مناسبات لقائه بأبنائه.

وقد تناولت الأحاديث جوانب من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما تناولت بعض أحاديثه الشريفة بالشرح والبيان وقصصت بعض الأحاديث إلى بيان آداب الصحبة وسلوك المريدين وتناول بعضها الآخر بعض الجوانب الإجرائية للأنشطة المتنوعة من الحضرات والموالد والأذكار والموائد وما إليها حيث يدعو الشيخ دائماً إلى الترتيب وحسن الإدارة فى الأعمال جميعها مع الحفاظ على المظهر الجيد.

و غَالِبُ أحاديثه عن جوانب وأسرار نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والروحانيات العالية فى عالم الملكوت وأسراره... وكذلك استجلاء الكثير من المعانى الروحية العالية فى شرح كثير من الآيات والأحاديث النبوية... ويمكن الاطلاع على بعضها بالدخول إلى موقع الشبكة الدولية " انت " للاطلاع على أنشطة الأشراف المهدية من احتفالات وحضرات وموائد احتفالا بآل البيت والمناسبات الدينية ... والأنشطة الثقافية والشعرية والدينية والإجتماعية بأجهزة الإعلام المختلفة من صحافة وإذاعة وتليفزيون كما أقيمت عدة حفلات لأشعاره على دار الأوبرا المصرية ... هذا فضلا عن أن غالب شعره قد أنشده المنشدون

المصريون وغير المصريين... وكلها  
وقف لله تعالى....

من هذه الأحاديث :

- حديث روحانية رسول الله في الكون.
- حديث السير والسلوك.
- حديث التوحيد ورسول الله.
- حديث التوحيد وآداب السلوك.
- حديث الموت والأرواح.
- حديث الاسراء والمعراج.
- حديث العبادة.
- حديث أنوار النبوة.
- حديث آداب مجلس الذكر
- حديث الأربعاء ١٤١٨هـ (مجموعة أحاديث  
عن أنوار نبوة سيدنا رسول الله ﷺ).
- حديث النصف من شعبان ١٤٢٤هـ
- حديث رأس السنة الميلادية ٢٠٠٤م
- حديث دعوة الى الله.
- حديث مائدة الرحمن ١٤٢٧هـ .
- حديث الحج لعام ١٤٢٧هـ الثلاثاء ٦ ذو  
الحجة.
- حديث الحج لعام ١٤٢٧هـ الخميس ٨ ذو  
الحجة.

**مواقفنا:**

**WWW.ALABD.COM,**

**WWW.القوصى.COM,**

**WWW.ALASHRAF-ALMAHDIA.COM**

**E-mail : alabd@hotmail.com**

**رقم الإيداع : ١٩٩٨ / ٣٣٨٦**

**الرقم الدولي : ISBN 977-19-5490-3**